البرقيات الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم . مفتاح جنّات النعيم
بسم الله الرحمن الرحيم . سرّ نور خاتم النبيين
بسم الله الرحمن الرحيم . براق وروح جبريل الأمين
يا مَن أضاءت ظلمة الكون بوجهه ،
يا مَن لا يُنال الخير إلا من يده .
انظر لقلب تقطّع من فراقك ،
وتصدّع من صداع مخلوقاتك .
ارجع عليّ بفوائد الحكمة ،
لأصبر ولأجد أعلى هِمّة .
هذا العالَم ميدان الشياطين ،
يلعبون بأرواح ومصائر الآدميين .
يا عليّ هب لي سيف علي ،
لأحرق بنور العلم الحجاب الدني.
واجعل شهوتي في عدم شُهرَتي ،
واجعل مُتعتي في قلّة اَمتعتي .
وفرّغني أي حكيم للقرءاَن الحكيم ،
واجعلني أوّل متعلّم من كل تعليم.
املأ خزائني يا ملك الخزائن العالية ،
واستخلفني على مال الحكمة المتعالية.
فأصبح شمساً لا غروب لها ،
ووردة يتنعّم الكلّ بعبقها .
تقبّلني وتقبّل منّي وقَبِّلني وكن قِبلَتي ،
فأنت سيدي وحبيبي ولبّ سعادتي.
.......-.......

المكان لا تأثير له في معظم اختيارات الإنسان. لكن الحكومة وطباع الشعب في المكان لها تأثير حاسم أو غالب على معظم الناس في بعض الأمور. مثلاً، أن تكون رياضياً أو صحّياً أو مثقّفاً أو روحانياً فهذه لا علاقة لها بالمكان الذي أنت فيه، بدليل أننا نجد هؤلاء في كل مكان، وتستطيع تصوّر صدورها في أي مكان. ولكن الديكتاتورية إذا وجدت في مكان ، فإنّها ستفرز أموراً في الناس على المستوى العقلي والأخلاقي والبدني والاجتماعي لن تجدها في الجمهورية أو الديمقراطية مثلاً. الخلط يبدأ حين يدّعي البعض أن الأمور الناتجة عن طبيعة الحكومة هي أمور ناتجة عن إرادة شخصية، أو العكس أن ينسب ما هو للإرادة الفردية للواقع الحكومي والقانوني. كذلك مثلاً، المكان من حيث البيئة والجغرافيا سيحدث أموراً لن تجدها في مكان له بيئة وجغرافيا مختلفة عنها، فمثلاً قارن طباع الروس الباردة مع طباع الافريقان الحارّة. إلّا أنه بالنسبة لشخصية الفرد، لا يوجد عامل يؤثر فيه أكثر من نوعية الحكومة. وباقي الأمور كلّه يمكن تعديله وتحسينه بشكل أو بآخر. أهمّ عوامل بناء الشخصية هو نوعية الحكومة. ولذلك أي كلام عن شخصية الفرد وتحسينها بدون الكلام عن نوعية الحكومة وقوانينها هو هباء أو هراء.
...

صفات إنسان محترم
1-لديه حس أممي وتاريخي. يعني يرى نفسه وأعماله كشيء له قيمة تتجاوز شخصيته وتتجاوز زمانه.
2-تقوية الحواس. أي يعمل على صحة ونشاط وحيوية بدنه وذهنه.
3-يُقدِّر الطبيعة. ويعتبر السببية ويفهم اسباب الحوادث على المستوى الذي تكون فيه.
4-يخاطب عقول الناس ذكورا واناثا. فإذا أمر أحدا يبرر له ويفسر الحقائق والمعاني التي اعتمد عليها في ذلك الأمر.
5-الاعتراف بالعجز والضعف. فلا يخاف ولا يخجل من ذكر شكوكه والامه ومحدوديته بواقعية وجرأة.
6-حسن الوصف والشرح. يحسن ملاحظة الأشياء ووصفها وتوضيح فكرته عنها بنظام منطقي حسب جمهوره.
7-المبادرة والمخاطرة المعقولة. يجد القوة على الدخول في المجهول النسبي وبطريقة مدروسة غير متهورة. فلا يخضع للمألوف والقديم ولا يتهور في كل مجهول وجديد، لكنه وسط بينهما.
8-يحترم السلطة الوجودية للأشياء. فيعرف حدود وقوة كل شيء ويعرف موقعه بالنسبة الشيء ويتصرف على هذا الأساس.
9-يعمل على بصيرة. يتبع الأمر بعد فهم سببه وغرضه وحقيقته. ولا يقلد على العمياني أحدا.
10-يملك فن الاستماع. ولأنه يحسن الاستماع فإنه يحسن الكلام.
المرجع : من أنهار قصة موسى في سورة طه.

قالت: ممكن تشرح لي أكثر رقم ٨.
قلت: هذه ماخوذة من قوله تعالى لموسى "إني أنا ربك فاخلع نعليك". فبدأ بذكر ربوبيته لموسى ثم أمره بخلع نعليه. يعني بدأ بذكر سلطة الرب واستحقاقه للطاعة لأنه يأمر بما يصلح وينمي العبد ومن هنا كلمة الرب تعني المالك والحافظ والمصلح للشيء. ثم أمر بالخلع. فلأن موسى عرف سلطة ربه ، وعرف ان موسى محدود العلم والقدرة ، وعرف انه كعبد لله موقعه هو الطاعة الارادية له حتى يصلح حاله ، قام موسى باحترام الأمر الرباني وعمل على هذا الأساس. ونفس هذا الأمر ينطبق على اي شيء آخر. فمثلا نعلم طبيعة الماء وقوته وحاجتنا إليه فنطلبه وننظفه ونشربه. وعلى هذا القياس.
...
كل شيء مربوط بضده
وهذه طبيعة هذا العالم . الأكل اللذيذ عادة مرتبط بالمرض المؤلم. المال الكثير عادة مرتبط بالتعب . الجسم الجميل مرتبط عادة بالاجهاد . وهكذا . هذه الدنيا لا يخلص فيها شيء لوجهه الحسن فقط بل لابد من أن يحتمل وجود ضده.
ومن أبرز الأمثلة الدين . فالدين على مر الزمان وفي جميع الأمم كان هو الدافع الأكبر للتأمل والبحث والاكتشاف وتأسيس العلوم والاجتهاد العظيم فيها والعمل الإنساني المخلص. هذا كله صحيح.
لكن إذا نظرنا ستجد ان الدين أيضا يحتمل أن يكون سببا لاضداد هذه الأشياء .
فمثلا ، بعض الناس تدينه يجعله مغلق العين، مسدود العقل، ميت الحس. ويظن أنه باستطاعته أن يحكم على كل موضوع بأنه حق او باطل ، خير او شر ، بكل بساطة وسرعة ولعله لا يفكر أكثر من ثلاث ثواني ليعطي قراره العظيم الذي يظن أن كل "العقول السليمة" ستقبله خاضعة وتتمسك به خاشعة وكل من ينتقد رأيه لاشك أنه مريض او مغرض او متبع لشيطانه وهواه والعياذ بالله.

مثلا ، بعض الناس تدينه يجعله ليس فقط بعيد عن الإنسانية بل بعيد حتى عن الوحشية ، هو شيء لو اطلعت عليه الذئاب والضباع لاستحت منه. وهم يرتكبون الفظائع بدون ان يطرف لهم جفن ، ويظنون أن الملائكة تنتظرهم بفارغ الصبر لادخالهم جنات النعيم مع الحور العين.
مثلا ، قد ترى الشخص على فطرته يحب الله ويتوجه إليه من صادق قلبه ، ويشعر بتواضعه وعبوديته وفقره للحق تعالى، فإذا به يدخل في دين أو مذهب ما ويتعمق فيه ، فتجده اغلظ من زبر الحديد ، واعتى من الفراعنة ، ولا يحرك ذكر الله فيه شعرة ، ولا يشعل حب الله في قلبه جمرة.
الدين لانه أعظم شيء فهو أيضا أخطر شيء. مثل النار ، باكتشافها صار الإنسان متحضرا ، لكن لا يخفى أن النار يمكن ان تحرق ألف حضارة في ساعة.
كلما ازددت إطلاعاً على عظمة وقوة الدين ، كلما ازددت له حباً ومنه خوفاً. ولا اخفيكم اني إذا وجدت الشخص "تدين" اشعر بالخوف عليه قبل الفرح له ، لأنه دخل في أمر خطير فإما يصدق مع الله فينال خيرات الدين ، وإما تكون نيته مكدرة فيجلب الوبال على نفسه وغيره.
خلاصة كل هذا في قول الله "وننزل من القرءان ، ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين إلا خسارا". القرءان يؤثر في بعض الناس بشيء ، وفي اليعض الآخر بضد هذا الشيء. انت البذرة ، القرءان ماء ، سينميك لكن ثمرتك ناتجة عنك لا عنه فتأمل.
...
قال المتنبي : كفى بك داء ان ترى الموت شافيا.
هذا تعبير عن أسوأ دركات العجز البشري. حين لا تجد وسيلة لتغيير أوضاعك وعلاج أمراض عقلك ونفسك وجسمك ومجتمعك الا بالموت ، فأنت تعترف هنا بالعجز التام. وهذا "داء". لماذا؟
لان حقيقة هذا العالم انه في تغير مستمر ، وهو مادة قابلة للتشكيل والتأثر . فان تدعي بانك في حالة غير قابلة للتغيير هو ادعاء ينسب الثبات والنهاية والحتمية والسيادة لشيء حقيقته التغير والتجدد والاحتمالية والتبعية. يعني أنت تقلب الموضوع فتجعل الرأس تحت والقدم فوق. الطبيعة كلها وضمنها البشر قابلة للتغير في ذاتها او في تفسيرك لها.
حين ترى الموت مخرجاً فاعلم ان حياتك جهنمية.
إذا نظرنا في الذين يدعون العجز واليأس من كل شيء مهم ، سنجد انهم يبررون بذلك كسلهم وتخاذلهم وإهانتهم، يعني يريدون الراحة الذهنية او البدنية او كلاهما فيدعون العجز واستحالة علاج المرض (بكل مجالات المرض) استحالة مطلقة.
وإلا فانظر إلى الأمور التي تهمهم فعلا وستجدهم يعملون ويجتهدون ويخططون ويتحملون ويفعلون الافاعيل لتحقيق غرضهم.
ثم إذا نظرنا في مجمل التجارب البشرية عبر الزمان والى يومنا سنجد ان كل شيء يدعي البعض انه ثابت هو في الواقع شيء متغير وقابل للتغير. انظر في اي موضوع تريده وستجد مصداق

ذلك. ادعاء الثبات خداع ، ولا يدعيه الا من يريد اخفاء حقيقة ان الشيء ليس فقط غير ثابت بل هو هش جدا.

الحاصل ، لكل داء دواء . فابحث وفكر وجرب واستفد من خبرتك وخبرات الآخرين، واجتهد ان تموت وأنت سليم لا مريض !

...

الكلمة هي الرابط الأساسي بين الإنسان والإنسان.

لانها امتداد النفس نحو الآخر وامتزاج نفسنا بالآخر.

ومن هنا لاحظ انك حين تقيم علاقة تظهر العلاقة بوجود كلام. ثم نوعية العلاقة تظهر بحسب نوعية الكلام ، فمثلا القريب تخبره بامور لا تخبرها للغريب ، وبعض الناس تكلمه بطريقة رسمية بينما البعض الآخر الأقرب تكلمه بانفتاح شعوري اكبر، وحين تبدا بقطع علاقتك يظهر ذلك بتقليل الكلام ثم انقطاعه ولذلك نقول "بطلت اكلم فلان او فلانة" تعبيرا عن انتهاء الصلة بينكما.

إذن ، تريد تقييم علاقتك مع أي شخص فانظر في كلامكم من حيث وجوده ونوعيته وطريقته.

بين الرجل والمرأة تحديدا ، عادة تبدا العلاقة بكلام عام وتاريخي ، كل واحد يحكي شيء من تاريخه واعماله واهتماماته العامة. فإذا حصل توافق ينتقل الحوار إلى الغزل والرومانسية والإعجاب الشخصي. وعادة يدخل الناس في الزواج بعد هذه المرحلة ، على أساس ان الاتفاق التاريخي والرومانسي يكفي لإثبات وجود علاقة دايمة او صحية، وهذا اكبر خطا. ولذلك تجد معظم العلاقات تنتهي بعد فترة قصيرة وتموت عاجلا. لماذا ؟ لا يوجد سبب واحد طبعا ولكن واحد من اهم الأسباب هو لان الكلام انتهى ! يعني عرفت تاريخك فالماضي محدود ، الغزل حلاوته في قلته وندرته ، فماذا سيفعلوا بقية الوقت ؟ جالس وجهه في وجهها وصم بكم. فيبدا البرود يدب. ثم لمحاولة إنشاء أي حوار يطلع الكلام من نقطة نارية في النفس فيكون معظم المواضيع قبيحة وسلبية. ثم يتفادى كل واحد الحديث مع الثاني تفاديا للسلبية. فيقل الكلام إلى حد السلام عليكم وعليكم السلام ثم يموت واقرأ على العلاقة السلام.

العلاقة الصحية هي التي يشترك فيها الطرفان بهم معرفي او ادبي او ديني او ما اشبه. لان المعرفة هي أعمق شيء ودائمة التجدد ولا نهاية لها. ثم يأتي التاريخ والغزل والإعجاب وما إلى ذلك كمعززات للبناء الكلي. قاعدة البناء هي المعرفة. وإلا فالبناء سينهار حتما عاجلا أم آجلا.

الملل انقطاع الشيء الجديد المعنوي. فلا يكفي الجديد بل لابد ان يكون له معنى يؤثر في عمق القلب. ولا يوجد في هذا العالم شيء دايما متجدد ويمكن تحصيله بسهولة نسبية مثل المعرفة، ولا يوجد شيء أقوى تأثيرًا من المعرفة. ولذلك عشاق المعرفة لا يحسون بالملل ، بينما غيرهم يعيش حياة غارقة في مستنقع الملل وأقول هذا عن تجربة وخبرة بالأمرين معا.

قالت: ان كان الابوين يشتركون بنفس الهم هم تنشئة ابنائهم تنشئة صالحة وتربيتهم وتوعيتهم هل يعتبر ذلك من العلاقة الصحية والمستمرة؟

قلت: هذا ممكن بالنسبة للأولاد، أما العلاقة نفسها بين الزوجين فستكون سطحية.

...

"انني أنا الله لا اله الا أنا"

هذا خبر عن حقيقة . "فاعبدني" هذا امر مبني على ذلك الخبر. إذن العبادة لا تعتمد الا على حقيقة الوحدة الإلهية ، وليس على وجود الجنة والنار او تحصيل المصالح في الدنيا. العبادة الحقيقية هي وسيلة لمشاهدة الوحدة الإلهية . والعبادة من التعبيد ، كما تقول "تعبيد الطرق" حتى تستطيع المشي عليها بسهولة ، كذلك العبادة هي انفتاح القلب وتقبله للتجليات والتنزلات والمكاشفات الإلهية. أما مظاهر العبادة كالادعية والشعائر فهذه مظاهر ووسائل للمساعدة ، وقد يفعلها اعل الرياء والمعتاد والطالب الجنة والمصلحة. العبادة الحقيقية عمل قلبي عقلي سري. والسر فقط يمكن ان يشهد حقيقة "انني أنا الله لا اله الا أنا" . فحين تصل إلى عمق ال"أنا" ، أي إلى حقيقتك أنت وجوهرك أنت ، هناك يمكن ان تجد اثر "أنا الله". لان الانا هو الوجود المطلق المستقل عن ما سواه ، ولا يكون هذا الاستقلال والغنى الذاتي الا لله ، فاذن لا يقول "أنا" بحقانية كاملة الا الله "لا اله الا أنا".
أنت لست جسمك فالجسم يتغير وأنت باقي. ولست خيالك لانك تصنعه وهو يزول وأنت لا تزول. ولست مشاعرك لانها تتقلب فيك فأنت غير محصور بها. ولست افكارك لانها افكارك وصارت بعد عدم. كلا. أنت سر وراء كل ذلك. وهذا السر حين يتقدس من الفكر والشعور ويتطهر من الخيال والحس ، حينها يمكن ان تدخل حضرة "انني أنا الله الا اله الا أنا". وهذا الدخول هو العبادة . "واقم الصلاة لذكري". فالصلاة ليست الا لذكر الله ، مرة أخرى ليست لدنيا ولا لاخرة لكنها لذكر الله. فحتى لو افترضنا انه لا منفعة دنيوية ولا أخروية للصلاة فالعارف سيصلي لانه يصلي لذكر الله. لان الإنسان بدون الله لا يصير إنسانا. الذكر غذاء وجودك كما ان الطعام غذاء بدنك والكلمة غذاء عقلك وشعورك وخيالك وحسك. "ذكري" هو القرءان أيضا. فكلام الله هو ذكره. فكما ان "فاعبدني" متعلقة بذات الله، ف"أقم الصلاة" متعلقة بكلام الله. وهذا كل ما يريده الإنسان الكامل من الوجود ، يريد وجه الله وكلام الله. فذات الله غيب مشهود ، وكلام الله مشهود من الغيب. وأنت غيب وشهادة. والوحدة بين غيبك وشهادتك تكون بالواحد الأحد وحده وكلمته المطلقة الكاملة. أنت واحد حين تذكر الواحد. أنت مشتت حين تغفل عن الواحد. وحين تشرق شمس "أنا الله" فلا يبقى شيء في الوجود الا الله.
...
حين وصل موسى الى الوادي المقدس
امره ربه بخلع نعليه فقال "فاخلع نعليك
انك بالواد المقدس طوى". ما العلاقة بين
خلع النعل والوقوف على ارض مقدسة ؟
النعل صناعة بشرية بينما القدم صناعة
ربانية. فالجسم مقدس مثل الارض لانه
صنع القدوس بيديه ، لكن النعل صنع
البشر واغراضهم الضيقة ونواياهم
المحدودة فتخرج صناعتهم غير مقدسة
عادة.
ومن هنا نعلم بطلان كل نظريات احتقار
الجسم وشيطنة حقيقته وحواسه.
ونعلم ايضا اولوية الانسان نفسه على
كل صناعة واختراع. فهذه كلها حدها

ان تكون كالنعل ؛ يلبسها ويستعملها
الانسان ويمشي بها ، لكن لايجوز ان
تلبس هي الانسان وتستعمله وتجعل
الانسان يتحرك في فلكها ويخدمها.
الجسم اعظم شيء في الطبيعة ، وحين
يتجرد ويكون على فطرته الاصلية بدون
اي اختراع بشري يقيده او هذيان
سوفسطي يجرمه ويحدده ، فحينها يمكن
ان يقف على ارض الوادي المقدس ،
المقدس عن كل ما هو غير الهي وفطري.
حينها فقط يمكن ان تتجهز لسماع
كلام الحقيقة وقبول المعاني الوجودية.
اخلع كل نعل . بعض الناس نعله فكره
او قيمه الزائفة غير الفطرية والمضادة
للطبيعة الخالصة ... واسوا نعل هو عقل
من ليس له عقل !
...
ما المشكلة في ادعاء ان الملائكة إناث؟
ثلاثة أمور على الأقل.
الأول ، المبدأ. الذين ادعوا انهم إناث لم يشهدوا خلق الملائكة ، فالادعاء ليس مبنيًا على العلم. ولذلك رد الله عليهم " اشهدوا خلقهم" وهذه الطريقة من حيث المبدأ غير صحيحة، لانها تفتح باب ادعاء اي شيء بغير علم.
الثاني ، التجسيم. الذكرية والأنوثة من صفات الجسم المادي. بينما الملائكة ليسوا كائنات مادية من الأصل. لكنهم كائنات فوق مادية، نورية، مجردة. فحين يدعي شخص ان الملائكة ذكور او إناث فانه بذلك ينفي وجود اي ابعاد وعوالم فوق مادية، وهذا مقدمة الالحاد. الملحد يدعي ان الوجود كله مادي. المشرك والمجسم الذي يدعي ان الملائكة او ما هو أسوا الله تعالى نفسه هو جسم ، فانه يمهد بذلك للالحاد اعظم واهم تمهيد. والذي يرى الوجود ماديًا سيرى نفسه بطبيعة الحال مادية أيضا ، وهذا باب جهنم في الدنيا قبل الآخرة. وتوجد ابعاد أخرى لتجسيم الملائكة غير ذلك لكننا نختصر.
الثالث ، العطاء . الملائكة كائنات تتمثل في الآيات والكلمات. فالذين يقولون انهم إناث يعني يدعي ان آيات الله لا تعطي علمًا الا بحسب ما يريده القارى مثلا. وترى ذلك في الذين يقولون مثلًا "كلمات الله لا معنى لها بحد ذاتها ولكن الناس تخترع المعاني وتسقطها على

كلمات الله". كما ان الذكر يقذف في الأنثى فتحمل ولده وتخرجه ،
كذلك هؤلاء رمزيًا يدعون ان كلمات الله لا تعطي ولكن هم الذين
يعطون المعاني . ويظهر ذلك في عقيدة تأنيث الملائكة .
الخلاصة : لا يوجد نقص في التأنيث لكن الغلط في الادعاء بغير
علم والتجسيم والتحريف.

...

شعار المتطرّفين المجرمين هو "مَن ليس معي فهو ضدّي". شعار المعتدلين المسالمين هو "بعض الناس معي، وبعض الناس ضدّي، وبعض الناس لا معي ولا ضدّي".

من هنا وجدت يسوع وجورج دبليو بوش وبابلو أوسكوبار يقولون "مَن ليس معي فهو ضدّي". وجورج رئيس أمريكا وبابلو رأس المخدّرات تعلّموها من يسوع.

بينما نجد محمد يقول ليهود بني النضير "لا لي ولا عليّ". وهذا انعكاس لما في القرءآن.

...

قال: هل المعراج كان بالروح أم بالجسد ؟

قلت: الذي يقول بالجسد يهذي ولا يفهم ما يقول وإنّما يدفعه إلى قول ذلك مراعاة العوام ومستوى فهمهم وبعض القضايا السياسية الأخرى.

كل ما يدخل عالَما يأخذ هيئة هذا العالَم وطبيعته. هذه حقيقة وجودية. والعوالم محكومة بنظام حقيقي لا اعتباطي. حين أرسل الله روحه إلى مريم قال "فتمثّل لها بشراً سويّاً". لأنّه تنزّل لها في مستوى البشرية أي العالَم الأرضي والمادّي والطبيعي السفلي. فكان لابد من أخذ صورة هذا العالَم.

فكما أن الروحاني إذا تنزّل تمثّل ، كذلك الجسماني إذا صعد تجرَّد.

أمّا قصّة المعراج المحمدي ، فكان بعضها في عالَم الجسد بالجسد ، وبعضها في عالَم المثال البرزخي الجامع بين الروح والجسد، وبعضها في عالَم الروح المجرّد، وبعضها الله أعلم به.

...

قال: في الآية "أموات غير أحياء وما يشعرون أيّان يُبعَثون". ما الفائدة من قيد "غير أحياء" و "ما يشعرون أيّان يُبعَثون"، أليس كل ميّت غير حي ولا يشعر أيّان يُبعَث ؟

قلت: كلّا. بعض الأموات أحياء كالشهداء ، "لا تحسبنّ الذين قُتِلوا في سبيل الله أموات بل أحياء عند ربّهم يُرزَقون". فالحسبان أنّهم أموات جاء لأنهم من جهة أبدانهم أموات ، لكن من جهة أنفسهم أحياء. فهم أموات أحياء. وكذلك الأمر في عدم الشعور بالبعث، فهذا بالنسبة للكفار فقط، أمّا الأنبياء والطبقة العالية من المؤمنين على الأقلّ فهؤلاء يشعرون أيّان يُبعَثون. من لا يفهم الفرق بين الآيات النازلة في المؤمنين والآيات النازلة في الكافرين، فقد وضع سهم دينه في قوس ضلاله وأوشك أن يرميه رمية لا يجد نفسه بعدها إلا كلباً من كلاب النار.

...

الذي يطّلع على تاريخ الدول والعصابات ، يقتنع تمام الاقتناع بسبب خلق الله لجهنّم.

...

القرءآن كلام الله وصمت الله. كلام الله هو {الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه}. وصمت الله ما بين {الم} و {ذلك الكتاب لا ريب فيه}. وقبل الكلام كان الصمت، وبين كل حرف وحرف صمت، وبين كل آية وآية صمت، وبعد ختم القرءآن صمت. إذن الأصالة للصمت ، والكلام وسيلة للتذكير بالصمت.

...

بغض النظر عن حوادث التاريخ ، فالدليل الأعظم على كون الحضارة الإسلامية حضارة سلام واستقرار عام هو النتاج المعرفي بمختلف ألوانه الذي أنتجه المسلمون. فلولا السلام والاستقرار بشكل عام، لما أمكن نشوء تلك الكتب والثمار ، لا من حيث مادّتها ولا صورتها.

...

لي أيّام أضغط على نفسي وأصابرها لتحمّل إكمال قراءة كتاب عن سيرة السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ، كتبه شخص يعمل على فتح ثغرة في وجدان الناس لإسقاط قيمة حياتهم في سبيل إعطاء قيمة لحياة شخص ، نعم هذا الشخص الآن هو عبد الحميد لكن في الواقع العملي ستجدهم يُعطون هذه القيمة لواحد من المعاصرين الذين غالباً يعمل لديهم ذلك المؤلف التعيس. ومن العبارات الظريفة في ذلك الكتاب {عبد الحميد ظاهر في كل مكان ، وغير ظاهر في أي مكان}، وكأنّه الذات الإلهية ! ويوجد كثير من هذا الهراء في مؤلفات مَن يسمّون بالعثمانيين الجدد ، والغريب أنني لا أجد واحداً من ولد عثمان معهم أو يتكلّم بدلاً منهم. لماذا؟ لأن أولاد عثمان يعرفون الحقيقة ، وهي أن السلالة والدولة الطاغية تلك ليس لها بريق العظمة الذي يراه من لم يعيش فيها وليس واحداً من أفرادها. يعظّم الطغاة من لم يحترق بقهرهم أو ينتظر منفعة من الصبر على استبدادهم. ومن مغالطات ذلك المؤلف وأشباهه أنّهم يختزلون النظام السياسي في شخص ، ويذكرون-على طريقة أسلافنا المجانين والمجرمين-مناقب وفضائل فلان وعلّان كوسيلة لتبرير طغيانه هو وحزبه. مؤلفات العثمانيين الجدد هؤلاء هي شاهد آخر ضمن شواهد لا يحصرها إلا الحق تعالى ، لأهمّية ما كتبته سابقاً وهو هذا :

كل تاريخ العرب والمسلمين في مسألة الدولة ، يجب أن نأخذه ونلقيه في أقرب مزبلة .

...

ينتقد البعض الرسول في كونه لم ينشئ دولة حديثة. ويزعم البعض الآخر أن الرسول أنشأ دولة. كلاهما مخطئ في تصوّره فأخطأ في حكمه. الواقع أن الرسول لم يبالي بالدولة لأنّه لم يبالي بالدنيا. كان يريد تمضية وقته في عبادة ربّه حتى يأتيه الموت ويذهب بسلام عن هذه الدنيا التي لم تكن تزن عنده جناح بعوضة. وإنّما دخل في ما دخل فيه من أمور تشبه التقنين والتنفيذ والقضاء أي تشبه وظائف الدولة الحديثة المنظّمة ، أقول تشبه ولا تطابق ولا حتى تقارب ، لأنّه وجدها ضرورة لاستقرار الأمن لنفسه وللمؤمنين معه حتى يركّزوا على ذكرهم وصلاتهم وما أشبه من أمور العبادات. الغرض من كل المعاملات استقرار العبادات. ومركز الدين هو العبادة لا غير. ولا يمكن لمن قرأ القرءان أن يخرج بغير هذا المعنى. ف"الدولة" التي يزعمون أن الرسول أنشأها كانت دولة "دينية" بأكثر المعاني تطرّفاً ، لسبب بسيط وهو أنه كان يعتبر نفسه رسول الله وأتباعه المؤمنين به كانوا يعتبرونه كذلك. فكيف يمكن أن ينشأ نظام موضوعي كنظام الدولة الحديثة على أساس غير إيماني وفي نفس الوقت يقتدي بنظام الرسول. حيث لا رسول، كيف تقيم دولة تقتدي بدولة الرسول ؟! (مع التسامح في التعبير). الرؤية القرءآنية للوجود بسيطة: الله واحد، الآخرة باقية، الدنيا فانية، ذكر الله والدعاء وبقية العبادات هي الوسيلة لإعمار الآخرة. وكل ما سوى ذلك هامشي ومبني على العبادة التي هي طريق بناء الآخرة وزراعتها. نعم تستطيع أن تبني دولة حديثة مع استلهام القرءان والمرويات. لكن الاستلهام شئ والاستنباط القطعي والمنظّم شئ آخر. فإنك تستطيع استلهام نظام عمر بن الخطاب أو علي بن أبي طالب أو بني أمية أو بني العباس أو آل عثمان أو حتى داعش وبقية السفلة ، كلّهم يدّعي وصلاً بالقرءآن والسنّة. نستطيع أن نعتبر العرفاء هم النواب الجمهوريين ، ونستطيع اعتبار سليمان وداود سلاطين عثمانيين ، ونستطيع اعتبار ثورة الحسين فوضوية هدّامة خارجية ، ونستطيع ونستطيع، وقد فعلوا ولا زالوا يفعلون. ولماذا يلفّ ويدور كل هؤلاء

حول القرءان والسنّة ؟ لأنّهم لا يريدون أن حريات وحقوق للعامّة . يريدون بناء دولة ليس على أساس التعامل مع الجماهير (الجمهور هو كل من هو خارج حزبهم ممن يطيعهم ويدفع لهم الضرائب) كناس لهم حريات وحقوق وعليهم واجبات عادلة، لهم رأي وقرار، لهم إرادة ومشاركة وحصّة في الملكية العامّة للأرض والدولة. كلّا، لا يريدون هذا. فما هي أفضل طريقة ؟ أفضل طريقة هي أن نقول للعامّة أن هذه الدولة دولة الله لأنّها دولة "الشريعة" أو "السنّة" أو "الإسلام" أو أي شئ. وبعد ذلك سيتمّ سلبهم كل حرية وحق باسم ذلك الشئ. وسينتهي الحال إلى "منحهم" بعض الفتات الذي يضمن عيشهم ليخدموا حزب الدولة لا لكونهم ملاك أو بشر أو أصحاب حق وإرادة. كل حديث عن الدولة في إطار الدين، هو دجل لا ريب فيه. ومن لا يفهم هذا الأمر بالقرآءة والنظر، سيفهمه عمّا قريب بالدم والرصاص. أليس الليل بقريب !

خذ مثلاً موضوع الإقامة في "الدولة النبوية" وموضوع "البيعة".

في سورة الممتحنة، يقول الله تعالى "إذا جاَءكم المؤمنات فامتحنوهن ، والله أعلم بإيمانهن ، فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار". إذن استقرار اللاجئة إلى دولة النبي (سأتسامح في التعبير في هذه الفقرة)، مبني على كونها مؤمنة. وإيمانها سيخضع إلى امتحان. ولا ندري ما هو هذا الامتحان تحديداً فهذه الآية لم تنصّ عليه. لكنها أوكلته إلى "المؤمنين". والآن نسأل : هل هذا منطق التعامل في الدولة الحديثة المبنية على عدم التمييز بين الناس على أساس الدين والعقيدة وعدم وجود محاكم إيمان وتفتيش عن الإيمان ومدى صدقه من عدمه ؟

في نفس السورة، في آية البيعة ، يقول الله تعالى {يأيها النبي ، إذا جاَءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف ، فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم}. فنجد أوّلاً أن المخاطب بهذه الآية هو محمد ؟ لا. لكنّه هو {النبي}. وهذا ليس اعتباطاً. لم يخاطبه إلا من حيث أنّه {النبي}. النبي الذي يصلّي عليه الله وملائكته. النبي الذي ينبئ بالغيب ولديه أنباء الغيب من لدن الله تعالى. النبي النبي. تفهمون ما معنى النبي ، صحيح ؟ حسناً. بهذه الصفة النبوية ، لا غير ، لا من حيث هو حاكم أو رئيس أو أمير أو أولي الأمر أو أي صفة أخرى ، فضلاً عن أن يكون الرئيس المنتخب أو الملك المختار من قبل أهل الحل والعقد إلى آخره ، أقول بهذه الصفة النبوية قال له {إذا جاَءك المؤمنات يبايعنك}، إذن لم يأمر النبي ويعطيه صلاحية جبر أحد على أخذ البيعة منه ، بل جعل الأمر للمؤمنات ، ولا توجد آية في كتاب الله طولاً وعرضاً تأمر النبي أو تجيز له بأن يجبر أحداً على مبايعته ، لا بيعة دينية ولا بيعة سياسية ولا أي بيعة أخرى بأي معنى من معاني البيعة التي يريدها الطغاة. لكن الأمر موكول بالكلّية، حتّى بالنسبة للنساء، إلى المؤمن والمؤمنة نفسه. فإذا جاء ليبايع النبي ، نعم حينها يبايع على أساس ماذا ؟ ما مضمون البيعة ؟ مضمونها ستّة أمور ، وتخيّل بالله عليك هذه الأمور وحاول أن تتصوّر شخصاً في زماننا هذا يبايع بهذه الطريقة على أساس الدخول في عقد المواطنة مع الدولة. الشرط الأول هو {لا يشركن بالله شيئاً} ، فهل هذه دولة مدنية أم دينية ؟ واضحة. ثم السرقة ، حسناً هذه داخلة في باب الملكية ، والزنا بين بين ، ولا يقتلن أولادهن هذه تحتاج إلى نظر لأن الإجهاض من قتل الأولاد أم لا؟ مسألة خلافية لم تحسمها الآية، فلنتجاوزها . لا يفترين بهتان بين أيديهن وأرجلهن ، هذه متعلّقة بحرية التعبير من جهة ومتعلّقة بعدم نسبة أولاد الرضاعة إلى أنفسهن (وهذا ما أفهمه من "بين أيديهن") أو نسبة أولاد إليهنّ مباشرة (وهذا ما أفهمه من "بين أرجلهن"). حسناً هذه قضية أنساب، ولنقل أنّها مرتبطة بدرجة ما بالعلاقات الاجتماعية الأسرية ، ومتعلّقة بخيط أيضاً بموضوع الملكية.

ويبقى أخيراً {لا يعصينك في معروف}، ولم يقل : لا يعصينك ، ويسكت. فعدم العصيان ليست مطلقاً، بل عدم العصيان مقيّد بأن يكون الأمر {معروف}. ومَن سيحدد أن هذا الأمر {معروف} أم لا ؟ إن كان النبي نفسه، فلا معنى لهذا القيد من الأساس . وإذا كان المبايع نفسه ، فهذا ترك لحرية اختيار مضمون الطاعة للمبايع نفسه فيستطيع أن يتملّص من أي أمر وحكم بحجّة أنه غير {معروف} والطاعة إنّما هي في المعروف حسب مفهوم نصّ البيعة. بالتالي، السلطة لا تزال في يد المبايع حتى بعد البيعة من جهة منفذ المعروف هذا. فبالجملة ، هل هذا نصّ بيعة سياسية لدولة حديثة ؟ أم أنّه قضية دينية إيمانية بين أتباع وقائدهم الذي يعتقدون أنّه نبي وله صلة خاصّة بالله ؟ أترك هذه لك. ثم هذه البيعة لماذا؟ ما الغرض منها؟ إذا كان المبايع سيعطي هذه الشروط الستة من نفسه ، فماذا عن النبي، ماذا سيعطي النبي من جهته ؟ في نصّ الآية ما يشير إلى ذلك وهو {فبايعهن ، واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم}. أي بيعة مقابل استغفار النبي الذي ضمن الله له في هذه الحالة تنزيل المغفرة والرحمة بسبب استغفاره. بيعة مقابل استغفار ، هل هذه بيعة سياسية أم إيمانية ؟

نستطيع ضرب أمثلة كثيرة جداً بل يمكن تأليف كتاب ضخم من مجلّدات في إثبات هذه القضية. الحاصل، الرؤية القرءانية هي رؤية حريّة فردية شديدة بل مفرطة من منظور المستبدّين وبقية الملاعين من أصحاب الدول القاهرة للناس وغير المعتبرة لكرامتهم وحريّتهم الأصلية إمّا كلّهم أو معظمهم أو لا أقلّ الكثير منهم (وهذا في أحسن الدول الحديثة). لا تذهب بعيداً. خذ أمريكا مثلاً. الذين كتب وخطب أصحابها من المؤسسين ما لا يحصيه إلا العليم الحكيم من الخطب المتعلّقة بالحرية والكرامة وما إلى ذلك. فلمّا جاءت النوبة لهم وصارت الدولة إليهم، ماذا فعلوا ؟ استعباد ملايين الأفارقة استمرّ. النساء إلى بعد أكثر من مائة سنة لا صوت لهم في أي قرار سياسي. الهنود الحمر ، حدّث عن مصائبهم ولا حرج حتى وقت قريب عاشه جدّي وجدّك. وهلمّ جرّاً.

النبي اهتمّ بالدفاع عن المؤمنين ليتفرّغوا لبناء الآخرة. ولم يكن له أي همّ وراء ذلك. وتحميل النبي مهمّة لم يدّعيها أصلاً أو نقده على أساس أن تلك المهمّة واجبة عليه، فضلاً عن كونه ظلم فهو جهل شنيع وغباء رقيع. مَن رأى الآخرة وأيقن بها ، وعرف الدنيا وسرعة زوالها ، وعرف الطريق للآخرة ، لا نستطيع تخيّله أصلاً وهو يفعل شيئاً غير الاشتغال بذلك الطريق...نعم يقاتل الذئاب إذا اعترضوا طريقه فقط وحينها "ذنبهم على جنبهم". "قاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحبّ المعتدين".

جماعة النبي جماعة رأسها النبي ، وفي مخّ النبي وحي الله. آتوني مثل هذه الجماعة حتى نبني "دولة إسلامية" أيها الناس، وإلّا فالسكوت من ألماس !

...

كمل من النساَء أربعة ، فاطمة ومريم وخديجة وآسية.

أمّا فاطمة فمظهر جبريل. إذ منها خرجت أنوار الولاية والإمامة ، وكان جبريل ينزل عليها بعد وفاة النبي عليه السلام.

أمّا مريم فمظهر إسرافيل. لأن روح الحياة نفخت فيها بواسطة الروح فكانت مظهراً لقدرة الله على الإحياء وإخراج المسيح الذي يُحيي الموتى.

أمّا خديجة فمظهر ميكائيل. لأنه ملك الرزق، وقال النبي في خديجة "واستني بمالها وحرمني الناس". وكانت ذات مال.

أمّا آسية فمظهر عزرائيل. لأنها طلبت الموت فكان محبوباً لها "رب ابن لي عندك بيتاً في الجنّة".

...

أثناء قراءتي لكتاب "تقليد قَيِّم" (هذه ترجمتي ل"أ وورذي تراديشون") لمؤلفه الأمريكي هاري كالفن جونيور، وهو عن التعديل الأوّل للدستور الأمريكي وتحديداً حرية الخطابة منه، وجدته ينتقد موقف القاضي هيوغو بلاك من حرية الخطابة القائل بإطلاقها ، "لا قانون يعني لا قانون" ، باعتماده على نصّ التعديل الأوّل "ليس للكونغرس إصدار أي قانون يتعلّق ب..الاقتطاع من حرية الخطابة". فالقاضي بلاك يعتبر من أنصار الحرية المطلقة للكلمة. فيردّ كالفن بحجّتين. وسأذكر الحجّة وأردّ عليها إن شاء الله باختصار بحسب ما يناسب هذا المقام.

الحجّة الأولى: "لا أجد أي سبب لإعطاء الكلمة تحديداً الحصانة التامّة" أو كما قال. أي لماذا الكلمة تحديداً يكون لها هذا الامتياز بالحرية المطلقة من بين جميع أعمال الإنسان؟

ردّنا:-

المقدّمة الأولى:الإنسان حرّ بطبيعته. وهو يريد أن يقول ويفعل ما يشاء بدون أي قيد من الطبيعة أو من المجتمع لو استطاع طبعاً. هذا معروف ومُسلَّم. وكل أحد يعرف ذلك من نفسه. وننبّه على هذه الحقيقة النفسية بالمعاناة التي يجدها كل شخص حين لا يستطيع عمل ما يشاء، أو المقاومة العنيفة واللطيفة والحيل والمكر الذي يصدر من الناس من أجل تحصيل القدرة على عمل ما يشاؤون ونيل ما يشاؤون، أو الأحلام-سواء أحلام النوم أو اليقظة-التي يضعها الناس وتوضع لهم ويقبلونها وفيها تحقيق لمرادهم، أو وعود الأديان المختلفة بالوصول إلى حالة تحقيق تلك الحرية وارتفاع القيود والتكاليف، وأدلّة أخرى كثيرة يعرفها الجميع وجدانياً ونظرياً وتجريبياً.

المقدّمة الثانية: لا مجتمع بدون قيود. لأن المجتمع مكوّن من ناس، وكل واحد من هؤلاء هو إنسان حرّ بطبيعته كما مرّ في المقدّمة الأولى. فإذا كان كل واحد يعمل ما يشاء، فبالضرورة ستحدث نزاعات ومصادمات وانشقاقات وأخيراً حروب أهلية فنهاية للمجتمع أو تغلّب طرف على بقية الأطراف وقهره وفرض إرادته عليه. وهذا أيضاً معلوم من الجميع. ولا يوجد أي نوع من تجمّع الناس، اثنين فأكثر، إلا وتوجد فيه قيود على أطرافه، سواء كان الواضع للقيود والموافق عليها هم الأطراف أنفسهم أم غيرهم ممن يقهرهم ويغلبهم أو يرعاهم وينظر في مصالحهم.

النتيجة الأولى من الجمع بين المقدّمتين هي: طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع في حكم الأضداد.

السؤال الآن: كيف نوفّق بين طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع؟ وهنا نحن نفترض أفضل المجتمعات وهو الذي تكون السلطات الثلاث فيه مختارة "من الشعب وبالشعب ومن أجل الشعب" حسب العبارة الشهيرة للرئيس الأمريكي لنكون. حتّى في هذه الحالة التي القوانين فيها من اختيار الناس، فمع ذلك ستوجد فئات كثيرة معارضة لأي قانون تقريباً ، كلّياً أو جزئياً ، وهي التي غُلِبَت في التصويت عليها. وستوجد فئات لم تشترك أصلاً في العملية ، إمّا انشغالاً عنها أو يأساً من فائدتها أو عجزاً عن الفوز فيها والدخول في معتركها. وحتى تلك الفئات التي اختارت القانون وصوتت لها وفازت، فإنّها ستشعر حتماً بضغوط تحمّل عبء القوانين العادلة والجيّدة كما يجد أي شخص يتناول الطعام الصحّي صعوبات في تحمّل ذلك بدلاً من الانغماس في اللذات المختلفة خوفاً من الأضرار الصحّية العاجلة أم الآجلة. فحتى القانون الجيّد يشكّل عبئاً وتكليفاً على الإنسان المقتنع به تمام الاقتناع. فحتّى مع افتراض أحسن حكومة، وأحسن قانون، يبقى عبء القيد الاجتماعي قائماً على الفرد الحر ذاتياً. فالسؤال باقٍ مع كل تلك الفرضيات العالية جدّاً والنادرة أيضاً. فما العمل؟ كيف نوازن بين طبيعة الفرد وطبيعة المجتمع؟

جوابنا هو: الموازنة الوحيدة المعقولة الواقعية هي بالفصل بين القول والفعل. وإعطاء الفرد حرية مطلقة (أي حرية، لأن كل حرية مطلقة) في أقواله، مع تقييده في أفعاله. وهنا نحن نقصد القول الاجتماعي الظاهر، أي لك أن تقول ما تشاء في المجتمع وتنشر أقوالك وتوصلها لغيرك. فالقول بحد ذاته ليس جريمة. وهذه هي الميّزة الكبرى للقول التي لم يجدها الأخ كالفن، والتي تجعل الكلمة غير بقية أعمال الإنسان الاجتماعية.

الحجّة الثانية: "يمكن الفوز في المناظرة بمجرّد ذكر تقنين واحد لأي نوع من الكلام" أو كما قال. أي بما أننا موقفنا هو الحرية المطلقة للكلام، والإطلاق يمكن كسره بشخص واحد مخالف لمضمونه، فقولنا "تحرير كل كلمة" يمكن كسره بالإتيان بمثال ونموذج واحد على كلمة تم تقييدها.

ردّنا على ذلك: إذا نظرنا إلى أي نموذج لتقييد الكلمة في مجتمع يأخذ بمبدأ الحرية الكلامية، أي المطلقة، سنجد أنّه لا يمكن تبريره إلا على أساس واحد وهو تقييد الإنسان نفسه بنفسه. أي الإنسان الذي يختار أن يلزم نفسه بالتكلّم بشئ أو عدم التكلّم بشئ، فهو مُلزَم بذلك بحكم تعاقده الذاتي وليس بحكم فرض أحد عليه ذلك، أيا كان هذا الأحد، فغير ذاته لا تستطيع تقييد كلامه إذا كنّا سنعمل بمقتضى الحرية المطلقة للكلمة.

فمثلاً، شخص اختار بإرادته الكاملة أن يتقدَّم للعمل في المخابرات السرّية. وقرأ في العقد بنداً يلزمه بأن لا يتكلّم بالمعلومات التي يرى عليها عبارة "سرّي" أو "سرّي للغاية"، واختار أن يوقّع على هذا العقد بدون أي تحفّظات كأن يقول لهم: أريد تعديل هذه المادّة لتصبح "إلا إذا كان المعلومات في مصلحة المواطنين وتمّ التكتم عليها لأغراض غير شرعية" أو شئ من هذا القبيل. كلّا. بل وافق طائعاً غير مكره على التوقيع هذا العقد تحت طائلة عقوبات معيّنة منصوصة فيه في حال خالف ذلك وتكلّم بمعلومات سرّية. نعم، حينها الذي قيَّد كلام هذا الشخص هو نفسه مباشرة. في هذه الحالة هذا لا يُعتَبَر تقييدا لحرية الكلام، لأن الحرية تتضمّن تقييد الحرّ نفسه بنفسه. فمثلاً ، أنا أقيّد نفسي بأن لا آكل اللحوم ، فهنا تجربتي غير لو فُرِض عليّ بأي شكل من الأشكال من غيري من البشر مثلاً أن لا آكل اللحوم. أنا اخترت ذلك لنفسي. الطبيعة مشخّصة. فلا يظهر فيها إلا الشئ المشخّص المقيّد. بالتالي، لابد أن يختار أي حرّ عملاً ما يعمله دون غيره. واختياره هذا هو نوع من التقييد لنفسه، لكن هذا لا يطعن في حريّته. فمثلاً، أنا قررت أن آكل الآن التفاح، فهذا تقييد لنفسي ، إذ كان بإمكاني أن آكل الدجاج. وفي أي لحظة من اللحظات لا أستطيع إلا أن اختار شيئاً من بين أشياء أعملها. إذن من حريّتي أن أقيّد نفسي. فالحرية ليست عدم القيود، لكن عدم القيود من غيري. وهنا مربط الفرس. لأن الشئ الذي أريده أنا أريده أنا ! إذن أنا ممارس لحريّتي في إرادته.

إذن، في حال أراد الإنسان تقييد كلامه ، وهو غير مُكرَه على ذلك ، وألزم نفسه بعقوبات معيّنة في حال خالف إرادته، فمعاقبته تكون من نفس إرادته. أي معاقبته تكون إنزال شئ حكم به على نفسه. كالذي يقول لزوجته "إذا لم أستيقظ الساعة السابعة صباحاً غداً فصبّي عليّ وجهي كأساً من الماء". أنا أعلم أن هذا مثال ساذج، لكن الفكرة واضحة به كما بغيره من الأمثال الأكثر تعقيداً. ولنأخذ مثالاً واحداً غيره وهو: شخص تبرّع بالشهادة في قضية ، فوقف على الخشبة وحلف اليمين أو تعهّد بأن يقول ما يعلم أنه الحق وأنّ يستحقّ العقوبة في حال تبيّن كذبه المقصود. في هذه الحالة يكون كذبه مجيز لمعاقبته بناء على إرادته، أي كأنّه في تلك الموافقة قرر وضع قانون على نفسه. فهو حرّ وله ذلك. أي من صلب الحرية حرية تقييد النفس بشئ. فالحرية إمّا إرادة عمل شئ أو إرادة الامتناع عن شئ. وهو هنا صنع القانون ضدّه بإرادته الامتناع عن شئ.

وعلى ذلك، يمكن تأسيس القيود الكلامية مع كونها حرّة مطلقاً وفردية. إلّا أنّه لابد من مراعاة الشرط الذاتي الفردي فيها ، وإلّا كانت قانوناً آخراً في المجتمع ، وينطبق عليها ما ينطبق على سواها من الأفعال.

الخلاصة: تمييز القول عن الفعل ، وتحرير القول مع تقييد الفعل ، هو أهمّ علاج أو مخفف لعبء المجتمع على الفرد. ولا يوجد غيره إلّا صراع مستمرّ على السلطة لقهر الآخرين وفرض الذات. والصراع سيقيّد الفرد بقيود نارية متعددة كما هو معلوم، بالتالي هو ليس حلّاً من الأساس لكنّه مزيد من القيود على الجميع، القاهر والمقهور. ففي مجتمع يريد السلام قدر الإمكان، وليس السلام المطلق المستحيل في هذا المكان، لا يوجد كطريق لهذا السلام إلّا الالتزام بالحرية المطلقة للبيان.

...

لا يوجد اعظم من الكلمة.

لان الكلمة تجمع بين الوجود والعدم. بينما الموجود هو فقط موجود. مثلا ، الشمس موجودة. اقصد الشمس الخارجية لا اللفظية. الحجر موجود وهو فقط حجر. لكن بالكلمة نستطيع التعبير عن موجودية الشمس والحجر فنقول "الشمس والحجر" ، الا اننا فوق ذلك نستطيع التعبير عن أشياء غير موجودة بل حتى مستحيلة الوجود. مثلا نقول "دائرة مربعة". هنا نحن نصف شيء يستحيل وجوده ولا حتى تخيله. الا اننا عبرنا عنه بالكلمة .

الموجودات اما واجبة وقطعية الوجود ، وإما ممكنة ومحتملة الوجود ، وإما مستحيلة وممتنعة الوجود. واجب او ممكن او مستحيل. الشيء الوحيد في الوجود القابل لهذه الثلاثة هو الكلام لا غير. فما تتخيله أيا كان هو شيء موجود بدليل انك تتخيله ، وأيضا هو شيء ممكن الوجود عقليًا وإلا لما استطعت ان تتخيله من الأساس . فالخيال يقدر على تصوير الواجب والممكن ، لكنه لا يدخل في ميدان المستحيل المطلق.

الحرية من الجهل بالوجود تكون بالعلم به . لكن الحرية من الوجود نفسه لا تكون الا بالكلمة . فالكلمة وسيلة للعلم ووسيلة للتحرر من كل موجود . إذن الكلمة اعظم وسيلة وأعظم حرية .

من هنا نلاحظ في الدعاء المشهور عن النبي "أسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او أنزلته في كتابك او علمته احدا من خلقك او استأثرت به في علم الغيب عندك ، ان تجعل القرءان ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي" ، نلاحظ انه توسل بكل الاسماء الإلهية من اجل ماذا ؟ من اجل الكلمة الإلهية . فتصور عظم الكلمة بعظم وسائل تحصيلها. مثلا لو أردت حمل ثقل خفيف قد تستعين بشخص او شخصين ، لكن اذا استعنت بألف شخص فهذا يدل على عظم المحمول. كذلك هنا النبي استعان بكل الاسماء الإلهية الغيبية والشهودية من اجل الكلمة الالهية .

إذن ، الكلمة اعظم موجود لانها تدل على الموجود وغير الموجود. فهي برزخ بين بحر النور وبحر الظلمة ،بين الحقيقة والخرافة ، بين الصدق والكذب ، باختصار بين الوجود والعدم. وهذا من اعجب الأشياء ان يكون ما هو موجود مثل الكلمة يوصل الى ما هو معدوم مثل المستحيل والكذب. قال الله عن الذين نسبوا له الولد "كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبًا".

قال: الكلمه=العلم
نعرف الوجود بالعلم وان لم يكن هناك علم لما عرفنا عن الوجود مع انه موجود ولكن بلا تعبير عنه او علم .. لهذا الايمان بالغيب شيء ليس صعب ابدا لأنه واضح لنا انه قد يكون هناك شيء موجود لكن لا نستطيع التعبير عنه او تسميته مثل المشاعر او حتى الهواء الذي لم نفهمه الا ببعض التجارب
قلت: الكلمة اوسع من العلم ومن الجهل ، لانها يمكن ان تعبر عن العلم وعن الجهل.
الغيب يمكن التعبير عنه بالكلمة ، لكن الغيب هو ما لا صورة له . له حقيقة لكن ليست له صورة. الصورة في الخيال وفي المادة ، لكن الفكرة والمشاعر مثلا لا صورة لها . فهي غيب من جهة لكنها مشهودة من جهة أخرى. والكلمة اوسع من الغيب والشهادة لانها يمكن ان تعبر عن الغيب وعن الشهادة .
...
من هواياتي محاولة تصنيف التعليقات التي اقرأها على مختلف وسايل التواصل الاجتماعي.
وأول ما يلفت النظر هو كثرة هذه التعليقات بالرغم من ان معظمها غير مفيد بدرجة معتبرة. فحاولت تصنيف التعليقات التي يمكن حذفها بدون التأثير على الآراء المختلفة المباشرة . فوجدت أربعة أصناف من الشخصيات او التعليقات تتكرر في كل سلسلة من التعليقات تقريبا خصوصا العربية (جرب اقرأ مثلا تويتر وانظر نسبة التعليقات الخارجة عن هذه الأصناف الأربعة) .
الصنف الأول : أبو دعاء . هؤلاء تجدهم يبتهلون ويحوقلون ويحسبنون ويستغفرون فقط و كان هذه مشاركة فعالة او كان الدعاء لا يستجاب الا اذا كتبه على وسايل التواصل . الأفضل لهذا الصنف ان يدعو في سره ولا يزيد حجم التعليقات الكثيرة والفوضوية من الأساس.
وان كان يريد التعبير عن رفضه لشيء فليذكر سبب رفضه بالتحديد وإذا كان يريد التعبير عن حبه لشيء فليذكر سبب حبه او شيء يضيف جديدًا للموضوع. اما مجرد التأييد او الرفض العام فإشارة لايك او ديسلايك كفاية.
الصنف الثاني : أبو شتيمة . ما اكثر ذرية أبو شتيمة ! خصوصًا اذا كان الشاتم يستعمل اسما مستعارا ولا صورة له ، او كان شخص مجهول ويشتم من لا يعرفه او في بلدة أخرى . مقدار جهل واحتقان وغضب الكثير من الناس يظهر في هذه الشتايم. ويظن الشاتم ان

الناس ستغير رايها بسبب شتيمته ، والغافل لا يدرك ان الناس تبلدت
احاسيسها بهذا الشأن وصارت لا تلتفت عموما لهذا النوع من التعليقات.
الصنف الثالث : أبو مؤامرة . هذا صنف مصاب بالهوس عمومًا. كل
صغيرة وكبيرة عنده تمثل حلقة في سلسلة مؤامرة جهنمية ، وهو وحده
اكتشف السر العظيم وسينبه الجميع عليه ويفسر لهم كيف ان هذا
البوست او تلك التغريدة هي تعبير عن مخطط مدروس. حتى لو كان
موضوع الكلام هو حفايض الأطفال ! (ومعلوم ان الكلام عن الحفايض
فيه خدش للحياء وتدنيس للأخلاق والعياذ بالله !) الصنف الرابع : أبو شوفوني . هذا شخص عادة غير
متبوع ولا مشهور
ويريد لفت الأنظار لاسمه وحسابه ، فيذهب الى حسابات جادة او
لها متابعين ويبدا بالنقد الغبي وقول اي شيء فقط لتنبيه الناس على
قدراته العجيبة وافكاره الثاقبة وكأنه يقول لهم "ابوس ايدكم شوفوني وتابعوني". الخلاصة : قبل ان
تتلفظ ، انظر الى مضمون كلامك وضعه اما في واحدة من النفايات الأربع السابقة او انشره ودع
الناس تتمتع بكلام مفيد .
...
كم طريقة توجد لمعرفة النار؟
يمكن معرفتها بالنظر واللمس؛ فحين تقترب منها تشعر بالحرارة وحين تلمسها
تحترق. وهي المعرفة الذوقية.
يمكن معرفتها بالسماع؛ شخص اخر اخبرك بوجود النار
وبعض صفاتها ، وأنت تثق بهذا المخبر في كونه لن يكذب وفي كونه
يحسن النظر والوصف. ومجرد السماع لن يعرفك حقيقتها ولن
تفهمها وستضطر الى قياسها على شيء مشهود لك حتى تستوعب
وصفها. وهي المعرفة التقليدية.
هذا هو الفرق بين المعرفة المباشرة وشبه المعرفة، وينطبق التمييز
على جميع مجالات المعرفة.
كلما ازداد الذوق كلما ازداد اليقين. وكلما ازداد التقليد كلما
ازداد الشك والرفض والالحاد.
من هنا نجد أهل العلم عندنا وضعوا ثلاثة طرق للوصول لليقين في مجال
المعارف الالهية. بعض الطرق اعلى من بعض بحسب مقدار الذوق
فيها. والطرق هي العرفان والبرهان والقرءان. او المعرفة والفلسفة
وعلم الكلام. اسماء كثيرة تشير لمعنى واحد.
العرفان هو الطريق الأعلى . لانه مبني على الذوق والمشاهدة المباشرة
للمعاني الوجودية وحقائق العوالم. ووسيلة العرفان هي السر . وهو
عين الذات الإنسانية وأعمق نقطة نورية ومركز كيان الفرد.
الفلسفة هي الطريق الأوسط . لانه مبني على التفكير الذهني والقياس
المنطقي المحدود بحدود التجربة الشخصية للمفكر ومزاجه وأغراضه .

علم الكلام يأخذ المعاني الواردة في النصوص الايمانية ويفهمها
بحسب مذهب القارىء ثم يبدا بصناعة حجج فكرية للدفاع عن مذهبه
العقدي ولو استعمل المغالطات احيانا والتشغيب لان همه الأساسي
الدفاع عن شيء يعتقده تقليدًا وليس اكتشاف حقيقة ما أيا كانت.
فالعارف والفيلسوف ينطلقا بحثا عن الوجود ، الأول بالمكاشفة والآخر
بالتفكير. اما المتكلم فهو محامي دفاع اكثر منه متأمل ان مفكر لكنه
احسن حالا من المقلد الخالص الذي لا يفهم شيئا.
الان ، تصور وجود ناس ينكرون العرفان والفلسفة وعلم الكلام ،
اي الطرق التي تبلورت في هذه الثلاثة ، فهل تستغرب من انتشار
التعصب فيهم او حتى الإنكار التام للعلم الإلهي والسخرية
من أهل الله والعقل والجدل. انظر الى جميع المتطرفين والمتعصبين ،
وستجد ان غالبيتهم العظمى ان لم يكن كلهم ينكرون هذه الطرق المعرفية.
فالعرفان عندهم هذيان ، والفلسفة تفاهة وزندقة، وعلم الكلام بدعة في الإسلام.
فهم في الواقع لا يعرفون ما يدعون انهم به يعتقدون.
ولذلك يملؤون فراغ الجهل بالتعصب والصراخ ، لا اقل
لكي يظن غيرهم -ممن هو اجهل منهم- انهم "متحمسون مخلصون". الخلاصة : احترم روحك وعقلك ولا تدعي انك تعتقد بشيء وأنت في
الواقع لا تعتقد به ولا تعرفه . قال الحق "ولا تقف ما ليس لك به علم "
...
من مصلحة كل إنسان تعلم القانون
لماذا ؟ لان كل شيء ستعيشه محاط بالقانون. بداية من المجتمع نفسه. فكل مجتمع في نهاية التحليل يقوم على ثلاث قوى وان اجتمعت كلها في مصدر واحد كأصل وهي:
قوة التقنين (هذه تضع القوانين) ، وقوة
التنفيذ (وهذه تنفذ القوانين) ، وقوة القضاء (وهذه تقضي بين المتخاصمين بالقوانين). لاحظ ان كل شيء يرجع إلى القوانين ، وضعًا وتنفيذاً وقضاءً. فإذا كان المجتمع مثل الدائرة فالقانون هو نقطة المركز التي ترجع اليها الخطوط كلها.
نفس هذا الأمر ينطبق على اي اجتماع بشري مرتب. خذ مثلا الشركة التجارية. لها أوامر يضعها الملاك والمدراء ، وفيها من ينفذ تلك الأوامر كالموظفين ، ولابد ان يكون فيها
من يحل الخلافات الناشئة في الشركة.
مثلا الأسرة . يوجد واضع لاوامر ، الأم او الأب مثلا. ويوجد من ينفذ تلك الأوامر مثل الأولاد. ويوجد مرجع لحل الخلافات كرجوع الأولاد الى ابيهم اذا حدث بينهم خلاف.
نعم ، يوجد فروق ، لكن المعنى العام واحد وهو محورية الامر.
فحتى تفهم الحياة الاجتماعية لابد من ان يكون لديك مقدار معين من فهم روح القوانين وطبيعتها.
سبب اخر : حتى تكون لديك قوة سلمية. خارج المجتمعات الحضارية ، القوة عادة عنيفة . فمن يغلب بيده هو الغالب.

لكن في المجتمعات الإنسانية القوة لطيفة ، يعني قوة قانون. فالخلافات تنحل بالكلام ، بالجدال ، بالقضاء. وبما انك لا تريد أخذ حقك من خصومك بيدك وإلا وقعت عليك العقوبة فأنت بحاجة لفهم مصدر قوتك وهو قوانين بلدك ، وأنت بحاجة إلى تنمية قدراتك الكلامية والجدلية حتى تغلب خصومك. قانونك قوتك. ولا تستطيع الاعتماد التام على توكيل غيرك للدفاع عنك، وحتى اذا وكلت محاميا مثلا فلابد من ان يكون لديك مقدار من الفهم حتى تتابع معه وتتأكد ان هذا المحامي يدافع عنك فعلياً وليس فقط يسحب

منك الأموال.

ان تعيش في مجتمع حضاري بدون تعلم شيء عن القوانين يشبه ان تعيش في الغابة بدون تعلم شيء عن النباتات والحيوانات وتحديدًا الثعابين !

قانون بلدك هو قوتك ، فعليك برعاية هذه القوة.

...

لاحظ الفرق بين الاثنين

حين أراد الحق تعالى تنزيل كلمته على رجل وعلى امرأة. الآية تقول"وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل

رسولًا فيوحي باذنه ما يشاء". إذن ثلاثة أنواع وحي وحجاب ورسول.

١- أما الرجل فهو موسى. بدا الله معه بالعكس ، يعني أرسل له رسول وذلك في قصته مع العالم في سورة الكهف ومع الشيخ الكبير، ثم كلمه من حجاب النار ، ثم كلمه وحيا مباشرا بلا رسول ولا حجاب في الميعاد بعد بعثته وأشرق عليه النور مباشرة.

٢- أما المرأة فكان حالها اعلى وهي مريم. لان الله بدا معها بالوحي ثم الحجاب ثم الرسول. فقال "واذكر في الكتاب مريم ، اذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا. فاتخذت من دونهم حجابا ، فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا". هذه الإشارة كشفت ما حدث. فالشرق عبارة عن إشراق النور مباشرة ، ثم الحجاب ، ثم الرسول. فكانت الملائكة تكلمها ويأتيها الرزق من لدن الله مباشرة. بل حتى الرسول الذي جاءها كان ملكًا متمثلًا وليس بشرا عاديا.

إذن مريم بدأت من فوق إلى تحت ، وموسى صعد من تحت إلى فوق. والذي يبدا من فوق اكمل ممن يتدرج من تحت. مريم تنزلت وموسى عرج. فبداية مريم هي نهاية موسى .

لماذا ؟ لان قابلية المرأة لظهور الكمالات العليا اكبر عادة من قابلية الرجل.

والسبب واضح وهو ان المرأة تستطيع إظهار ما يظهره الرجل وزيادة.

فكمال الرجل في العلم والعمل ، والمرأة قد تعلم وتعمل أيضًا. لكن لها زيادة مثلا في جسمها من حيث إظهار صفة الخلق بالولادة ، وصفة الرزق بالرضاعة، وصفة الرحمة بالعناية الخاصة.

الروح واحدة ، في كل الناس. فالفروق جسدية، ومن حيث المعاني

والصفات الكمالية جسد المرأة اكمل من الرجل كما وضحنا. لكن لان الروح تتشكل بحسب الجسد ، فقابلية روح المرأة لاستقبال النور الإلهي اعظم لانها تفهم معنى الاستقبال والحمل والولادة والرعاية بحكم التجربة الجسدية.

وعبر التاريخ تميز الرجل لانه افقر جسديًا ، فبحث عن الكمالات تجريديًا بروحه وعقله ، فكان أغزر انتاجا. فالرجل يتجه للنور عادة حين يفتقر ماديًا او حين لا يشبعه العالم المادي ولذلك توجهه جيد لكنه

مصبوغ بالفقر بحسب نيته. أما المرأة فتوجهها يكون كماليا فلذلك حين تجدها توجهت يخرج منها شيء عظيم ... مسيح مثلا !

...

يوجد-بأحد الاعتبارات-نوعان من القراء.

الأول قاريء نرجسي. الآخر قاريء أمي

أما النرجسي ، فهو يقرا ليبحث عن من يوافقه فقط. ينظر في المكتوبات كما ينظر في المرآة ؛ يريد ان يرى صورة وجه ذهنه وعواطفه ولاشيء غير ذلك. فإذا وجد ما عنده قال "احسنت، هذا عين العقل وزبدة الصواب، كثر الله من امثالك". المشكلة الأساسية في القراءة النرجسية هي هذه : لماذا يقرا !؟ إذا كان يعرف كل شيء ، وهو في حالته الحالية يعتبر نفسه في حكم الكمال، فما الفائدة من اضاعة الوقت والجهد في القراءة. وهذا يكشف لك عن احد اهم أسباب عدم قراءة الكثير من الناس واعتبارها عمل أساسي في اليوم؛ لانهم غرقى في النرجسية. يعرفون ما شاء الله كل شيء ولا حاجة للمزيد. فموقف هؤلاء أفضل من موقف الذي يقوم بالقراءة لكن بنرجسية.

أما الامي ، فهو الذي يعتبر نفسه في حكم الطفل المولود حديثا أمام المكتوب الجديد ، يريد ان يتعلم منه لا ان يحكم فقط عليه او ما هو أسوا الحكم على صاحبه. الامي أفضل القراء ، لانه لا يتقيد جوهريًا بفكرة او عقيدة او مذهبية تمنعه من فهم المكتوب على ما هو عليه. الامي في القراءة نقي السريرة ، ثاقب النظر ، منفتح على آفاق المكتوب حتى انه قد يصل إلى اعماق وأبعاد لا يعرفها الكاتب نفسه ! الامي ليس الجاهل ، الامي مثل المولود حديثا ، فضولي متعجب باحث متحسس متلمس مباشر صادق.

النرجسي صنم مُكَبَّل بالقيود ، والأمّي حر محب للوجود.

ولذلك قيل للامّي "اقرأ باسم ربك الذي خلق". ولكن قيل لأشباه النرجسي المنغلق على ما عنده والرافض للجديد "تبت يدا ابي لهب وتب".

مع العلم ان الكثير الكثير ممن يدعي انه يتبع النبي الامي هو في الواقع يتبع عدوه النرجسي.

واهم مظاهر النرجسية في القراءة ؛ اعتبار رأيك كل شيء وراي غيرك لا شيء. اعتبار ما تفهمه هو عين اليقين وما لا تفهمه عين الجهل. اعتبار الجديد عليك غير مهم لا لك ولا لغيرك. ان لا تعرف درجتك في المعرفة وتترفع على غيرك وأنت لا تعرفه. شتم المتكلمين بالمخالف للمعتادوالمقبول عندك بدون فهمهم كما قال أبو لهب للنبي "تباً لك". ومظاهر أخرى. النرجسي سفيه وضعيف ويظهر ذلك لكل من يسمعه او يناقشه.

واهم مظاهر الأمية في القراءة : عكس ما مضى . التفكير الطويل في

الجديد . الشعور العفوي بقيمة الكلمات واصحابها. قلب الامي قلب مريمي: لانه طاهر فالحق يلقي فيه كلمته وروحه.

قالت: اختيارك للمصطلحات يعمل شوشرة في برامج قديمة في عقلي بس المعنى وصل وضرب ضربته واستقر ... بارك الله في كلماتك ... سؤال: ما الحل مع النرجسية إن كانت فينا أو في من حولنا؟
قلت: بالنسبة للنرجسية فينا فيوجد على الأقل علاجان : الأول هو ان نتذكر ان علمنا محدود ، وعلم الله غير محدود ، والله اشرق بنور علمه على الكل ، اذن لابد ان يوجد عند غيري علم انا لا اعرفه، بالتالي انا منفتح على الغير والانتفاع بهم. الثاني أخبرتني به زوجتي وهو ان نقول "لماذا هذا الكلام صحيح؟" حين نطلع على كلام الآخرين . اي نبدأ بافتراض صحته ووجود حقيقة فيه حتى يثبت العكس. فالكلمة بريئة حتى يثبت بطلانها. على عكس النرجسي الذي يفترض كلام غيره-خصوصا اذا كان خصمه-هو كلام باطل لا يمكن ان يكون صحيحًا أبدا . فعلينا ان نعود أنفسنا البحث عن الوجه الصحيح لكلام الآخرين مهما كان ضعيفا او على الأقل أخذ فايدة من الكلام الباطل والسفيه وهي ان نحمد الله انه عافانا من بلوى سوء الأدب التي ابتلي بها الاخر. هذا مجرد مثال للتقريب .
اما بالنسبة لكيفية التعامل مع الاخر النرجسي : فهي الاعراض عنهم. انا جربت كثيرا ان اهتم بهم واناقشهم واعتبر ان لهم عقول تستحق النظر فيها وان الكلام معهم قد يفيدهم. الا انه في كل تجربة تكون النتيجة تاكيد انهم في حالة صعبة جدا وليس من تخصصي الاهتمام بهم وخصوصًا بالمجان ! من ابرز أمثلة النرجسيين هم المتطرفين المعروفين للجميع ولا حاجة للتسمية ، فهولاء من ابدع مخلوقات الله في الجهل والعناد ، ويعتبرون كل غباء يصدر منهم هو عين اليقين والصواب والبديهيات والمسلمات التي لا يختلف عليها احد من العقلاء بل والحيوانات ! كيف تناقش مثل هذا ؟ لا فايدة حسب تجاربي الكثيرة جدًا. ولي معهم نقاشات لو جمعتها في كتاب لكان كتابا ضخما ، والنتيجة دايما انه يبقى سفيها عنيدًا ، بعبارة أخرى يبقى نرجسي القراءة . ولذلك صرت اعتبر النرجسي مريض بمرض ذهني نفساني حقيقي، وأشفق عليه. وارى الحل هو الإعراض عنهم ، وحذفهم اذا شاغبوا وقللوا أدبهم في وسائل التواصل حتى لا يعكروا على البقية في مساحة خاصة بنا.
...
في كل أمة يوجد مقرّبين وملاعين.
حين تنزل كلمة الله على قلب الأمة الذي هو رسولها ، ينتج عن ذلك نور وظلمة. فقمة النورانية وقعر الظلمانية ينتجا عن تنزل الروح في الطبيعة المادية. وطبعا توجد درجات بين القمة والقعر.
فمثلا في امتنا حين نزل القرءان نتج عن ذلك وجود الاولياء ووجود الخوارج. فقال النبي عن الاولياء "أهل القرءان أهل الله وخاصته"، وقال عن الخوارج "يقرأون القرءان لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية". فالقمة صارت قمة بسبب تعاملها مع القرءان ، والقعر صار قعراً بسبب كيفية تعامله مع القرءان. فالروح الذي هو القرءان هو سبب العلو والانحطاط في العالمين والمنحطين.
ابرز ممثلي القمة هم العارفين. ابرز ممثلي القعر هم المتطرفين.
ما معنى "أهل" الله ؟ الأهلية تشير الى التأهل بمعنى الاستعداد لقبول

الشيء ، وتشير الى الزوج المرتبط بميثاق بزوجه. كذلك أهل الله ، لانهم
فرغوا قلوبهم لتقبل معاني القرءان ، ولانهم ارتبطوا بميثاق العلماء بالله
وهو ان يبينوا القرءان للناس ولا يكتمونه ولا يبيعوا كلمتهم لاحد، بهذين
صاروا "أهل القرءان". ما معنى "خاصته"؟ الخاصة عكس العامة ، وهم الذين يقربهم الشخص ويخبرهم بأسراره ويكلمهم في خلوته. كذلك أهل القرءان هم خاصة الله لانه يكشف لهم بالقرءان عن أسراره وحكمته وإرادته، وبالقرءان يعرجون الى مجالسة الحق تعالى كما قال الحق "انا جليس من ذكرني". فالولي يكلم الله دايما ويلهمه الله دايما. هذا بالنسبة لقمة المسلمين.
اما قعر الأمة فهم أناس لا يجاوز القرءان تراقيهم والترقوة هي عظمة اعلى الصدر ، والمعنى انهم يتلون القرءان بألسنتهم ويجادلون به وفيه بأذهانهم ولكن لا يدخل قلوبهم ولا يعرفون معانيه بعين القلب المقدسة. وفي رواية انهم "يقتلون أهل الإسلام" فمن ميزاتهم العنف ضد المسلمين تحديدًا ، عنف اليد وعنف اللسان ولا يبالون بكل قلة أدب مع المسلمين وأبرز عداواتهم تجدها مع أهل الله وخاصته حتى انك تستطيع اكتشافهم بمجرد النظر في تفاعلهم مع أهل الله الروحانيين وخاصته الاشراقيين. وتجدهم يهتمون بالصور والمظاهر والأشكال والحرفيات ، ولا يستطيعون ادراك اعماق اي شيء ،
لانهم هم أنفسهم لا عمق لهم وفيهم ، كائنات مسطحة . في اي مكان يحلّوا فيه تنتشر الكآبة والغم وقلة العقل واحتقار السلوك الحقيقي إلى ملكوت السماوات والأرض.
كل أمة لها رحمة وعليها لعنة. رحمتها في الروحانيين المتعمقين ، ولعنتها في الشكليين المتعصبيين.
"وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين"
...
يوجد في كل نفس أضداد.
فمن ناحية تريد الراحة ، ومن ناحية اخرى تريد الجديد. لكن الراحة تطلب القديم ، المعتاد ، المعروف ، المستقر. وهذا عكس مقتضى التجديد ، لان التجديد يطلب المتغير ، النامي ، المتطور ، المتنوع .
فإذا غرقت في الراحة ، عذابك سيكون بالملل . وإذا غرقت في الجديد ،
عذابك سيكون بالقلق والاضطراب والخوف. فالنفس بين نارين ، ونادرا ما تهتدي لطريق يحميها من هذين النارين.
النفس من ناحية تريد العلو والتجريد ، ومن ناحية اخرى تريد النزول والتجسيد. فإذا طلبت التجريد الذي هو الخروج عن كل صورة وقيد خيالي وحسي ، فان ذلك يكون بالعقل والذكر والعروج الروحي. لكن هذا التجرد والتنزيه في كل خطوة منه يودي الى الابتعاد خطوة عن الجسد واحاسيسه وشهواته ، بالتالي يحدث خلل في النفس بسبب الحرمان من تلذذ النفس بالطبيعة المادية. وإذا طلبت النفس التجسيد ، ونزلت الى شهوات الجسد وسبحت في عالم المادة ، فانها مع الوقت ستتكثف وتتثاقل وتتصخر وتضيق وتتصاغر الى ان تشعر بالاختناق والموت والنفرة الشديدة من الحياة والناس والكآبة المزمنة. فاذا غرقت في العقل ستتعذب بالجسد ، وإذا غرقت في الجسد ستتعذب بالعقل.
والنفس بين نار التجريد ونار التجسيد حائرة لا تعرف طريق خلاصها ولا الموازنة بين ابعادها ومستوياتها ، الا نادرا .
النفس من ناحية تريد التفرد والاستقلال والحرية ، ومن ناحية اخرى تريد التجمع والعلاقات والأسرة والكثرة والتبعية. لذلك بعض النفوس قد يرفض الكل من اجل الاستقلالية ، وفي وقت اخر يكبل نفسه

بالقيود من اجل الانخراط في تجمع بشري أيا كان شكله. التفرد حين لا ترى الا نفسك وانت مركز الوجود. التجمع حين ترى غيرك وتعتبره جزء من
نفسك. فبين الانكماش على الذات والانبساط على الغير تكمن حقيقة النفس القابلة للضدين. والمشكلة انك اذا انكمشت سيحاربك غيرك ممن حولك من الكائنات ليس فقط البشرية بل حتى الحيوانية وغيرها لانها موجودة مثلك وستطالبك حتما بالاعتراف بوجودها. وإذا انبسطت واعترفت بغيرك كجزء من وجودك فستنحجب عن حقيقة تفردك وتضيع في الكثرة بعد نعيمك وقوتك بالوحدة.
وعلى هذا النمط تعيش النفس بين أضداد كثيرة بسبب هبوطها لعالم الطبيعة والكثرة. فان قلت : فما الحل ؟ ساقول : ان تكون في عالم انت مركزه ويتحقق لك فيه كل ما تريده. هذا العالم انت لست مركزه ولا يتحقق لك كل ما تريده. فاذا حاولت ان تفرض مركزيتك ستفشل
حتما وستعاني حتما بسبب وجودك غيرك ممن يريد نفس الشيء. وإذا حاربت إرادتك ورغباتك فهذا من صلب عذاب النفس. اذن انت بحاجة الى عالم اخر ، هل يوجد ؟ وان نعم ، فما الطريق للوصول اليه ؟ اسأل رحمة للعالمين.

قالت: خير الامور أوسطها.
قلت: نعم لكن المشكلة في الوسط أنّه يجعلنا نقد جمال طرف اليمين وطرف الشمال ! يشبه هذا شخص لا ينغمس تمام الانغماس في الأكل الشهواني ولا يلتزم تمام الالتزام بالأكل الصحّي، بل هو في الوسط يأكل شئ من هذا وشئ من هذا. فمثل هذا الوسطي وإن كان مصيبته أخفّ من مصيبة الشهواني التام والصحّي التام، إلّا أنّه أيضاً لن ينال اللذات الكبيرة التي يجدها الشهواني التام، كما أنّه لن ينال الصحّة التامّة وقوّتها التي يجدها الصحّي التام. فالوسط ضعيف . والإنسان حين يختار الوسط يكون قد اعترف بأنّه لم يحصّل الأطراف التي يتمنّى لو كان يستطيعها، وهذا بحدّ ذاته مشكلة جديدة. فالمشكلة التي أشرنا إليها في المقالة باقية على حالها ما دام الإنسان في هذا العالَم...أو هكذا نظنّ على الأقلّ.

...

يوجد وقت للقول ، ووقت للفعل.
وقت القول حين نحتمل -احتمالاً واقعياً- قبول المُخاطَب للمعنى وتحرّكه بباعث داخلي.
وقت الفعل حين ينتهي وقت القول.
مثال: فرض ضرائب تصاعدية على الأثرياء. وقت القول هو محاولة إقناعهم بجدوى ذلك للمجتمع ككل ولهم ضمنيّاً ولأولادهم وأقاربهم القريبين والبعيدين القادمين في حال احتاجوا لاهتمام الدولة بهم، وما أشبه ذلك من حجج إقناعية. لكن هب أننا وجدنا الأثرياء لا يبالون بكل ذلك، بل على العكس يجادلون ضدّ هذا المطلب بحجج فيها مغالطات شنيعة وأكاذيب صريحة ولا يتورّعون عن استعمال جميع الأساليب التي بحوزتهم لتثبيت مواقعهم ومنع الضرائب عنهم. حينها يكون وقت الكلام قد انتهى، وجاء وقت الفعل. وذلك بتجمّع الجماهير وفرض نوّابهم على المجتمع ليفرضوا الضرائب على الأثرياء ، أعجبهم ذلك أم لم يعجبهم. (هذا مجرّد مثال، ولا يعني بالضرورة قبولي لمضمونه).
وعلى هذا القياس، لابد من التمييز بين وقت القول ووقت الفعل في كل أمر. فبعض الناس يرى الوقت كلّه وقتاً للقول، فلا فعل عنده، وهذا عاجز وسيعيش ويموت تحت القهر. وبعض الناس يرى الوقت كلّه وقتاً للفعل، فلا إقناع عنده، وهذا طاغية وعاجلاً أم آجلاً سينقلب على من حوله ومَن حوله سينقلب عليه

وسيعيش في صراع دائم تُذهِب مرارته حلاوة مكاسبه. الأسلم هو البدء بالقول، وتحديد وقت له، وقت كيفي (مثلاً، بعد أن نطرح حججنا ونرى الردود عليها ونقيّمها)، ووقت كمّي (كأن نقول، ستّة أشهر بعد انتهاء عرض أقوالنا على الآخرين، وهذا اعتباطي إلى حدّ كبير، لكن يمكن وضع معيار له شئ من المعقولية بحسب علمنا بالزمن المتوسّط الذي يحتاجه الإنسان ليستوعب شيئاً جديداً أو يتولّد فيه حالة جديدة). ثم بعد القول، يبدأ الفعل، من الأسلم فالأسلم، والألطف فالألطف، حتى نصل إلى نقطة القهر حيث يجب بلوغ النتيجة ولا ينفع إلا القهر لبلوغها.

...

استمعت قبل أيّام إلى خطيب "مودرن" أو "شبه مودرن" يتحدّث عن سوء الأفلام الإباحية ، والإدمان عليها وما أشبه ذلك من مواضيع حولها. وقبلها استمعت لغيره يتحدّثون عن شرب الخمر والزنا. وبعدها سمعت لغيره يتحدّث عن وجوب عدم مخالفة الحكام والعمل بقوانين البلاد بسلبية. شهوة، خمر، سياسة، أي ابتعد ، ابتعد ، ابتعد. هذا هو الدين عندهم ! هكذا هو الدين في المجتمع ، لا خمر ولا شهوة ولا سياسية، والسلام على أهل الإسلام ! مع العلم أن هؤلاء كلّهم يعيشون في بلاد الغرب، حيث حرية التديّن والقيود القليلة جدّاً وشبه المنعدمة عن التعبير، وحيث المشاركة السياسية إمّا واجب وطني أو أمر ممدوح أو عادي. حيث لا قطع رؤوس، ولا مطاردة في البيوت على السعي لإقناع الناس بتغيير القوانين والوصول إلى الحكم. وبعض هؤلاء له أصل عربي، وبعضهم أصله غربي لكن تعلّم على يد عرب (مع الأسف!). فهؤلاء سافروا إلى الغرب بأجسامهم، لكن أذهانهم تعيش تحت سيف السفّاح العبّاسي ويزيد الأموي. ولا أدري هل يعرفون أم لا يعرفون أن تلك النسخة القبيحة القميئة من الدين مصنوعة في مصانع آل فرعون من الإسلاميين عبر السنين. فلنأخذ هذه القضايا باختصار، الشهوة (ممثلة في الأفلام الإباحية)، الخمر ، السياسة.

١-الشهوة. ما المانع في الأفلام الإباحية؟ من المقطوع به عند الجميع أن الإنسان يتمنّى بلوغ حالة لا تكليف فيها وله فيها ألوان مختلفة من اللذّات. الآن هل هذه ستكون في الجنّة أم في الدنيا أم في الاثنين بقدر ما هو قضية أخرى. لكن أصل ذلك المعنى ثابت عند الجميع. وحتّى الذين يرون اللذّات هي الروحية فقط، لا ينكرون وجود الجسمية، بل على الحقيقة الشهوة أصلها نفساني وفرعها جسماني، بدليل وجود الأجسام نفسها لكن تغيّر الانفعالات تجاهها بتغيّر النفوس، مثلاً شخص يكون مع شخص آخر في علاقة ، فتبدأ قوية ثم تفتر، ما الذي تغيّر؟ شكل الأجسام واحد. فالذي تغيّر هو شئ في النفوس والأذهان. والأدلة كثيرة على هذا المعنى. فالشهوة نفسانية الأصل. حسناً. هل النفس تفضّل الانحصار في شكل واحد ولون واحد أم في ألوان متعددة ومتجددة؟ أيضاً الجواب معروف، وهو التعدد والتجدد. ولذلك يحب الناس الجديد والمتجدد، أيّا كان مجاله، وخصوصاً في المادّيات وهي موضوعنا الأساسي هنا. حسناً. إذا كنّا سنحصر تلبية الشهوة بالشخص البشري الحاضر عندنا، فهذا بالضرورة سيكون مقيّداً ، إمّا لصعوبات إقناع الناس أو شرائهم ، وإمّا لتغيّرات أحوال وأمزجة الناس عند حضورهم، وإمّا بسبب خوفنا من تكاليف الجماع (كالمرض أو الولد) مع أعداد كثيرة من الناس. كل ذلك مشهود لكل ناظر ويعرفه من نفسه وجداناً. فإذا أردنا شهوة ، جديدة متجددة ، بدون تكاليف باهظة، فما العمل؟ لا يوجد حلّ سحري، لكن الأفلام الإباحية عند كثير من الناس هل أقرب الحلول. لا يوجد حلّ رياضي للمسألة. لكن القضية مقاربة، كمثل معظم أمور الدنيا. فبما أن الشهوة في الأصل نفسانية، وصورها الذهنية هي التي تُسبب الانفعال والتأثر وليس بالضرورة الشكل الجسماني الحاضر، كما بيّنا سابقاً، وبما أن الأفلام-ليس فقط الإباحية بل أي أفلام عموماً-تؤثر في الذهن وتدخل

في النفس، ويشهد ذلك من نفسه كل من يحبّ مشاهدة السينما مثلاً، وبما أن الأفلام الإباحية متعددة، وفيها من كل شكل ولون، ومتجددة وواسعة...إذن النتيجة أن اختيار مشاهدة الأفلام الإباحية-على أقلّ تقدير-ليس أمراً شنيعاً غريباً إلى حدّ غيو معقول كما يحاول أن يصوّره البعض. على أقلّ تقدير هو عمل مفهوم، وتفسيره النفساني معقول ومشهود، وفائدته إلى حدّ ما على النفس الإنسانية المحصورة في الطبيعة والمقيّدة بالمجتمع أيضاً مُدرَكة بل سهلة الإدراك لمن نظر قليلاً بدون تعصّب لرأي. حسناً، هب أنّك رفضت الحجّة السابقة في نفسك، فعلى الأقلّ ينبغي أن تُنصِف من نفسك ولا تكبّر مسألة الشهوة بالأفلام الإباحية هذه فوق أبعادها وتجعلها قضية. هي شئ عادي جدّاً. ولا ينبغي أن نلتفت له التفاتاً جادّاً ونهوّل منه، ويبدو لي أن الإسلاميين من "الدعاة" في الغرب أخذوا هذا الهوس من الكاثوليك وغيرهم ممن يحاربون الجسد محاربة أصلية ، ولا يفهمون أو لا يعملون بمقتضى الرؤية القرءآنية والإسلامية للجسد والآخرة وما إلى ذلك من أصول. فكأن "رجل الدين" لابد أن يتكلّم ضدّ الشهوة وضد الأفلام الإباحية وضدّ الإجهاض وضدّ وضد وضدّ حتى يكون معتبراً وله مكانة في أعين القوم. شئ غريب بل غبي ومريض، يصدر عن أناس فقدوا قوّة أرواحهم وجبنت نفوسهم عن الاستقلال الحقيقي عن الغير. نعم، أنا أعلم وأسمع في أذني الآن اعتراض بعض هؤلاء وهو يقول: لكن لهذه الأفلام أضرار كثيرة، انظر هذه الدراسة، شاهد ذلك الوثائقي، اقرأ ذلك البحث. وجوابي لهؤلاء: اذهب واقرأ وشاهد كيف يتمّ تصنيع الشوكالاته التي تأكلها وتشربها، والمعاناة والاستعباد الذي يعيش تحته الفلاحون في أفريقيا، ثم أخبرني إن كنت لن تشتري لابنك وابنتك الشوكالاته، بل اقرأ أضرار السكر عموماً بعد ذلك ومشكلة البدانة ثم أخبرني إن كنت تصدر فعلاً في أعمالك عن الأبحاث والسلبيات المزعومة أو الواقعية للأشياء. اقرأ وابحث عن أي شئ، (وقد فعلت أنا ذلك ولا أزال)، وستجد أنه لا يوجد شئ أمامك الآن أو على بدنك الآن، إلّا وتوجد وراءه إذا تتبعت معاناة وسلبيات، من شرب الماء وأنت صاعد. الدول التي تعيشون في ظلّها، كأمريكا مثلاً، هذه ارتكبت من المجازر الداخلية والخارجية من أجل صنع "الاستقرار" الذي تعيشون فيه، و "الحرية" التي تنعمون بها، ما الله به عليم. فهل جعلكم هذا تتركونها وتهجرونها أم تتصرّفون وكأنه لا شئ حصل ، وكأن رخص المنتجات عندكم نعمة ربّانية وليس ثمرة نهب شعوب وموارد أمم بحدّ السلاح. فهل غصّت اللقمة في حلوقكم بسبب ذلك. الخلاصة، دعونا من حجّة "معاناة وسلبيات". كل شئ في هذه الدنيا فيه معاناة وسلبيات. على الأقلّ، في الأمور الجميلة واللذيذة والشهوانية، يخرج الناس بشئ ممتع في نهاية اليوم. قبل ساعات كنت أستمع إلى طبيب نفساني أمريكي يعطي رأياً في سبب غضب الشباب البيض المتعصّبين العنصريين، وأرجع ذلك في أحد عوامله الرئيسة إلى "عدم الاستمناء". ويقول بأن هتلر فعل نفس الشئ مع قومه، والبيض العنصريين في أمريكا يعلّمون الشباب عدم الاستمناء. ويرى الطبيب هذا كسبب فاعل للغضب الناشئ عن الكبت المتكرر. نعم، قد ترى هذا غريباً، لكنه مفهوم إذا تأملته. بعد هذه الرحلة، لنقل بأن أقلّ ما يجب أن خرج به إن كنّا منصفين هو هذا: اترك موضوع الشهوة والأفلام الإباحية ولا تجعله مركز دعوتك وتعليمك، وفي الناس ما فيها من القيود والمشاكل في هذه الدنيا، فلا تخترع قيداً جديداً ما أنزل الله به من سلطان. (ولا تقل لي غضّ البصر، فهذا في الشخص الذي أمامك وليس في ظلّ أو شبح تراه في أحلامك أو على حديدة جهازك). والسبب الذي يستفزّني في هذا الموضوع حين أرى الإسلاميين يتحدّثون ضدّه هو أن هؤلاء أنفسهم لا يمانعون بل لعلهم يوجبون الترضّي والترحّم على "خلفاء" و "أمراء مؤمنين" و "سلاطين" كانوا لا يشاهدون الأفلام الإباحية بل كانوا ينتجون واقعها في قصورهم على مرّ القرون، وليس طوعاً بطبيعة الحال ولكن باستعباد النساء وقهرهم على النيك والخضوع لهم.

فقيود هؤلاء الشهوانية موجّهة لل"عوام" و ليس لل"خواص". أمير، ملك، طاغية، إن كنت تدفع لهم وترعى طريقتهم، فأنت على هدى والله يوفّقك مع النساء والفتيات بل والغلمان. وإن كنت من عوام الشعب، فلعنة الله عليك إن اشتهيت غير أمّ العيال ! (وحتّى هذه يجوز اشتهائها باعتدال، وعلى رأي البعض لا يجوز إدخال قضيبك في دبرها لأنه لواط أصغر. أمّا إن كنت أميراً للمؤمنين أو ولي أمر المسلمين فتستطيع أن تلوط اللواط الأكبر وربّهم أرحم وأغفر !).

٢-الخمرة. نفس الشئ يقال في الخمرة. فقصور أرباب هؤلاء "الدعاة" في الماضي والحاضر خمّارات معروفة. وبعض "الخلفاء" كان يسبح في الخمر، واليوم إذا سمعوك تشتم أحد هؤلاء الذي تعفّن في قبره وذهب إلى سقر بإذن الله من ظلمه وطغيانه ونفاقه بل كفره، فإنّهم يلومونك ويحدّثونك عن أهمّية حفظ اللسان وأن المسلم ليس بلعّان واذكروا محاسن موتاكم. لكن إذا كنت-والعياذ بالله-من عامّة الناس، يعني ممن لا يغدقون عليهم الأموال ولا يرجعون منهم قوّة العساكر الحامية لهم، فحينها يا ويلك ويا سواد ليلك إذا شربت الخمرة أو النبيذ أو أي شئ. حسناً، بعيداً عن هذا النفاق. ما المشكلة في الخمرة؟ سيقولون: الصحّة. وكأن هؤلاء يبالون بالصحّة ! انظر إلى كروشهم وموائدهم لتعرف مدى اهتمامهم بالصحّة. ثم الشرب باعتدال قد لا يضرّ بالصحّة ، أو على الأقلّ لن يكون الضرر مثل ضرر بقية المأكولات والمشروبات التي يجيزونها ولا يرون بها أي بأس، وهي كثيرة جدّاً. سيقولون: السكر مجلبة للمشاكل. لكنّه أيضاً مجلبة للأفراح ونسيان الهموم، وخصوصاً هموم وجود وعاظ السلاطين أمثال أولئك. فهذه حسنة بسيئة، ومع شئ من إحاطة السيئة بعناية جيّدة قد تقلّ الأضرار إلى حدّ كبير جدّاً. سيقولون: ما أسكر قليله فكثيره حرام. نقول: على هذا الأسلوب، ما قتل كثيره فقليله حرام، والقتل أسوأ من السكر، وكثير من الماء يقتل إذن قليله حرام ! كثير من الدواء يقتل ، إذن قليله حرام ! أي منطق هذا. إذا كان الكثير يؤثر سلباً، مثل كل شئ في هذه الدنيا، فلابد من التحرّز من الكثير وأخذ القليل النافع باعتبار صاحب منطق "ما أسكر كثيره" لأنه اعترف بأن المسكر هو الكثير، إذن القليل ليس بمسكر، فإذا كان المسكر هو الحرام إذن القليل ليس بحرام. أظنّ المعنى سهل. ولا تقل لي "لا يستطيع أن يضبط نفسه"، فإن هذه قضية صغيرة ويمكن معالجتها بأساليب كثيرة، مثل تقليل كمّية الخمر الموجودة، أو مراقبة أحد الأصحاب، أو غير ذلك من العوامل. يقولون: يُذهِب العقل. نقول: كان لأبي نواس عقل أكبر من جميع عقول هؤلاء، وهو من أنصار الخمرة. وكان ابن سينا يشرب الشراب، والمفهوم أنّه النبيذ أو ما شابه مما كانوا يشربونه، وعقله أكبر من أضعاف عقول هؤلاء المنكرين. وقد أباح النبيذ قوم، وسواء فسّروا النبيذ بخلط الثمرة بالماء أو بما يُسبب شئ من الإسكار، فهذا خلاف فقهي وحيث دخل الاحتمال بطل الاستدلال. ثم لا يوجد في القرءان عقوبة على الشرب، فليس لهم جبر أحد على الامتناع عنه بعقوبة حيث لا عقوبة في الكتاب وإنّما وعظ مشروط ومقيّد بحدوث عداوة وبغضاء وعدم ذكر وصلاة، فحيث ضمن الشخص جوّ مسالم وصحبة جيّدة ، وحفظ للذكر والصلاة، فيذهب السبب المانع، وتجارة معظم الناس تسبب لهم عداوة وبغضاء ولهو عن الذكر والصلاة أكثر من ألف خمّارة، وليس هذا بسبب كاف لتحريم التجارة وما يشبهها. إذن مرّة أخرى، قضية صغيرة وخلافية ، يجعلونها قضية الموسم بل قضية الدنيا ويهوّلون ويزمجرون.

٣-السياسة. وهنا أكبر ورأس مشاكلهم، وهو السبب الأكبر الذي دعاني لكتابة هذه الكلمة. المفروض أن يشارك كل مواطن في العمل السياسي في بلده. لأن السياسة قلم و سيف وحقيبة، في نهاية التحليل، أي مشاركة قانونية ومشاركة عسكرية ومشاركة مالية، ومن هذه الثلاثة تتشكّل الدولة. فالمشاركة السياسية تعني أن تشارك في صنع القوانين فلا يكون أحدّ ربّ عليك يحلل لك ويحرّم أمور

الدنيا أو الدين. والمشاركة العسكرية تعني وضع حياتك على المحكّ من أجل شئ، فكيف لا تقرر ما هو هذا الشئ وتبقى إنساناً لك قيمة ولا تكون كالبهيمة تساق حيث يشاء راعيك. والمشاركة المالية تعني دفع أموالك بطيب نفس منك، فكيف تطيب نفسك بدفعها لشخص لا تعرفه ولم تختاره ، لينفقها في شئ لا تعرفه ولم تختاره، لغرض لا تعرفه ولم تختاره. كأنّك عبد مسلوب منهوب، ليس له من الأمر شئ. نعم، أستطيع تفهّم هذه الحالة من شخص يعيش في البلاد العربية، لكن ما بال الذي يعيش في البلاد الغربية يفكّر بهذه الطريقة الخبيثة ويسلك هذه الدروب المظلمة الظالمة. كنّا نتوقع العكس تماماً، أي كنّا نتوقع المحروم من كرامته حين يجدها سيكون أشدّ الناس تمسّكاً بها. كذلك كنّا نتوقع العربي أو مسلم حين يعيش ويستوطن في بلاد الغرب سيكون أشدّ الناس حفاظاً وتمسّكاً بحقوقه السياسية، فإذا بهم إمّا لا يبالون بها وإمّا ينشغلون بالكلام مع العرب في بلادهم فقط وإمّا يتّبعون كالأنعام قادة غربيين وأحزاب قائمة هناك ليس لهم فيها شئ يُذكَر، والباقي شاذّ نادر جدّاً لا يكاد يوجد له أثر يُذكَر. فإذا وجدنا بعض "الدعاة" اشتهر قليلاً، نجده "ينأئ" بنفسه عن السياسة، بل ما هو أدهى نجده يأمر غيره بالابتعاد عن السياسة، ويبرر لهم-ويا للعار-ذلك بآيات وأحاديث طاعة ولي الأمر ! إي والله سمعت بنفسي لواحد من أشهر الأسماء الإعلامية الأمريكية يقول ذلك للمسلمين على أنّه المو الإسلامي الصحيح التقليدي. كدت أكذّب أذني حين سمعت لهذا الهراء الفظيع، بل الظلم الرهيب الممزوج بغباء بديع. لكن هذا من واحد من "أفضل" هؤلاء هناك، فما بالك بمن دونه بشكل عام. ومن الحجج الفكاهية لبعضهم أن يقول "لا تشاركوا في العمل السياسي الأمريكي-مثلاً- لأن الدولة الأمريكية كافرة، والمشاركة فيها إثم". هذه طريقة جيّدة لتحقيق ما يريده "الكفار" بالضبط، وهو أن يبتعد المسلمون عن السياسة في "بلادهم". مبروك أيّها الداعية التقي، صرت كلباً لأهل النار وأنت لا تعلم !

لاحظ إذن، الشئ الذي هو عادي ومبرر أو لنقل في أسوأ الأحوال ضرره شخصي وبسيط كالشهوة والخمرة، يجعلونها رأس الأمور وأكبر المشاكل. والشئ هو الذي عظيم وخطير ومهم وجوهري في العمل الظاهري الاجتماعي، كالمشاركة السياسية الكاملة والفعّالة ، يجعلونها إمّا كلاشئ وإمّا هامشية وإمّا ممنوعة منعاً باتّاً للمتّقين الملتزمين.

هذه ليست دعوة للإباحية ولا للخمرة ، لكنّها دعوة للنظر الجادّ في الأمور وإعطاء كل شئ حجمه الطبيعي والمناسب له. وأفكار جهلة العرب والإسلاميين في الغرب أقبح من الأفلام الإباحية، وأفكارهم تُسبب تشوّهاً ومسخاً لعقول الناس أسوأ مما تفعله الخمرة. فانظر أين تضع رجلك، وماذا تضع في رأسك. والسلام.

...

شعرت بحيرة وباختناق وضيق عظيم وانسداد للأبواب من كل جهة ، فذهبت إليه في الليل فقال لي : علِّم كتابي.

في اليوم التالي كانت أوّل آية في وردي الصباحي "وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله ، فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربّكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقاً". وآخر آية من وردي الصباحي "واتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربّك لا مبدّل لكلماته ولن تجدَ من دونه ملتحداً". فشهد الكتاب على الكشف. فالحمد لله رب العالمين.

...

الأديان مثل القنبلة النووية : نظرياً ونادراً ، يمكن استعمالها في توليد طاقة نظيفة. لكن وجودها دائماً إرهاب عالمي ، واستعمالها عادةً دمار للجنس البشري.

...

يبدأ النفاق وبثّه في الناس حين نقول لهم "لتدخلوا في دين الإسلام لابد أن تقولوا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله". وأنّى له أن يشهد بهذا ! لو أرادوا الصدق لقالوا لهم "قولوا سنسعى إن شاء الله لنشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله". فهذا أصدق وأحسن.

...

التفكير في الدين مقدّمة للتفكير في نفسك. والتفكير في نفسك مقدّمة للتفكير في الوجود. والتفكير في الوجود مقدّمة لمعرفة نفسك. ومعرفة نفسك مقدّمة لسعادتك. وسعادتك هي المطلوب. إذن التفكير وسيلة إلى السعادة.

...

الإلحاد أن تقول "أنا أنا وأنت أنت". الإيمان أن تقول "أنا أنا وأنت". والإحسان أن تقول "أنا أنت وأنا".

...

لم تعرف البشرية رجل سياسة مثل محمد.

...

جزاء الأفعال في الدنيا. وجزاء الأقوال في الآخرة. والأشقى مَن دعا عليه ولي لله.

...

"إن تتبع أكثر من في الأرض يضلّوك عن سبيل الله". هذه تنفي مبدأ "أكثر من في الأرض" وحجّية هذا المبدأ. ابحث عن الحقيقة لا الكمّية. فصاحب الحقيقة كثير ولو كان منفرداً، وصاحب الباطل قليل ولو كان جمهوراً.

لا يوجد شئ غير جسماني حيواني بحت يتبعه أكثر من في الأرض. كل شئ أقلّية إذا نظرت إلى البقية التي لا تتبعه. فما معنى استعمال حجّية الأكثرية في أي شئ إذا كان مبدأ الأكثرية لا يقوم على أساس من أوّل شئ.

...

بدأت القوة العظمى لأمريكا في اليوم الذي وضعت فيه تمثال النبي على مبنى القضاء الأعلى.
وتأكدت وثبتت قوّتهم لما رفضوا طمس وجه النبي.
وستزول أمريكا في اليوم الذي تزيل فيه هذا التمثال.

...

الله غير محصور في شخص ولا دين. ولا حتى اسم "الله". إذن رفضك أو إعراضك عن جميع الأشخاص والأديان واللغات لا يؤثر على جوهر علاقتك بالله تعالى. وكم من إنسان فسدت علاقته الحيّة بربّه بسبب فساد شخص أو دين يتبعه. بدلاً من ركوب الحمار للوصول إلى الكعبة جعل الحمار هو الكعبة !

...

المعرفة بالكلّيات ، والخبرة بالجزئيات. بدون الخبرة ، المعرفة عمياء. وبدون المعرفة ، الخبرة عاجزة. وبعض الكلّيات تبدو حقيقة ما لم تتنزّل إلى الطبيعة المشخّصة.

مثلاً يقول شخص "لابد من التوزيع العادل للثروة". على مستوى الكلّية والمقالة العامّة قد يتّفق الجميع على ذلك. لكن حين تأتي للتفاصيل وتنزيل هذه المقالة على الواقع الطبيعي والإجرائي والبشري

النفساني، فقد يضطرّ الإنسان إلى رفض الكلّية أو إلى تغيير جوهرها تغييراً يجعلها كأنّها مقالة مغايرة تماماً لتلك المقالة.

...

المال طاقة. الطاقة طبقات ودرجات. كلّما ازداد انفاقها كلّما ازداد المال.

...

إقناع العامّة بالرضا بالقليل من الدنيا ، إذا جاء من شخص لا يعارض كون "الخاصّة" يتنعّمون بالكثير من الدنيا ، فذلك الإقناع مشاركة في الظلم الواقع على العامّة. حين يربط الخاصّة على بطونهم ، حينها فقط يجوز إقناع العامّة بالربط على بطونهم.

...

أسباب باطلة لاتباع دين أو مذهب أيا كان ديني أو دنيوي :

١-أكثر الناس عليه. أكثر الناس ليسوا على شئ، وأيا كان الموقف الذي ستتخذه ستجد أن أكثر الناس لا يوافقونك عليه أو هم أنفسهم لا يوافقون عليه. مثلاً، إذا نظرت إلى الإسلام، ستجد أكثر الناس ليسوا بمسلمين. وإذا نظرت إلى الرأسمالية، ستجد أن أكثر الناس إمّا ضدّ الرأسمالية أو يختلفون في تفسير الرأسمالية وتفاصيلها أو لا يفهمون ما هي الرأسمالية أصلاً وإن كانوا يعيشون في ظلّها. وعلى هذا القياس. ثم مجرّد كون أكثر الناس على شئ لا يعني أن الشئ اكتسب قيمة بذلك، لأن الناس لم يكونوا عليه ثم صاروا إليه، فالذي جعلهم يصيرون إليه ليس كمّية أتباعه ولكن كيفية خاصّة به، فالذي دعاهم الكيفية لا الكمّية.

٢-أشعر بأنّه صحيح. الشعور في كثير من الأحيان يكون وليد التربية والبيئة والعادة والعقيدة، وكلّها أمور تظنّ أنه لا أثر لها في تكوين شعورك إلا أنّك إذا نظرت وأنصفت ستجدها أصولاً لشعورك. ثم المذهب الذي ستتبعه، لن يبني أمره على شعور الناس بصحّته ولكنه سيدّعي بأنّه قائم على حقيقة وجودية أو قيمة عليا أو ما أشبه ، ومن أكبر الإهانة لدين مثلاً يدّعي بأنّه "بالحق أنزلناه وبالحق نزل" أن تقول له "سأتبعك ليس لعلمي بحقيقتك ولكن لأني أشعر بأنّك حق شعوراً عاطفياً". ثم إذا بنيت أمرك على شعورك، فلابد أن تعطي مثل هذه القيمة لشعور غيرك ممن يتبع أمراً مخالفاً لك، فإذا كان المبدأ هو "الشعور يدلّ على الحقيقة"، والشعور فيك كما في غيرك، فلابد من إعمال نفس المبدأ في بقيّة الناس، قديماً وحديثاً شرقاً وغرباً. وبما أننا نعلم اختلاف الناس ومشاعرها ، فلابد من إبطال وجود أي معنى ل"صحيح" أو "حقيقي"، إذ المشاعر مختلفة ومتناقضة في دلالاتها وكل واحد يدلّ على شئ غير الآخر. فتصير مشاعر الناس مثل النصوص المتعارضة، والقوانين المتناقضة، مما يوجب إلغاء الكل، إذ الحكم للبعض على البقية لا داعي ومرجّح له بحكم أن الجميع يعتمد على "الشعور". الذي يتبع شيئاً بسبب "شعوره بأنّه صحيح" إنّما يدلّ على أنه خائف من هدم تصوّرات ذهنية تحمي نفسيته الهشّة، أو يخاف من مخالفة من حوله ويجبن عن التفرّد.

٣-اعتدت عليه. العادة تكرار، والتكرار يبدأ من الصفر، وما يبدأ من الصفر يمكن إرجاعه إلى الصفر بعادة جديدة. ثم إذا كانت العادة تدلّ على الحقيقة، فيجب أن تكون عادات بقية الناس أيضاً تدلّ على الحقيقة والمنفعة، ومعلوم تناقض العادات. ثم إذا كانت من عادة شخص ارتكاب الجرائم والعدوان، فهل عادتهم هذه مبررة ؟ من عادة بعض الأمم محاربة غيرها وقهرهم ونهب ثرواتهم ، فهل هذا عمل مبرر بحكم العادة. لا توجد عادة مبنية على ذاتها، لكن العادة دائماً تبدأ من فكرة شخص أو تصوّره على شئ ما، مثلاً اعتاد الناس على لبس شئ معيّن ك"لباس رسمي"، فإذا نظرت ستجد أنّهم بدأوا هذا

لأسباب متعلّقة بالجوّ أو تصوّراتهم عن قيمة الجسم أو التمايز الطبقي الاجتماعي أو غير ذلك من أمور إذا حللناها سنصل إلى جذورها الفكرية والمصلحية، ثم كرروا العمل حتى صار "عادة". فإذا كان الجذر الذي انطلقت منه العادة باطلاً مثلاً، فلابد من إبطال العمل ولا ينفعه أنّه صار "عادة" مهما كان الزمن الذي عمله الناس فيها. ثم لا يوجد في الواقع العملي "عادة" إنّما يوجد عمل واحد يتم تنزيله من العقل لحظة بلحظة، فهي إعادة خلق جديدة لمثال ما، بالتالي هي جديدة دائماً إذا دققت النظر، الزمن بحد ذاته لا يعطي شيئاً ولا يسبغ قوّة على العمل. الناس تعمل في الزمن وليس بالزمن.

٤-له أدلّة معقولة. أوّلاً حتى تدّعي ذلك لابد من أن تكون مطّلعاً على أدلّة المخالفين لهذا الدين أو المذهب. ثانياً، لا يوجد أحد يتبع أمراً ما فقط من أجل جانبه العقلي، لكن الإنسان يتبع الأمر لأمور مصلحية نفسية وبدنية ، متعلّقة بالحس والمباشرة الشاملة للذات وغير المنحصرة ببُعِد واحد من أبعاد الوجود. نعم، كان كثير من القدماء يعيشون في ظلّ خرافة وخدعة "الدليل العقلي المجرّد"، لكن النظر في حقيقة حياتهم وأبعادهم الأخرى، الشهوانية والمالية والسياسية تحديداً، تجعل المتبصّر يدرك أنهم كانوا يلقون القنابل العقلية على بعضهم البعض للدفاع عن مراكزهم المادّية جدّاً بل العدوانية واللعينة أيضاً. لا في الماضي ولا في الحاضر، ونتصوّر أنه ولا في المستقبل، سيكون الإنسان تابعاً للعقل فقط. الهوى أقوى سلطاناً من العقل، بل الهوى هو الهواء الذي يطير به العقل ويتحرّك في بحره كسفينة بلا شراع تذهب إلى الجهة التي تحرّكها الرياح إليها. وعندنا في القرءآن "اتّخذ إلهه هواه"، وليس عندنا "اتخذ عقله هواه". فالعقل لم يزل خادماً للهوى، وعبداً للإله. ولعلّ الإشارة في حديث "خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل وأدبر فأدبر" إشارة إلى كون العقل حمار يحمل أثقال ما يأله له الإنسان وتتوق إليه نفسه وتحبّه وتعشقه وتخدمه. خذ مثلاً قول صدر الدير الشيرازي رحمه الله-صاحب الحكمة المتعالية-وهو يشرح العفّة والتهتّك من كتاب أصول الكافي {فالأوّل-يعني العفّة-جند العقل لانبعاثه عنه، لعلمه بأن الغرض من وجود الشهوة بقاء الشخص بالأكل وبقاء النوع بالوقاع، لا لمجرّد التلذذ والتنعّم، فيجب استعمالها على قدر الحاجة وبأمر الشرع، فتكون محصورة تحت إشارة العقل مسخّرة إيّاه، لا متمردة عن حكمه مستعلية عليه غالبة إيّاَه لئلا يحصل للعقل هيأة انقهارية إذعانية لها فيكون المُطَاع مُطيعاً والرعيّة سلطاناً والمأمور آمراً}. أقول: لاحظ هنا أن السلطان السياسي مضروب به المثل على أنّه العقل، والرعية وهم جمهور الناس مضروب بهم المثل على أنّهم الشهوة. ولا يخفى أن هذا التصوّر هو الأساس السائد في الأرض كلّها تقريباً على ما نعلم والذي على أساسه تم استعباد وقهر الجماهير بأبشع أنواع القهر، والأهمّ من ذلك إقناعهم بأن حياتهم تكفي بمجرّد أكل ما يكفي لبقاء حياتهم والوقاع لبقاء النوع البشري، وأكثر من ذلك هو تجاوز للمقدار الجائز "عقلاً". وما هذا إلا تبرير لنهب "السلطان" أي اللصوص المتغلّبة وأسرهم وجنودهم، للجماهير وعيشهم في ترف كامل بمعظم المنتجات والخدمات، وأمّا جمهور الناس-الرعية (=البهائم)-يكفيهم لقيمات تُقيم الصلب ومَن عارض فجزاؤهم الصَّلْب ! نعم، السلطان ومن حوله ينغمسون في الشهوات وتنغمس فيهم الشهوات حتّى النخاع، لكن العامّة عليهم اللعنة لأنهم اتبعوا الشهوة. والمفترض أن هذا التصوّر هو مقتضى "العقل" الذي ينبغي إبقائه قاهراً مسيطراً جبّاراً عتيّاً . هذا مجرّد نموذج على "الأدلّة العقلية" التي كانت ولا زالت تُستَعمَل بأشكال متغيّرة تناسب الظروف المعيشية للناس. (تنبيه: هذا ليس طعناً في الروحانيين، لكن طعناً في أعوان الطاغين). إذن، لابد من الحذر الشديد كلّما جاء شخص ويدّعي بأن أوامره العملية وتوجّهاته الشخصية مبنية على "العقل". وأمّا إذا أدخل "النقل" ، فالويل للعرب من شرّ قد اقترب !

٥-لقوّته في العالَم. أي حين ينتشر دين أو مذهب أو طريقة في العيش في العالَم بسبب قوّة الدولة التي ترعى وتمثّل ذلك المذهب، يميل عادة أعداد هائلة من الناس لتعظيم ذلك المذهب واتباعه واعتباره معياراً للحق والباطل والصواب والخطأ. كالثقافة الأمريكية اليوم من بعض جوانبها-المنحطّة طبعاً مع إغفالهم للجوانب الجيّدة من الثقافة الأمريكية. وكالرومان في العصر الغابر. وكالحضارة الإسلامية في أوجه قوّتها السياسية. وعلى هذا القياس. فهل هذا مبرر كافٍ لاتخاذ مذهب ما؟ بالنسبة لمن يريد الإحساس بالقوة والاندماج في الرائج في اللحظة الحالية، نعم هذا مبرر كافٍ. فبعض الناس يرى هذا النتشار والقوّة كعلامة لرضا الرب عن المذهب، فهؤلاء يرون برهان الدين في دولته. وبعض الناس يرون القوّة علامة على حقيقة طبيعية مميزة في المذهب، ولتناسقه مع جوهر الطبيعة والتاريخ (على فرض وجود شئ كهذا) نال القوّة بالتالي اتباعه هو المسلك الأسلم. كل ذلك عندنا لا قيمة له. فأوّلاً، لا توجد دولة إلا وهي منقسمة داخلياً إلى أحزاب وجماعات كثيرة، ظاهرة أو خفية، والثقافة التي تسير عليها لا تعكس كل هذه الأطياف وإنّما بعضها فقط. فمثلاً، الذي يعرف أمريكا بواسطة هوليوود يظنّ أن الشعب الأمريكي أو الشعوب والقبائل الأمريكية تقرّ هوليوود وقيمها، ومعلوم لكل دارس وممارس ومعايش لشئ من الواقع الأمريكي بطلان هذا التصوّر. وكذلك مثلاً حين تنظر في "الحضارة الإسلامية" من الهند إلى المغرب، قد تظنّ أنها شئ واحد بينما الواقع أنّها أشياء كثيرة جدّاً كل واحد فيها يضرب رأس الآخر ويلعن اليوم الذي انولد فيه. ثم إذا قلت بأن سبب قوّة أمريكا مثلاً هو نظامها السياسي الدستوري، فدستور أمريكا ونظامها السياسي بدأ قبل أكثر من مائة سنة عن بداية ظهور أمريكا على المسرح العالمي كقوّة عسكرية ضاربة. ثم سبب القوّة العسكرية لا يرجع إلى نفس القوّة العسكرية فقط بل إلى الضعف النسبي للقوى العسكرية الأخرى وعوامل مختلفة جدّاً لا يمكن اختزالها. ثم القوي اليوم ضعيف بالأمس وضعيف غداً، وهذا معلوم سواء داخل أي دولة أو في علاقة دولة بغيرها. ثم هل توجد علاقة حقيقية بين الشئ الذي ستتبعه وبين تلك القوّة العالمية؟ لابد من إثبات علاقة بينهما حتى يكون لك شئ من مبرر قليل. ثم قد ترغب في اتباع القوة العاليمة الآن لأنك ترغب في المشاركة في هذه القوة، لكن الواقع أننا لم نجد إلا ضعيفاً لا أمل في قوّته يرضا لنفسه بهذا الطريق لتحصيل القوة. الذي جعل القوة العالمية قوة عالية ليس كونها قوة عالمية لكن أشياء أخرى، وهذا بديهي. وتلك الأشياء الأخرى عادة تكون نابعة ذاتياً ونامية عضوياً من ظروف وتفاعلات كثيرة داخل تلك الأمّة، ولا يمكن استنساخ الثمار بدون زراعة الأشجار. لكل هذه الاعتبارات وغيرها لا نرى هذا سبباً كافياً.

٦-له تاريخ مجيد. بغض النظر عن تعريف "مجيد" هنا، سواء كان مجداً أخلاقياً أم سياسياً أم علمياً أم روحياً، أو كل ذلك معاً، فإننا لا نعرف تاريخاً لأمّة فيه مجد إلا وفيه انحطاط وقبح وظلم. لا تخلو من ذلك أمّة على الإطلاق. فإذا كان المجد سبباً للاتباع، فضدّ المجد لابد أن يكون سبباً للامتناع. ثم التاريخ المجيد لماذا انتهى؟ إن كان مجيداً فعلاً، فكيف انتهى مجده؟ لولا وجود عوامل وعناصر أو قابلية لضدّ المجد، لما انتهى ذلك المجد. بالتالي، التاريخ المجيد يحمل في ذاته عوامل ضد المجد. إذن هو مجيد وغير مجيد في آن واحد. فيبطل تصويره كتاريخ مجيد فقط، ويكون هذا التصوير اختزالاً مشيناً. ثم هب أن له تاريخ مجيد غالب مجده، فكونه تاريخاً يدلّ على عدمه الآن، بالتالي المجد وصف لشئ ميّت، فلماذا تتبع شيئاً ميّتاً، وأي مجد في اتباع شئ ميّت ومات مجده معه. ثم كيف عرفت أن له تاريخ مجيد؟ لا توجد أمّة إلا وتواريخها إمّا مزوّرة وإمّا حاملة للمعنى ونقيضه وإمّا لا يمكن الثقة بما كتبه فلان وعلّان من مؤرخين يمكن عدّهم على الأصباع فلماذا نصدّق هؤلاء أصلاً ونبني كل أمرنا على خطوط أقلامهم. التاريخ ليس أشرف من العقل، وقد عرفنا ما قيمة العقل قبل قليل !

٧-العلماء والعقلاء يتبعونه. أوّلاً، العلماء والعقلاء يتبعون كل شئ، وفي كل مذهب يوجد علماء وعقلاء بلا استثناء. وهذا يمكن إثباته ماديّاً إمّا بالانتاج العلمي والعقلي الباقي في الكتب أو الآثار ، وإمّا بحضور هؤلاء الفعلي اليوم. وهل الصراع بين المذاهب الدينية والدنيوية إلا بألسنة وأقلام "العقلاء" من كل مذهب. ثانياً، المعلوم تاريخياً واليوم كذلك أن الكثير من العلماء والعقلاء يتم شراؤهم بالمال، ويعملون لمن يدفع لهم أجرة أكبر، بل إنّما يدفعهم للدراسة رغبة في الشهرة والمناصب وما أشبه. وعقل مبعوث بالمال ليس عقلاً مجرّداً يمكن الاعتماد عليه، لكنّه عقل يشكّل ما شاء المال من الوسائل ويفتي له ما شاء من الفتاوى ويزوّر له ما يشاء من العقائد. ثالثاً، مَن يدخل تحت اسم العلماء والعقلاء؟ فإننا وجدنا هؤلاء من كل أمّة داخل الأمّة ذاتها يرمون بعضهم البعض بالجهل والعمى وسوء النيّة ليل نهار، هذا فضلاً عن رمي الآخرين من الخارج بمثل ذلك وأسوأ منه. فمَن يحقّ له اعتبار فلان من العلماء وعلان ليس من العلماء. إن كان العلماء أنفسهم، فهذا دور منطقي باطل، لأنه قبل ثبوت أنه من العلماء كيف نعتمد على تصنيفه لغيره ونحن نشكّ ونسأل عن تصنيفه هو. وإن كان غير العلماء، فكيف يصنّف غير العالِم مَن هو العالِم ، وغير العاقل مَن هو العاقل ، وهل يقبل "العلماء" أن يصنّفهم هؤلاء "الهمج الرعاع" من الجهلاء. لا أظنّ. فانظر من حيث شئت لن تجد هذا معياراً مقبولاً.

الحاصل: ما مضى سبعة أسباب لا تستقيم لاتباع مذهب ما. فانظر له سبباً مغايراً....معقولاً !

...

الأبدان قائمة بالميزان. تأخذ وتعطي. تأخذ من الأرض الغذاء، فتضع في الأرض الفضلات التي هي غذاء الأرض. تأخذ طاقة الحياة من الهواء والغذاء والضوء، وتخرج طاقة الحياة بالمنيّ. فإذا حصل أخذ بدون إخراج، وقع الفساد واشتعلت النار. وإذا لم يحصل أخذ، حصل موت. فلابد من أخذ وعطاء، بالميزان.

...

يوجد-بأحد الاعتبارات-نوعان من القراء.

الأول قاريء نرجسي. الآخر قاريء أمي

أما النرجسي ، فهو يقرا ليبحث عن من يوافقه فقط. ينظر في المكتوبات كما ينظر في المرآة ؛ يريد ان يرى صورة وجه ذهنه وعواطفه ولاشيء غير ذلك. فإذا وجد ما عنده قال "احسنت، هذا عين العقل وزبدة الصواب، كثر الله من امثالك". المشكلة الأساسية في القراءة النرجسية هي هذه : لماذا يقرا !؟ إذا كان يعرف كل شيء ، وهو في حالته الحالية يعتبر نفسه في حكم الكمال، فما الفائدة من اضاعة الوقت والجهد في القراءة. وهذا يكشف لك عن احد اهم أسباب عدم قراءة الكثير من الناس واعتبارها عمل أساسي في اليوم؛ لانهم غرقى في النرجسية. يعرفون ما شاء الله كل شيء ولا حاجة للمزيد. فموقف هؤلاء أفضل من موقف الذي يقوم بالقراءة لكن بنرجسية.

أما الامي ، فهو الذي يعتبر نفسه في حكم الطفل المولود حديثا أمام المكتوب الجديد ، يريد ان يتعلم منه لا ان يحكم فقط عليه او ما هو أسوا الحكم على صاحبه. الامي أفضل القراء ، لانه

لا يتقيد جوهريًا بفكرة او عقيدة او مذهبية تمنعه من فهم المكتوب
على ما هو عليه. الامي في القراءة نقي السريرة ، ثاقب النظر ،
منفتح على آفاق المكتوب حتى انه قد يصل إلى اعماق وأبعاد
لا يعرفها الكاتب نفسه ! الامي ليس الجاهل ، الامي مثل المولود
حديثا ، فضولي متعجب باحث متحسس متلمس مباشر صادق.
النرجسي صنم مُكَبَّل بالقيود ، والأمّي حر محب للوجود.
ولذلك قيل للامّي "اقرأ باسم ربك الذي خلق". ولكن قيل لأشباه
النرجسي المنغلق على ما عنده والرافض للجديد "تبت يدا ابي لهب وتب".
مع العلم ان الكثير الكثير ممن يدعي انه يتبع النبي الامي هو
في الواقع يتبع عدوه النرجسي.
واهم مظاهر النرجسية في القراءة ؛ اعتبار رأيك كل شيء وراي غيرك
لا شيء. اعتبار ما تفهمه هو عين اليقين وما لا تفهمه عين الجهل.
اعتبار الجديد عليك غير مهم لا لك ولا لغيرك. ان لا تعرف درجتك في
المعرفة وتترفع على غيرك وأنت لا تعرفه. شتم المتكلمين بالمخالف للمعتادوالمقبول عندك بدون فهمهم كما قال أبو لهب للنبي "تباً لك". ومظاهر أخرى. النرجسي سفيه وضعيف ويظهر ذلك لكل من يسمعه او يناقشه.
واهم مظاهر الأمية في القراءة : عكس ما مضى . التفكير الطويل في
الجديد . الشعور العفوي بقيمة الكلمات واصحابها. قلب الامي قلب
مريمي: لانه طاهر فالحق يلقي فيه كلمته وروحه.

قالت: اختيارك للمصطلحات يعمل شوشرة في برامج قديمة في عقلي بس المعنى وصل وضرب ضربته واستقر ... بارك الله في كلماتك ... سؤال: ما الحل مع النرجسية إن كانت فينا أو في من حولنا؟
قلت: بالنسبة للنرجسية فينا فيوجد على الأقل علاجان : الأول هو ان نتذكر ان علمنا محدود ، وعلم الله غير محدود ، والله اشرق بنور علمه على الكل ، اذن لابد ان يوجد عند غيري علم انا لا اعرفه، بالتالي انا منفتح على الغير والانتفاع بهم. الثاني أخبرتني به زوجتي وهو ان نقول "لماذا هذا الكلام صحيح؟" حين نطلع على كلام الآخرين . اي نبدأ بافتراض صحته ووجود حقيقة فيه حتى يثبت العكس. فالكلمة بريئة حتى يثبت بطلانها. على عكس النرجسي الذي يفترض كلام غيره-خصوصا اذا كان خصمه-هو كلام باطل لا يمكن ان يكون صحيحًا أبدا . فعلينا ان نعود أنفسنا البحث عن الوجه الصحيح لكلام الآخرين مهما كان ضعيفا او على الأقل أخذ فايدة من الكلام الباطل والسفيه وهي ان نحمد الله انه عافانا من بلوى سوء الأدب التي ابتلي بها الاخر. هذا مجرد مثال للتقريب .
اما بالنسبة لكيفية التعامل مع الاخر النرجسي : فهي الاعراض عنهم. انا جربت كثيرا ان اهتم بهم واناقشهم واعتبر ان لهم عقول تستحق النظر فيها وان الكلام معهم قد يفيدهم. الا انه في كل تجربة تكون النتيجة تاكيد انهم في حالة صعبة جدا وليس من تخصصي الاهتمام بهم وخصوصًا بالمجان ! من ابرز أمثلة النرجسيين هم المتطرفين المعروفين للجميع ولا حاجة للتسمية ، فهولاء من ابدع مخلوقات الله في الجهل والعناد ، ويعتبرون كل غباء يصدر منهم هو عين اليقين والصواب والبديهيات والمسلمات التي لا يختلف عليها احد من العقلاء بل والحيوانات ! كيف تناقش مثل هذا ؟ لا فايدة حسب تجاربي

الكثيرة جدًا. ولي معهم نقاشات لو جمعتها في كتاب لكان كتابا ضخما ، والنتيجة دايما انه يبقى سفيها عنيدًا ، بعبارة أخرى يبقى نرجسي القراءة . ولذلك صرت اعتبر النرجسي مريض بمرض ذهني نفساني حقيقي، وأشفق عليه. وارى الحل هو الإعراض عنهم ، وحذفهم اذا شاغبوا وقللوا أدبهم في وسائل التواصل حتى لا يعكروا على البقية في مساحة.

...

لاحظ الفرق بين الاثنين

حين أراد الحق تعالى تنزيل كلمته على رجل وعلى امرأة. الآية تقول"وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل

رسولًا فيوحي باذنه ما يشاء". إذن ثلاثة أنواع وحي وحجاب ورسول.

١- أما الرجل فهو موسى. بدا الله معه بالعكس ، يعني أرسل له رسول وذلك في قصته مع العالم في سورة الكهف ومع الشيخ الكبير، ثم كلمه من حجاب النار ، ثم كلمه وحيا مباشرا بلا رسول ولا حجاب في الميعاد بعد بعثته وأشرق عليه النور مباشرة.

٢- أما المرأة فكان حالها اعلى وهي مريم. لان الله بدا معها بالوحي ثم الحجاب ثم الرسول. فقال "واذكر في الكتاب مريم ، اذ انتبذت من أهلها مكانًا شرقيًا. فاتخذت من دونهم حجابا ، فأرسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا". هذه الإشارة كشفت ما حدث. فالشرق عبارة عن إشراق النور مباشرة ، ثم الحجاب ، ثم الرسول. فكانت الملائكة تكلمها ويأتيها الرزق من لدن الله مباشرة. بل حتى الرسول الذي جاءها كان ملكًا متمثلًا وليس بشرا عاديا.

إذن مريم بدأت من فوق إلى تحت ، وموسى صعد من تحت إلى فوق. والذي يبدا من فوق اكمل ممن يتدرج من تحت. مريم تنزلت وموسى عرج. فبداية مريم هي نهاية موسى .

لماذا ؟ لان قابلية المرأة لظهور الكمالات العليا اكبر عادة من قابلية الرجل.

والسبب واضح وهو ان المرأة تستطيع إظهار ما يظهره الرجل وزيادة.

فكمال الرجل في العلم والعمل ، والمرأة قد تعلم وتعمل أيضًا. لكن لها زيادة مثلا في جسمها من حيث إظهار صفة الخلق بالولادة ، وصفة الرزق بالرضاعة، وصفة الرحمة بالعناية الخاصة.

الروح واحدة ، في كل الناس. فالفروق جسدية، ومن حيث المعاني

والصفات الكمالية جسد المرأة اكمل من الرجل كما وضحنا. لكن لان الروح تتشكل بحسب الجسد ، فقابلية روح المرأة لاستقبال النور الإلهي اعظم لانها تفهم معنى الاستقبال والحمل والولادة والرعاية بحكم التجربة الجسدية.

وعبر التاريخ تميز الرجل لانه افقر جسديًا ، فبحث عن الكمالات تجريديًا بروحه وعقله ، فكان أغزر انتاجا. فالرجل يتجه للنور عادة حين يفتقر ماديًا او حين لا يشبعه العالم المادي ولذلك توجهه جيد لكنه مصبوغ بالفقر بحسب نيته. أما المرأة فتوجهها يكون كماليا فلذلك حين تجدها توجهت يخرج منها شيء عظيم ... مسيح مثلا !

...

بعض الناس يستدل بالطبيعة لإثبات قيمه وسلوكه.

فمثلا يقول لك "بما ان الحيوان الفلاني يفعل كذا ، اذن يجوز للناس فعل ما يفعله". او يقول "بما ان النظام الطبيعي يشتمل على ترتيب معين إذن من العلم ان نقوم في مجتمعاتنا بمثل ذلك". وما اشبه.

هذا الاستدلال غير معقول ولا مقبول. لماذا ؟

أولًا لان الانسان من الطبيعة. فاذا كان كل ما تفعله الطبيعة يجوز ، إذن الواجب ان يكون كل ما يفعله الانسان أيضا يجوز. ومن الواضح ان هذا لا يقبله اي احد.
ثانيا لان الطبيعة فيها الشيء ونقيضه . فلا حجة لأخذ شيء اذا كان نقيضه وضده أيضًا له نفس الحجية والقوة الاستدلالية. فمثلا، النمل له نظام اجتماعي قوي، لكن الذئب والكلاب ليس لها مثل نظام النمل ، فلماذا نقلد النمل ولا نقلد الذئب. مثال اخر، بعض الحيوانات يتزوج الذكر الأنثى ، لكن الخنازير والفيران مثلا فاتحة موضوع الشهوة بحري ، فلماذا نقلد الفار بدلًا من غيره . وهكذا ، كل شيء في الطبيعة يوجد ما يخالفه ، بالتالي الطبيعة ليست حجة لاعمال الانسان.
ثالثًا ولماذا ننظر للطبيعة أصلا ؟ اذا كان الانسان اعلى من الطبيعة ، فلا يجوز ان يقلد الأعلى من هو ادنى منه في التطور والعقل. وإذا كان الانسان مساويًا للطبيعة ، فهو في غنى عنها لانه مثلها. وإذا كان الانسان اقل من الطبيعة ، فلن يستطيع ان يقلدها . على جميع الوجوه تقليد الطبيعة عمل غير معقول.
رابعًا وما هي "الطبيعة" من الأساس ؟ هل الأفلاك والأشجار والحيوانات لها نفس تجربة الانسان وحريته في الاختيار والألوان المختلفة التي قد يكون عليها حتى نقلد الطبيعة ؟ الخيار لا يكون الا خيارا ، والحمار لا يكون الا حمارًا ، لكن الانسان احيانا يكون صحيحا كالخيار وأحيانا يكون اجهل من حمار !
نعم، الطبيعة دليل في الأمور الطبيعية. مثلا، نريد صحة جسمنا، هنا يمكن الاستدلال بالطبيعة لتحصيل أسباب الحياة والصحة والقوة واللذة. فالمهم في الطبيعة هو شيء واحد فقط وهو جسمنا. ما ينفع جسمنا فهو خير، وما يضر جسمنا فهو شر، ثم الأمور بالميزان. حين تحس إحساسًا جيدًا باكبر قدر ولأطول مدة، فقد نلت خير الطبيعة. وهذا هو المهم.
...
للأذكار اسرار وانوار.
الأسرار هي معانيها الحقيقية الإلهية التي تنكشف للقلب.
الأنوار هي الآثار النفسية والكونية لها.
اعظم الأذكار هو الاسم الإلهي المفرد "الله". سره هو ذات واجب الوجود
الواحد المطلق الذي لا حد له بكل معاني المحدودية. نوره النفسي هو
انفتاح خزائن الغنى والرحمة والحرية للعبد إلى الأبد. ونوره الكوني
هو القوة التي بها يستقر ويستمر وجود الكون وما فيه ولذلك قال النبي ان الساعة لا تقوم الا حين لا يبقى من يقول "الله الله". فالكون أفلاك ، ولكل فلك مركز، والمركز هو قلب الإنسان الكامل الذي يذكر الاسم الأعظم فيمتد منه روح تغذي جسم الكون.
سبحان الله. سره الكشف عن تنزه الحق تعالى عن الحد والنقص بكل معانيه.نوره النفسي التزكية عن الدنس والذنوب والقبيح والجهل.
الحمد لله. سره رجوع كل صفة كمال تستحق الحمد الى الله وحده . ونوره فتح أبواب جنات المعرفة والنعمة للعبد دنيا وآخرة.
لا اله الا الله. سره الوحدة القهارية المطلقة لله بحيث لا يوجد موجود الا وهو آية من اياته وتجلي من تجلياته فالكل منه وبه وله واليه. ونوره تناسق عوالم العبد وتمركزها حول الروح، واتباع باطنه لاعمال الطريقة واتباع ظاهره للوصايا .

الله اكبر. سره عدم وجود حجاب على الحق ولا عائق عن النور المقدس. ونوره دوام اتساع النفس بالعقل في السماء والقدرة على الأرض.
لا حول ولا قوة الا بالله. سره اعتماد كل موجود ممكن ومحدود على الله في كل صفة كمال ، وان الامداد من الله للمخلوق لحظة بلحظة ومتجدد على الدوام . ونوره فرحة العيد بكل ما يقع له ووجود الأمل مهما اظلمت الأمور وضاقت الأرض وانبعاث طاقة غير عادية من الذاكر في همته وإنتاجه.
استغفر الله. سره ان لا فاعل الا الله في الكون كله على الحقيقة. ونوره دوام تحسين النفس ومراجعة الأعمال وتنقيتها وتنميتها.
هذا غيض من فيض ، ومن ذكر ذاق ، ومن ذاق عرف ، ومن عرف فاز .
...
افترض انك صاحب شركة
وعندك عشرة موظفين وتريد ان تعرف معدن كل واحد فيهم ومدى إتقانه للعمل بسبب دوافعه الذاتية المعبرة عن نفسه وليس بسبب رغبة او رهبة او نفاق، فماذا تفعل ؟ اذا قلت لهم "غدا سوف اتي الى مقر العمل وافحص وقت حضوركم ومدى اتقانكم" فهذا لن ينفع لان الذي يتاخر عادة سوف يأتي في الوقت ، والذي يعمل عشوائيا سوف يدقق فوق عادته ، وهكذا كل واحد سيمثل دورا يناسب الفيلم. لكن في المقابل ، لا يحق لك محاسبة احد على شيء اذا كنت لم تخبره بمعايير الحساب، وهذا مبدأ ينعكس حتى في القوانين العادلة عموما وهو "لا جريمة ولا عقوبة الا بنص" يعني لابد من وجود نص يتم اخبار الناس به قبل محاسبتهم على مخالفته، وعلى ذلك لابد من اخبار الموظفين بمعايير العمل، فأنت بحاجة الى أمرين ، الأول عدم اخبارهم بموعد الفحص ، والثاني اخبارهم بمعايير الفحص. لكن اذا كانت المعايير ذاتية ، فلا حاجة لهذا الامر الثاني.
هذا مثال الاخرة. "ان الساعة اتية اكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى". فهدف الإخفاء هو الجزاء. يعني ستظهر حقيقة كل نفس بسبب حريتها في السعي لما تشاء السعي له في هذا العالم. وهذا جواب من يقول "لماذا لم يظهر الله للجميع وجود الآخرة؟". إذن ، حرية النفوس في السعي في الدنيا هو ما يريده الله. ولذلك الحياة تبدو "فوضوية" بمعنى ان كل واحد يعمل ما يشاء في الدنيا سواء في السر او في العلن او كلاهما. هذا هو المطلوب، وهذه ليست مشكلة.
وهذا أيضا يفسر لك سبب الاختلافات الجالبة للحيرة عادة في الامور الوجودية والفلسفية والدينية والمذهبية على مستوى العالم كله. فالاختلافات الموجودة تمكن الشخص من أخذ الشيء ونقيضه. ولذلك سيختار ما تميل له نفسه ، بالتالي تنكشف حقيقة نفسه. اما اذا كانت الحقائق واضحة كالشمس للجميع فلن يحدث المطلوب ، كما ان الجميع اذا عرف ان تجاوز سرعة ٩٠ كلم/س مثلا سوف يتصنع وان كانت حقيقته انه يريد ان يطير بسيارته. الاختلافات تعزز الحرية ، والحرية تكشف الحقيقة النفسية ، وانكشاف الحقيقة النفسية هو المطلوب "لتجزى كل نفس بما تسعى". ومن هنا تعرف ليس فقط جهل بل خطورة من يدعي ان كل القضايا الوجودية والسلوكية سهلة وواضحة وقاطعة للجميع . لو أراد الله ذلك لفعل. لكنه لم يفعل لانه مخالف للحكمة التي هي انكشاف حقيقة النفس.
مصيرك بحسب سعيك. وسعيك بحسب نفسك. ونفسك بحسب نفسك!
...
الكلام له طبقات وأنواع. "وما كان لبشر ان يكلمه الله" ، هذه الآية تتحدث فقط عن الكلام مع "البشر" وليس كل مخلوق وكائن ، ولا حتى لكل إنسان. فالآية ليست "وما كان لانسان ان يكلمه الله". الآية عن

الجانب البشري حصرًا. وما هو الجانب البشري؟ هو الجسم. الذي له بشرة. يعني الطبقة المادية الطبيعية من الانسان، أسفل شيء في الانسان. ومن هنا حين أراد الكافر الذي لا يعتقد الا بالجانب المادي البدني ان ينكر كون القرءان كلام الله قال "ان هذا الا قول البشر". فالبشرية هي الجسمانية.
الان نفهم لماذا حدد الله أنواع كلامه مع طبقة البشر بثلاثة. الأول "وحياً". الوحي هو الشيء السريع الخفي. لاحظ انك حين تكون مستيقظًا وحواسك مركزة على الخارج ، افكارك ومشاعرك مثلا خفية. انت لا تراها ولا تعرف كيف تتكون وتأتيك هذه الأفكار التي تخطر لك. فعالم روحك وعقلك وسرك وقلبك هذه كلها خفية بالنسبة لك حين تنظر بحواسك الجسمانية، وتأتيك بسرعة ، تامل في سرعة تشكيلك للكلام مثلا وتناسق المعاني بسرعة هائلة. حجاب البشرية يجعل عالم الباطن والروح والألوهية يعتبر خفياً غيبيًا.
النوع الثاني هو "من وراء حجاب". كما كلم الله موسى من وراء حجاب النار الطبيعية مثلا. وهكذا انت تنظر للعالم الخارجي بعين بشريتك وتسمع وتحس لكنه حجاب بالنسبة لك ، ولذلك يبذل العلماء جهدًا عظيما ل'اكتشاف' العلوم والقوانين والمعادلات التي تنطبق على هذه المظاهر. فالاكتشاف هو حرفيًا كشف لحجاب، حتى ترى المعنى الكامن فيه.
النوع الثالث "يرسل رسولًا فيوحي باذنه ما يشاء". وهذا قمة التجسيد ، لانك لا أخذت المعنى وحيًا مباشرًا ولا من وراء حجاب بل جاءك رسول برسالة تحكي عن ذلك المعنى. فهنا اخر مراحل العجز عن المعرفة المباشرة بسبب البشرية الجسمانية.
حسنا. نحن نعلم ان الانسان ليس بشرا فقط لكنه أيضا روح "ونفخت فيه من روحي". فاذا كان الجانب الطيني منك يقتضي الحجاب فالجانب الروحي منك يقتضى الانكشاف ، العلم المباشر الظاهر ، المشاهدة والذوق . وهذا هو التكليم العقلي الذي قال عنه علي حين حكى عن عباد روحانيين "كلمهم في ذات عقولهم". هنا الله يكلم ليس الجسم لكن العقل. والنور هنا مجرد غير محتجب بالصور والألفاظ . وهذه هي الحقيقة العليا للقرءان قبل تنزله . "انا أنزلناه" إذن كان موجودا قبل نزوله في حالة عليا . وهي "انه لفي أم الكتاب لدينا لعلي حكيم". الخلاصة : كلما ازدادت بشريتك ازدادت كثافة حجابك . كلما ازدادت روحانيتك ازدادت مكاشفتك. فاختر لنفسك.
...
هذه الآية فيها حكم وعلم.
الحكم هو "اتلُ ما أوحي إليك من كتاب ربك". التلاوة من التالي ، يعني الثاني الذي يكرر شيئًا ويعيده ويتشبه به. فكتاب ربك هو الأول الأصلي ، وانت هو التالي. وبما ان الكلمة تعبير عن الروح والعقل والنور الذاتي للمتكلم ، فالتالي للكلمة يريد ان يصير هو في نفسه صورة وظلًا ومظهرًا لتلك الروح والعقل والنور الذاتي للمتكلم الأصلي. الكلمة باطنها فكرة وظاهرها نغمة، وبالتلاوة يتحول عقلك الى طريقة تفكير وتسلسل افكار المتكلم الأصلي، ونفسك تتشكل بحسب نغمة الكلام والنغمة لها تاثير وجودي حقيقي كما تلاحظ مثلا حين تسمع نغمة حزينة فتبكي او نغمة مفرحة فتضحك وترقص. لذلك الذي يتلو "كتاب ربك" يصير من "الربانيين". لان نور الربوبية يتنزل في الكلمة ، فكرتها صارت "قرءانا"، ونغمتها صارت "عربيًا"، فقال "انا أنزلناه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون". هذا هو الحكم، لكن لا يوجد حكم بدون علم، يعني لا يوجد امر بدون سبب يبعث العاقل على اتباع الامر، فما هو سبب الامر بالتلاوة؟ يوجد سببان في هذه الآية.

الأول "لا مبدل لكلماته". هذا يدل على ان الانسان يريد كلمة لا تتبدل، يريد الثبات العلمي والمعرفة المستقرة. لكننا نعلم ان الدنيا متغيرة وفانية ، فكيف لا تتبدل كلماته ؟ عدم تبدل الكلمة يقتضي عدم تبدل الحقيقة التي تدل عليها الكلمة. والحقيقة التي لا تتبدل هي الالهية والأخروية الروحية. وهذا يكشف عن ان حقيقة الكتاب هي المعاني الالهية والأخروية العلوية. فالقرءان كتاب من عالم البقاء نزل الى عالم الفناء ليرفع العاقل له الى عالم البقاء. شيء اخر لا يتبدل هو سنت الله "ولن تجد لسنت الله تبديلا"، فهذا يكشف عن ان القرءان كتاب سنن وأمثال عامة وقوانين كلية وليس كتاب تاريخ مات وانقرض أهله ومظاهره، كل ما في الكتاب الرباني هو مثال فوق تاريخي.

السبب الثاني "ولن تجد من دونه ملتحدا". الملتحد مكان اللحد، واللحد شق في الأرض. ما علاقة هذا بالكتاب؟ المعنى: حقايق هذا الكتاب لا مفر منها ولا يمكن الاختباء من اثارها. فالقرءان مثل الطوفان، فلا تفعل مثل ابن نوح الذي ظن ان جبلا سيعصمه منه، بل "لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم" وركب سفينة نوح. حقايق القرءان طوفان، وتعلم القرءان والعمل به هو سفينة نوح. لا ملتحد من دونه كما يقول الطبيب اذا انتشر الوباء "لا علاج الا بهذا المضاد الحيوي". وهذا يبعث من يريد السلامة على تناول العلاج.

الحاصل: نزل الكتاب حتى يصير وجه روحك خليفة لنور الله "يريدون وجهه"، وحتى تعلم الحقائق الثابتة والعامة المؤثرة حتما في الكل فتعرف طريق السلامة والغنيمة في هذا العالم.

...

كاف هاء يا عين صاد ،
نور الحبيب لا يُنال بالأرصاد .
عين البدن عن الحق نائمة ،
وفي كثرة الألوان أبداً هائمة .
فافتح عين قلبك أيها المسكين ،
لترى وجه الحبيب بيقين .
من كل ذرّة شعّ ضياء الحق ،
تحرق وجود جميع الخلق .
فليس إلا نور واحد محيط ،
وجود مطلق جميل بسيط .
ما صور الأكوان إلا دُعابة ،
للهو واللعب وإثارة الغرابة .
إذ هل الأكوان إلا زهرة عَبِقة ،
لتشمّها الروح فتعقل مُغتَبِطة .
لكونها وجدت ريح يوسف الوجود ،
من وراء آفاق القميص المحدود.
فعاد بصرها حديداً مُوحِّداً ،
بعد عَمىً عامّاً مُقّيِداً.
أين أُذُنك يا آدم الخلافة ،
خذ القطن وابدأ بالنظافة .

فإن الجميل يُكلّمك كل آن ،
وفي كل ريح ألف قرءان .
خيط من الفردوس امتدّ إليك ،
اتبعه أي مريد لا يكون عليك .
طريقنا ورود وشوك عسل وسمّ ،
هو حياة وموت جهل وفهم.
أنت سرّ عجز عن حلّه الحكماء ،
وغابت حقيقته عن كل الفقهاء .
فيا طلسم الكون ارفع رأسك ،
من سحرك سجدت ملائكة ربّك.
العالَم جسد انتظر قدومك ،
لتنفخ فيه الحياة بكلامك .
في عمق الأزل كتب الله ،
لأجل سعادتك يس وطه .
أحرف من نور مقدّس متعالي ،
جواهر حكمة تعلو على كل عالي.
اشرب رحيق كلامه المختوم ،
وترحَّم على الغافل المحروم.
يا حبّذا مجلساً مع الفقرآء ،
تحضره بركة خاتم الأنبياء.
نقول فيه "قال الله"،
ونكفّ شرّنا عن خلق الله.
إلى يوم يأتي بالخير عزرائيل ،
ونرجع لربّنا اللطيف الجميل.
إذ ما الحياة إلا الذكر الصادق،
مع الأحباب وبقلب عاشق.
هذا بيان لمن أراد اليقين ،
أو شمّ رائحة حديقة النبيين.
والكل منه إليه به وفيه ،
والحمد لله رب العالمين.

...

التوبة صراع والله غالب فيه باسمه التوّاب. لأن التوبة تدلّ على شئ يشدّك لتحت وشئ يشدّك لفوق، والذي يشدّك لتحت غير الله أي العدم والذي يشدّك لفوق هو الله لأن اسمه التوّاب والأعلى، والله غالب على أمره حتماً. فلا تخاف من تكرار التوبة، خف من توقّف التوبة فإن الله مدح عباده بالأوبة فقال "نِعمَ العبد إنّه أوّاب".

...

النقد للحدس، والحقد للنفس.
هذا ما ينبغي بثّه في الأمّة على طغاتها.
...
قال العارف الربّاني ، محيي الدين ابن عربي ، في كتابه التراجم ، المكتوب لكل فاهم .
{ لطيفة : إذا ضربت القفل على الصندوق ، وامتنع المال من المصارفة ، وحياته فيها فإنّه خُلِق لها فهو مجبول على الحركة وتداول الأيدي ، والدليل على ذلك ألقِ سمعك إلى التابوت المقفل تسمع المال يتحرّك في جوانب التابوت ، فإن استطعت أن تفتح القفل ولا تكسره فإنّك محتاج إلى ادّخاره في وقت ما. القفل لسانك فافهم.

إشارة ولطيفة : الوليّ الشحيح يُستَبدَل. ومَن يبخل فإنّما يبخل عن نفسه. ثم قال "وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم" بخلاء أشحّاء، بل يكونوا كرماء أسخياء أجواداً، فاعلم ذلك.}

أقول: تأويل هذا المثل وسرّه.
الصندوق والتابوت يرمزا إليك، الصندوق نفسك والتابوت جسمك.
القفل فمك. فتحه حين تتكلّم باخيار ووعي أحياناً، كسره حين لا تسكت أبداً.
المال هو المعاني والأفكار الكامنة في نفسك.

بناء على هذه الرمزية الأساسية يبيّن ابن عربي حقائق مهمّة وهي:

أوّلاً، طبيعة المعاني والأفكار والخواطر التي ترد عليك وتكون في قلبك هي طبيعة تداولية. وحسب عبارته {فإنّه خُلِق لها، فهو مجبول على الحركة وتداول الأيدي}. فالفكرة تريد الظهور والانتشار. ولا تتحمّل السكون في مكان واحد. فهي مثل المال المخلوق للحركة والتداول، وهي مثل النار في رفضها للسكون ورغبتها في الانتشار وبعث شرارها في كل مكان حولها وإضاءة المكان. وحتى يثبت ابن عربي هذه الطبيعة للأفكار يقول لك {ألقِ سمعك إلى التابوت المقفل تسمع المال يتحرّك في جوانب التابوت} يعني اسمع لنفسك وأنت صامت ستجد أنك تتكلّم مع نفسك وفي نفسك. وجوانب التابوت هي أعضاءك الباطنة والظاهرة. بمعنى أنك إذا صمتّ ستجد أنك مضطر إلى الحركة ظاهراً أو باطناً، ستجد مشاعر وخيالات تنبعث بغير إرادتك، وستجد رغبة في الكلام يتفجّر فيك. الإنسان منجم معادن، والتعبير إيصال هذه المعادن للعالمين وكشفها للكل. ومن ظلم النفس وإسراف المال عدم التكلّم بما يريد عليك من أفكار وخواطر ومشاعر. كل ما يدور في نفسك يريد الخروج من عندك والإشعاع على من حولك. هذه حقيقة نفسية وجودية.

ثانياً، الفرق بين فتح وكسر الصمت. حين تكسر القفل الموضوع على صندوق، فلا مجال لإغلاقه إغلاقاً محكماً. لكن حين تفتح القفل، فأنت تختار متى تفتحه ومتى تغلقه. ابن عربي يذهب إلى أهمّية وجود قفل، لماذا؟ {فإنّك محتاج إلى ادّخاره في وقت ما} يعني، سيأتي وقت تضطرّ فيه إلى عدم التعبير عن ما في نفسك، وذلك في حالات كثيرة مثل الإعراض عن الجاهلين، أو الصلح بين المتخاصمين أو التدرّج في تعليم المبتدئين غير ذلك من مواقف يكون الأولى فيها عدم كشف كل ما في النفس للغير وهي كثيرة. فذلك وجود القفل حسن، بشرط معرفة المواضع المناسبة لاستعماله. فالأولوية لعدم القفل، أي الأولوية للكلام وإنفاق الأفكار والمشاعر والتصوّرات، والاستثناء هو الصمت. وليس العكس، فتنبّه.

ثالثاً، الولاية إنفاق. {الولي الشحيح يُستَبدَل}. فأهل الله {كرماء أسخياء أجواداً} فلا يبخلون بما عندهم من علم وفكر وحقائق ويضنّون بها على أحد، كما قال الله عن رسوله "وما هو عن الغيب بضنين". وفي كل الأمم القديمة والحديثة كان أصحاب العلم والفكر يبخلون بأفكارهم ويتقاضون عليها مالاً لإعطائها أو حتى لا يعطونها لأحد، ومآل هؤلاء إلى الاستبدال، فلا يختارهم الله لأمره العالي وقضاياه المقدّسة.

إذن، من أهمّ علامات الأمّة المصطفاة أن يكون الكلام فيها حرّاً حتى ينفق كل شخص ما عنده بغير قيد أو شرط من غيره. فتأمل.

...

يا ليت لو اشتغل الفقهاء وتبحّروا في قضايا الحريات والحقوق السياسية بنفس القدر الذي اشتغلوا فيه بما اشتغلوا به عبر العصور من أمور كان الأولى تركها بسيطة أو عدم الالتفات إليها أصلاً. تصوّر عظمة الانتاج السياسي والقانوني حينها. راحت عليهم، فيا ليت لا تروح علينا.

...

في البداية كنا نطعم القطط في مواعيد محددة
صحن الطعام يكون فارغًا طوال اليوم الا حين نضع فيه الطعام. بعد ذلك غيّرنا قانون الإطعام وصرنا نجعل الصحن مملوءاً طوال اليوم بغض النظر عن اي شيء. الذي لفت نظري هو الفرق الكبير بين تعامل القطط مع الطعام قبل وبعد. أيام قانون الصحن الفارغ كانوا بمجرد سماع صوت كيس الطعام بل احياناً بمجرد تحرك الشخص ليجلب الكيس ينطلقا بسرعة رهيبة نحو الصحن. لكن بعد قانون الصحن الممتلىء صاروا لا يهتزون ولا في اماكنهم حتى حين يسمعون صوت الطعام يوضع في الصحن فعلياً.
فالنفس حين تعتاد الحرمان من شيء، تتوق نفسها للشيء وتبالغ فيه. لكن حين تعتاد على توفر الشيء، تطمئن بل قد تختار التقليل من تعاطيها للشيء او حتى تزهد فيه بالكلية.
لاحظ هذا الأمر في مجالات متعددة إيجابية وسلبية. مثلا، الذين يعيشون في بلدان فقيرة، قد يأكلون اي شيء وحتى الكلاب والحشرات. لكن الذين يعيشون في حالة غنية،قد تجدهم يختارون ويتعصبون لعدم اكل اللحوم او حتى المطبوخ او الذي فيه سكر وغلوتين وما الى ذلك. الانسان هو الانسان في الحالتين، ولو جاع أبو غلوتين قهرًا لبضعة أيام قد تجده يأكل الحشرات متلذذا مع أخيه المعدوم، وقد حصلت مجاعات في الماضي اضطر الناس فيها الى اكل أطفالهم، وهم نفسهم قد يتقززون من اكل الطعام في أيام الوفرة اذا لم يكن الطعام مملحاً كفاية.
الأمثلة كثيرة في كل المجالات الفكرية والمالية والشهوانية والترفيهية. بعض المؤلفين مثلا يتعمّد وضع بعض العبارات في كتابه حتى يصير "ممنوعًا". لانه يعلم ان هذا سيزيد من مبيعات كتابه. قد يكون كتاباً تافهاً ولن يلتفت اليه احد، لكن لانه اشتهر بانه ممنوع ومُحارَب ومضطهد صارت له سمعة عالمية هو وصاحبه. اذكر بهذا الصدد كتاب "الآيات الشيطانية" وهي رواية لا أظن ان زوجة مؤلفها كانت ستقراها، لكن بمجرد ان اصدر مرشد ايران فتوى بقتل المؤلف لانه تعرّض للنبي بسوء، صار المؤلف من اشهر الناس حتى ان ملكة بريطانيا جعلته "فارساً" او شيء من هذا القبيل.
احيانا انت تساهم في قبول وإقبال الناس على الشيء الذي تريدهم ان يعرضوا عنه ويرفضوه. تصبح كانك موظف تسويق للبضاعة التي تريد محاربتها. كيف؟ تمنع المنافس لك من الظهور ، وتجعل اتباعك

يظهرون ليل نهار. النتيجة عكس ما تريده تماما! لانك منعت المنافس، صار مرغوبا ومحترما. ولانك وفرت اتباعك ليل نهار صاروا مبذولين مملولين مزهود فيهم. وهذا خطًأ الطغاة في كل زمان ومكان، وعلى ما يبدوا لا يتعلمون من مصايب بعض أبداً.
الحرمان والتقييد من أفضل وسائل لفت الأنظار وتشويق النفوس لما هو تافه وحقير. وأفضل وسيلة لابطال عظمة شيء عادي هو ان تضعه في صحون الناس ليل نهار، وحينها -مثل قططي- قد لا تهتز لهم شعرة اذا سمعوا صوته...اللهم الا اذا كان يستحق الاهتزاز!
...
حين ترى إقبال الكثير من الناس على تعلّم الدين، لا تستعجل بمدح الحالة الروحية والتقوية في الأمّة. بل قد يكون هذا الإقبال من شرّ ما يحدث للأمّة. ومنشأ الغلط هو الاعتقاد بأن الدين جيد، إذن كل إقبال على الدين أمر جيّد. الغلط هو في الاعتقاد بأن الإقبال على الأمر الجيّد دائماً يكون أمر جيّد، والواقع أن الأمر ليس كذلك. بل قد يكون الإقبال على الدين من علامات أنحطاط الناس. لأن دوافعهم للإقبال على الدين ليست "دينية" و"إيمانية"، ولكنّها طفيلية وشحاذة عالية المستوى، مما يجلب أضراراً على علوم الدين ومكانته في قلوب الناس في المحصّلة النهائية. خذ هذان المثالان.
الأوّل، ورد في كتاب تاريخ الخلفاء لابن قتيبة، والقصّة من العهد العبّاسي. يروي أن هارون الملقّب عندهم بالرشيد، اجتمع مع الفضل بن عياض وبعد أخذ وردّ المفترض أن هارون كسب فيه الجدل وبناء على نصيحة الفضل بن عياض أرسل هارون لولاته ما يلي {فانظروا من التزم الآذان عندكم فاكتبوه في ألف من العطاء. ومن جمع القرآن وأقبل على طلب العلم وعمّر مجالس العلم ومقاعد الأدب، فاكتبوه في ألفي دينار من العطاء. ومن جمع القرآن وروى الحديث وتفقه في العلم واستبحر، فاكتبوه في أربعة آلاف دينار من العطاء. وليكن ذلك بامتحان الرجال السابقين لهذا الأمر المعروفه به من علماء عصركم وفضلاء دهركم}. إذن، مَن يدرس الدين يأخذ الدنيا، يأخذ الأموال، يعيش على حساب الدولة. وأي مال! آلاف الدنانير في عصر كان معظم الناس يعيشون فيه على الفتات. النتيجة؟ النتيجة ذكرها عبد الله بن المبارك حسب المروي، ويبدو أنه كان سعيداً بالنتيجة والله أعلم ولا أدري لماذا. يقول {فما رأيت عالِماً ولا قرائاً للقرآن ولا سابقاً للخيرات ولا حافظاً للمحرمات بعد أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأيام الخلفاء والصحابة أكثر منهم في زمن الرشيد وأيّامه. لقد كان الغلام يجمع القرآن وهو ابن ثمان سنين، ولقد كان الغلام يستبحر في الفقه والعلم ويروي الحديث ويجمع الدواوين ويناظر المعلمين وهو ابن إحدى عشرة سنة}. أقول: نعم، ولو نظرت إلى قفى هذا الغلام، على الأغلب ستجده أحمراً دماً من كثر صفع أمّه له ليخرج ويحصّل آلاف الدنانير بحفظ هذه الدواوين...في سبيل الله طبعاً ! ولا نستغرب بعد ذلك من وجود الخلافات والنزاعات المنحطّة بين المتعاصرين من "العلماء" والفقهاء والمحدّثين حتى صار من المبادئ المشهورة عندهم عدم أخذ نقد المعاصر في معاصره، والسرّ؟ لأن المعاصر منافس على الأموال الحلال الزلال التي كانت تغدقها الدولة عليهم، هذا رأيي والله أعلم. وحين ترى الاختلافات التافهة في الفقه والعقائد، أو الاشتغال بالمسائل البعيدة عن قضايا الدولة والحريات والحقوق، لن تستغرب حين تعرف رواتب هؤلاء مَن كان يدفعها وكَم كانت. تطويل المسائل وتعقيدها والإغراب فيها وغير ذلك من سفاسف العلم والرأي والفكر، لن تستغرب منها بعد ذلك. أمور كثيرة ستفهمها حين تنظر إلى الأموال ومصدرها.
حسناً، هذا في العصر الغابر، لا أعاده الله. فماذا عن العصر القريب منّا؟ المصدر هو كتاب لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث للدكتور علي الوردي رحمه الله، الجزء الثالث، أثناء كلامه عن

الجامعة الإسلامية (ليس جامعة دراسة ولكن نوع من الوحدة بين المسلمين) التي كان يدعو إليها السلطان العثماني عبدالحميد الثاني. فذكر الدكتور الوردي محاولات السلطان عبد الحميد للتمسّح الشديد بالإسلام وإحيائه محافظة على دولته المنهارة وسلطته الآيلة للزوال، وكان من أفعال عبد الحميد ما يلي {وطبع السلطان عبد الحميد آلاف النسخ من القرآن الكريم وأمر بتوزيعها في أنحاء البلاد العثمانية. وأكثر من فتح المدارس الدينية حتى بلغ عدد طلابها في مدينة اسطنبول وحدها أربعين ألفاً. وأضاف إلى ذلك أنه استثنى علماء الدين وطلابه من الجندية، فكان ذلك سبباً لتهافت الناس على علم الدين هرباً من التجنيد.}. أقول: هارون العبّاسي دفع الناس لعلم الدين بالمال، وعبد الحميد العثماني دفع الناس لعلم الدين بالهرب من الجندية. فواحد يريد ماله، وواحد يريد حياته. بعبارة أخرى، مثلهم مثل أي إنسان جاهل وملحد ومنحطّ على وجه البسيطة، ومثل أي مؤمن ومسلم عادي أيضاً بشكل عام، أي هدفه الوحيد من الحياة وقيمه وأصوله مبنية على شيئين: حياتي وأموالي. فحين يندفع شخص إلى علم الدين بهذه الأغراض المادّية التي كان من المفترض أن يسعى لها ليس بعلم الدين ولكن بعمل الدنيا مثله مثل بقية الأسوياء من خلق الله الذين يكسبون ليعيشوا وينمّوا معايش البشر، لا، هذا يريد أن يهرب من الجندية (وحُقّ له ذلك في تلك الدولة اللعينة التي كان الناس يموتون فيها لأغراض لا علاقة لهم بها) فلاشكّ أنه كان سيهرب من الجندية ولو بأن يُصبِح حاخاماً في اليهودية.

لهذه الأمثلة وغيرها، ينبغي عدم التحمّس لانتشار الدين في أي بلد أو إقبال الناس على تعلّمه والتكلّم به. اللهم إلا بعد النظر في مصادر معايش المتعلّمين والمتكلّمين.

ومن الملفت للنظر، أن {أربعين ألف} طالب علم دين في اسطنبول وحدها، مثلاً، فكم واحد من هؤلاء قدّم علماً مفيداً للأمّة؟ كم واحد منهم معروف أصلاً أو بلغ شيئاً ذو بال؟ نفس الشئ يُقال حين ترى عشرات الآلاف من طلاب "الحوزات العلمية" في إيران مثلاً وغيرها. كل هذه الألوف المؤلفة من الطلاب والمتخرجين والذين يقضون عشرات من السنوات في تلك المؤسسات، والثمرة؟ الثمرة أنك إذا نظرت إلى الانتاج العلمي الفعلي لكل هذه المؤسسات المبنية على إعطاء الأموال لمن يعيش فيها، هي أشخاص يمكن عدّهم على الأصابع، ثم إذا نظرت إلى هؤلاء الأشخاص ستجدهم غير مندفعين لتعلّم الدين من أجل الأموال فإمّا عندهم أموالهم الخاصّة وإمّا لهم صنعة أو نادراً ما يكون من ذلك القبيل الشحاذ باسم تعلّم الدين.

لابد من إلغاء كل هذه الأمور. فهؤلاء ليسوا فقط طفيليات لا تنتج خيراً، بل هم عوامل فعّالة في الشرّ الواقع على المجتمعات التي يكونون فيها. لماذا؟ لأنهم يعتبرون الدين مصدر رزق لا مظهر حق. بالتالي سيدافعون عن ما يشكّل مؤسستهم وعقيدتهم ليس لأنّها حقيقة أو صواب حتى عند أنفسهم، بل أكاد أجزم أن معظمهم إمّا ملحد بها وإمّا غير مقتنع وله آراء أخرى يخشى من إظهارها حتى لا يرجع إلى الشحاذة التقليدية على أبواب المساجد. الشحاذة على المنابر وأنت ممسك بكتاب ألطف من الشحاذة الجافّة على الأبواب. ولذلك تجد هذه المؤسسات عوامل فعّالة عادة في تخلّف وجهل وتثوير عوام أتباعهم لكل غرض يناسبهم هم ولتذهب البلاد والأمّة إلى الجحيم بعد ذلك.

اطلب المعيشة بالحِرفة، ومن أجل النفس والله اطلب المعرفة. أي معادلة غير هذه هي دمار محقق عاجلاً أم آجلاً...بل عاجلاً !

...

تأصيل قواعد فهم النصّ، قد تكون مصنعاً لانتاج تحريف النصّ، مع راحة الضمير طبعاً لأنه يشعر بأنه يلتزم أصول الفهم السليمة.

من أمثلة ذلك، ما ورد في أصول الشاشي. يقول في قواعد ترك الحقيقة من النصّ، النوع الرابع، {قد تُترَك الحقيقة بدلالة من قِبَل المتكلّم. مثاله قوله تعالى "فمَن شاَء فليؤمن ومَن شاَء فليكفر" وذلك لأن الله تعالى حكيم والكفر قبيح والحكيم لا يأمر به، فيُترَك دلالة اللفظ على الأمر بحكمة الآمر.}

أقول: هنا نجد مثالاً بارزاً على عقلية الاستعباد التي كان عليها القدماء مع الأسف. وهي عقلية لا تفهم ولا تريد أن تفهم معنى الحرية في الدنيا للناس جميعاً. فحرية الدين عندهم هي شئ يريدونه لأنفسهم فقط، أمّا لغيرهم فلا اللهم إلا أن يكون عبداً تابعاً لهم فحينها يقيّدون ويحددون.

الله يقول {فمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر}. اعترف الشاشي بأن حقيقة اللفظ هنا أن الله يأمر بالكفر. وهذا غير صحيح. ليس في الآية أن الله أمر بالإيمان أو بالكفر مباشرة. لكنّه قال {مَن شاء} فليؤمن وفليكفر. فالآية تبني الإيمان والكفر على مشيئة الإنسان. والله يأمر هنا بإنفاذ مشيئة الإنسان في الإيمان والكفر. وهذا ما فهمه الشاشي وغيره، لكنّهم لم يرضوه، لأن معناه عدم قدرتهم على لعن أمّ الكفار من وجهة نظرهم وإخضاعهم لحكمهم وإجبارهم على ما يشتهون في أمر دينهم. فصدق الله حين قال "يحرّفون كلام الله من بعد ما عقلوه وهم يعلمون". فهم عقلوا كلام الله، ويعلمون المقصود منه، ثم يأتي التحريف عن سابق إصرار وترصّد. فتصير الآية العظيمة التي تبيّن أن مشيئة الإنسان في أمر الدين واجبة النفاذ، وهي أمر الله في هذه الدنيا. وتتحوّل الآية إلى شئ آخر، بالتأكيد ليس هو مقصود الله منها.

وأمّا الحجّة الضعيفة بل التبرير السخيف بأن {الله حكيم، والكفر قبيح، والحكيم لا يأمر به} فهو مناقض للوجود وللقرءآن وللعرفان. أسماء الله فيها ما يقتضي وجود الإيمان وفيها ما يقتضي وجود الكفر، كما أن فيها ما يقتضي وجود الجنّة وفيها ما يقتضي وجود النار. "هو الذي خلقكم، فمنكم كافر ومنكم مؤمن". وهذا الواقع في الوجود، والذي لا يستطيع أحد رفعه ولا تغييره على الحقيقة، والكلّ مقرّ بذلك بوجه أو بآخر. فالله خلق الإنسان له مشيئة حرّة، لأن مشيئه من مشيئة الله وظلّ لها، "وما تشاؤون إلا أن يشاء الله" كما قال القرءآن. بالتالي، الإنسان حرّ، مخلوق بحرية جوهرية فيه. هذا أمر. والثاني أن أمر الإيمان والكفر موكول حسابه إلى الله، وعاقبته في الآخرة. بالتالي، في الدنيا الله فعلياً ووجودياً قد أنفذ مشيئة الإنسان في الإيمان والكفر، وهذا ما نشاهده جميعاً. والقرءان يقرر هذه الحقيقة وليس أكثر. إلا أنه يأمر بالتضمّن المسلمين المؤمنين بهذا القرءان أن يعملوا على هذا الأساس ويعترفوا به. فالمفترض أن تكون بلاد المسلمين بلاد حرية الإيمان والكفر، والتكلّم بهما وإظهارهما ما دام الأمر دينياً وكلامياً، كما يشهد لذلك القرءآن كلّه على التفصيل الذي تجده إن شئت في كتابنا السلطان أو اقرأ القرءان بنفسك وانظر ما فيه. {فمن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر} تعني بعبارة أخرى: الحرية الدينية في الدنيا. لكن بما أن القوم لا يريدون حرية دينية في الدنيا، فيحتجّون بحجج كلامية ضعيفة مثل {الله حكيم والكفر قبيح والحكيم لا يأمر به} وما أشبه من خزعبلات المتكلّمين السطحيين بل الطاغين.

ليكن هذا ببالك حين تقرأ كتب الأصول وقواعد التفسير وما أشبه. واحذر أن تقيّدك بقيودها المصطنعة الزائفة والتي لا تدري ما وراءها من مقاصد أو مجرّد جهل أصحابها وعدم إرادتهم لأخذ كتاب الله كما هو.

تنبيه أخير: هذا ليس كلاماً ضدّ الشاشي أو غيره بالتخصيص، رحم الله الصادقين منهم وتجاوز عن المخطئين بجهالة، وحاسب المتعمّدين لظلم الناس حساباً شديداً يجعلهم يلعنون اليوم الذي ولدوا فيه على ما سببوه من مظالم في الأمّة وإعانة للظلمة على مرّ القرون. وبالمناسبة كتاب أصول الشاشي جيّد السبك والصياغة ويفتح أبواب جيّدة، مع استغرابي من هذا الكتاب وغيره في الأمثال التي يضربونها،

فما بالهم يكثرون من أمثلة الطلاق والاستعباد، إذا طلق امرأته، إذا أعتق عبده، وما أشبه. أي نفسية كئيبة وغارقة في السوداوية هذه التي تستهل ذكر الطلاق والاستعباد، وخصوصاً استعباد الناس وكأنّه أمر عادي، بدلاً من غسل الوجوه بماء المحيطات لعلّ عار وشنار وظلم بل كفر استعباد الإنسان للإنسان يبدأ بالزوال عن وجوههم الخالية من الحياء. والله المستعان.

...

توجد ثلاثة أسباب كبرى

تجعل الانسان يأخذ كتاب الله بجدية او يجعل دراسته وتأمله محور حياته.

السبب الأول: اعتبار قصصه أمثال لا تاريخ. حين تقرا عن عصا موسى واحياء عيسى وما اشبه من قصص القرءان، هل تعتبر هذا كلامًا عنك انت أم لا؟ اكثر الناس يظن نفسه يقرا تاريخ عن شخصيات قديمة انقرضت. مثل هذا بالتأكيد لن يحب قراءة هذه القصص لان النفس لا تحب ما لا يتعلق بها ويعنيها. بينما الذي يعرف ان كل قصص القرءان أمثال ورموز عن النفس الإنسانية، نفسك انت وأسرارها وأطوارها وابعادها الباطنية المختلفة، فهنا ستجد نفسك مقبلة وعاشقة للقرءان. لان القصص قصصك انت. ومفتاح هذه القصص هو التأويل النفسي ، يعني تقرأها كامثال ، كأنها رؤيا منام تحتاج الى تعبير.

السبب الثاني: اعتبار اوامره حقيقية لا اعتبارية. المعنى ؟ اذا قلت لك "لا تأكل السم حتى لا تموت" فانا اعبر عن علاقة حقيقية وجودية طبيعية بين السبب والأثر. لكن اذا قلت لك "لا تتأخر عن المدرسة حتى لا يطردوك" فهنا قد تتأخر عن المدرسة ومع ذلك لا تتعرض للطرد مثلا لأني اعرف صاحب المدرسة وتوسطت لك وشفعت فيك فعفا عنك، هنا العلاقة بين التأخر والطرد هي مجرد شيء اعتبره الناس كذلك بالتالي يمكن تغييره بالواسطة والشفاعة مثلا. الان، هل أوامر الله تعبر عن علاقة سببية أم علاقة فوضوية قابلة للوساطة والتغيير من الخارج؟ اكثر الناس يتعاملون مع الأوامر والدين عمومًا انه اعتباري لا حقيقي. ولذلك لا يبالون به ويقولون "الله عفو غفور" او "النبي سيشفع لنا" او ما اشبه. لكن أهل الله يعلمون ان العلاقة حقيقية لا واسطة فيها، ولذلك قال لموسى مثلا "فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى". سبب وأثر ، تنصد عن الآخرة ستردى وتخسر، حتى وهو موسى كليم الله، كما ان موسى لو شرب السم القاتل سيموت بدنه. الكون فيه نظام حقيقي ، سبب وأثر ، لذلك قالوا "الدنيا مزرعة الآخرة" فالعلاقة طبيعية بين ما تعمله هنا وما تحصده هناك. ومن هنا أهمية دراسة العلاقات السببية في القرءان. الدنيا ليست فوضى ولا توجد كلمة سحرية تفعل كل شيء مهما كانت حياتك وأفكارك ونواياك وأعمالك. استيقظ قبل ان يوقظوك !

السبب الثالث: معانيه علمية لا عاطفية. الذي يعتبر القرءان كلامًا عاطفيًا دينيًا فقط ، وكان اي كلام جايز لدفع الناس لعمل الخير، وليس ان معانيه علم وعقل ويقين وحقيقة ، فمثل هذا سينفر عقله من النظر في الكتاب العزيز عاجلا أم آجلا، وسيستثقله استثقالا، لان العقل يتغذى بالعلم. نعم هذا لا يعني ان القرءان له برود كتب الفلسفة، والواقع ان الكتب الباردة لا تدل على العقلانية بقدر ما تدل على ضعف كاتبها.

القرءان نور ونار، نوره تضيء سماء العقل ، وناره تمد النفس بطاقة الحياة. القرءان يقين تستقر الروح عند حقائقه ، والسر الذاتي يعشق سر ذات المتكلم به والحاضر مع ذاكره. فانظر مكانك من هذه الأسباب لتعرف سبب اهتمامك بالكتاب .

قالت: طيب ماشالله عليك انت تعرف التفسير وتبحث كثيرا فيه طيب انا مابفهم ومابدي افسر من نفسي لكني اكره الموروث صراحةً وتائه عن المصادر العقلانية والواعية ياريتك تساعدنا شوي شوي بالمصادر الي تنور عقلك.
قلت: الذي لا يفهم بنفسه ، ولا يريد التعلّم من غيره ، فماذا بقي بيده ؟ بقي أن يذهب إلى المتكلّم نفسه ليسأله أن يشرح له كلامه. فابحث لك عن طريق إلى الله تعالى ليفهمك كلامه بنفسه طالما أنك لا تثق بفهمك ولا بفهم غيرك. وقد قالوا قديماً أن الله يمكن أن يعطي عبده فهماً في كتابه. فاسلك هذا الطريق. أمّا ما تسمّيه "المصادر العقلية والواعية" التي تعتقد بوجودها عندي، فشخصياً لا أعرف مصادر عقلية وواعية إلا وهي مصادر أشخاص فهموا بأنفسهم أو ورثوا كتباً عن غيرهم. فإذا كنت لن تثق بفهم نفسك، فكيف أدلّك على فهم أناس يعيشون بيننا اليوم ويفهمون القرءان بأنفسهم. وإذا كنت تكره الموروث، فما الفائدة أن أخبرك عن كتب ابن عربي مثلاً. لابد أن ينفتح الإنسان على التعلّم من كل مصدر، حتى من أعداء القرءان فضلاً عن التعلّم من أهل القرءآن، وحينها فقط يمكن أن يجد شيئاً حقيقياً وقويّاً. إغلاق الأبواب على النفس لا يفيد. المفترض أن يسعى الطالب لفتح الأبواب المغلقة، لا أنّه يُغلق الأبواب المفتوحة. بيدك أن تجتهد بنفسك، وبيد أن تستفيد من الكتب الموروثة، وبيدك أن تتشاور مع غيرك من أهل زمانك من قراء القرءآن، وهذا كلّه قد أمر به القرءان. فقال "أفلا يتدبّرون القرءان" باعثاً على التأمل الفردي. وقال "فاسألوا أهل الذكر" باعثاً على الاستفادة من القراء الآخرين. وقال "فأتوني..بأثارة من علم" باعثاً على الاستفادة من الموروث العلمي العام. فالقرءآن يدلّ على كيفية تعلّم القرءان ويفتح كل الأبواب. وهذه طريقتنا.
قالت: طيب شكراً لك هذا كلامي الحقيقي عن الي افكر بي حالياً لم اكن ادرك مشكلتي مالم اعبرعنها وسؤالي عن الحل اعتبره بداية الطريق ،، و يمكن سؤالي لك يكون رسالة انو في ناس بهيك مرحلة ،يمكن يأتيك الالهام للتعبير ورؤية مراحل الغير.

...
"جعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا"
التعارف على وزن تفاعل ويدل على التبادل، خذ وأعطي. تبادل المعرفة. فكل الناس عندهم معرفة تستحق الأخذ. وخصوصا المعرفة الوجودية العامة والإلهية والروحية، لذلك قال الله لنا "لكل أمة رسول". فكل أمة عندها معارف ذات اصل الهي وعلوي. ولذلك قال "لتعارفوا". ويشهد لهذا المعنى ان علماء التاريخ والأنثروبولوجيا وغيرهم لم يجدوا شعباً او قبيلة في كل أنحاء الأرض الا ولديهم دين ما وتقاليد ينسبونها لمصدر علوي او عريق ما ولها قداسة خاصة عندهم. وحين جاء أهل الحكمة الخالدة العالمية ودرسوا هذه الأديان والتقاليد وجدوا في جوهرها اتفاقًا عجيبًا بالرغم من وجود اختلافات خصوصًا ظاهرية.
لكن على خلاف طريقة أهل "لتعارفوا" ، يوجد ايضا في كل الأقوام اصحاب "لتقاتلوا". هؤلاء كل واحد يدعي ان عنده كل شيء وليس عند احد غيره شيء. ومن اجل إثبات هذا الأمر الجاهل البغيض تجدهم يجادلون بطريقة لو طبقناها على دينهم نفسه سينكسر. اضرب أمثلة مختصرة.
مسيحي يأتي لمسلم ويقول له "دينكم هذا الذي خرج من الصحراء والبدو لا يمكن ان يصنع حضارة إنسانية". طيب. المشكلة ان المسيحي نفسه يعبد رجلا "بدويا" ! لان العبرانيين قبائل بدوية في الأصل ، ويسوع عندهم هو رجل عبراني يهودي ويهودا هو شيخ قبيلة ومنه اسم "يهودي". ثم المسيحيون يعظمون

رهبان اسمهم حرفياً "اباء الصحراء". وهم رجال تركوا المدن ليعيشوا في خلوة الصحراء يعبدون ربهم.
الان ، ما فايدة خصومة سخيفة مثل هذه؟
مثال اخر ، استمعت مرة لاحمد ديدات وهو يسخر من مقطع في كتاب اليهود والمسيحيين يقول ان ادم بعد ان اكل من الشجرة اختبأ من وجه الرب في الجنة وناداه ربه "يا ادم أين انت؟"، فيسخر ديدات ويقول "وهل الله الذي يعلم كل شيء يحتاج ان يسال ادم أين انت !" ها ها ! طيب. لو كنت انا هناك كنت سارد على ديدات ، الم تقرا في القرءان الله يسال موسى "وما تلك بيمينك يا موسى" فهل الله لا يعلم حتى يسال موسى ؟! سيقول المسلم: الله سال موسى ليقرره وليس عن جهل. طيب اذهب واسأل اي عالم من تلك الأمة سيقول لك ان سؤال "يا ادم أين انت" هدفه ان يشعر ادم بالفرق بين مكانه ومكانته المعنوية قبل العصيان وبعد العصيان. قبله كان مرتاحًا واثقًا، بعده صار خائفًا خجلًا. وهكذا.
توجد أمثلة كثيرة يمكن ضربها في هذا الباب. العبرة هي التالي: لكل أمة كتب تعتقد انها ذات مصدر علوي. ولكل أمة صفوة تفهم حقايق وبواطن هذه الكتب. اذا أردت ان تتعرف على ما عند غيرك ، فابحث عن تلك الصفوة وخذ منهم او اقرأ كتبهم بعين متعمقة صافية وليس صبيانية مشاغبة.
اكمل الناس هو اعرف الناس بما عند كل الناس.
معارف الأمم مثل حديقة فيها مختلف الأشجار والازهار. وأهل العقل مثل النحل ، يشربون من الكل وينتجون الرحيق المختوم الذي يكشف عن كل سر مكتوم ويشفي القلوب بنور العلوم.

قالت: بسبب الرفض الي تعلمناه انه التعلم عن الاديان الاخرى ولامم هو خط احمر لايمكن تجاوزه اصبح اغلبنا الافق عنده ضيق ولايرى الحياه بمنظورها الحقيقي الجميل.. لما نطلع على لاديان الشعوب ونكون مطلعين هنا تتوسع مداركنا ونرى الحياه بمنظور واااسع وعظيم .
قلت: لا يخاف من التعلم عن الآخرين ، الا من يعرف انه ما عنده هش وضعيف وخالي من قوة اليقين.

...
الكلام وسيلة اتصال وانفصال معاً
لاحظ مثلا كيف وصف موسى ما بيده "قال هي عصاي اتواكا عليها واهش بها على غنمي ولي فيها مارب أخرى". ست كلمات في الآية تكشف عن محدودية التعبير البشري وانحصاره في زوايا ضيقة تمنع من كشف الأبعاد الأكبر للأشياء والقضايا في العالم.
١-(قال). القول مقيد بلسان ولهجة، ومعلوم ان نظام كل لسان يقيد العقل في زاوية خاصة مثل ترتيب الجملة والضمائر وغير ذلك. والقول قيد أصلا لانه يحكي عن الشيء الموجود وليس هو نفس ذلك الشيء، بالتالي يوجد انفصال بين الكلمة والموجود الخارجي الذي تدل عليه. وهذا الفصل يؤدي الى اختلاف واختزال كثير لحقيقة الموجود.
٢-(هي). وليس "هو"، ولا ضمير محايد لا ذكري ولا أنثوي. فهذا قيد يكشف عن انحصار معين في النظر الى طبائع الأشياء. فمعلوم بعض اللغات تعبر عن نفس الموجود بضمير مذكر او مؤنث او محايد، وهو هو نفس الموجود في جميع الحالات.
٣-(عصاي). القيد الأول تسمية "عصا"، وما تحمله هذه اللفظة من علاقات ظاهرة وباطنة مثل كل كلمة عموما. مثلا، الشعور الذي يجده الشخص حين يجامع زوجه، في بعض اللغات يسمى "شهوة"، وفي غيرها "نشوة"، وغيرها كالفرنسية يصفونها بالموت الأصغر وهكذا. كل واحدة من هذه التسميات تحمل مجالاً دلالياً خاصاً يكشف عن عقلية أصحابها. التسمية عمل خطير وسلطة عظيمة. القيد الثاني هو

نسبة الملكية في حرف الياء "عصاي"، وهذا يتضمن عقيدة وجودية خاصة ترى ان الموجود المحدود يصح نسبة تملكه لشيء بينما توجد عقائد أخرى مثلا تنفي ذلك وترى العبد فقير فقرًا محضا ولا فاعلية له فلا يصح نسبةً شيء اليه أصلا وهلم جراً. ٤-(اتواكا عليها). هنا موسى يصف الشيء الذي له وجود مستقل عنه بحسب استعماله هو لذلك الشيء. فسلب بالتالي استقلالية الموجود الخاصة وفرادته، وجعله تابعاً له. وهذا تقييد له.

٥-(واهش بها على غنمي). ايضا استعمال محدود للشيء ولا يحصر امكانياته الواقعية.

٦-(ولي فيها مآرب أخرى). له هو وليس لغيره، بينما بالإمكان ان يكون لغيره مآرب ايضا في العصا.

النتيجة ان كل ما رآه موسى في عصاه تلاشى حين قال الله "ألقها يا موسى. فالقاها فاذا هي حية تسعى". فظهرت بصورة مختلفة تمامًا عن وصفه المفصل.

ما فايدة هذا الكلام؟ الفايدة الأولى ، انتبه لكلامك ووصفك لنفسك والأشياء عموما، فأنت تسجن نفسك بنفسك ولا تشعر بذلك. ثانيا، استمع لغيرك في وصف نفس الأمر ولا تنحصر بكلامك، لان غيرك قد ينبهك على ان ما تراه انت عصا هو ايضا حية تسعى ! واللبيب بالإشارة يفهم (كما أشاعوا عن اللبيب المسكين !)

...

"وقتل داود جالوت

وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين".

انت مختصر العالمين لان كل العوالم فيك .بعضك روح سماوي وبعضك جسم ارضي. داود قوتك الروحية ، وجالوت شهواتك الجسمية غير المنضبطة .وأيام حياتك هي ساحة المعركة.

فاذا احببت داودك الذي هو صانع الدروع والقضاء العادل والمسبح بالزبور، فستقتل جالوتك. احيانا جالوت سيغلب، وأحيانًا داود سيغلب، فالعبرة ليست بغلبة يوم، ولذلك توجد توبة واستغفار، لكن العبرة بحسم المعركة لصالح داودك.

ما هو صنع الدروع؟ قال الله لداود "اعمل سابغات". الدرع ما يحول بينك وبين طعن العدو. والعدو هنا هو الشهوة المنفلتة، بالتالي الدرع هو أخذ الشهوة المعتدلة المشروعة. فهذه تحول بينك وبين بركان الرغبات. السابغات تعني التي تغطي كل الجسم، والمعنى ان تعطي كل جزء من جسمك حقه المناسب له فلا تحرمه لان الحرمان يشعل البركان.

ما هو القضاء العادل؟ قال الله لداود "فاحكم بين الناس بالحق". هو ان تنظر في كل رغبة ورهبة نظرًا مجردًا مع معرفة أسباب كل واحدة ، ثم الحكم لصالح الطرف الأسلم. فمثلاً رغبة تقول "نصوم الدهر لنتجرد" وأخرى تقول "لا بل لا نصوم أبدًا لاننا ضعاف"، فالعدل هنا ان تعطي كل طرف ما يستحقه لان له وجهة صحيحة ، فتصوم احيانا وتفطر احيانا ، وهكذا في كل امر بتعمق اكثر طبعاً. ما هو التسبيح بالزبور؟ قال الله عن داود "أرسلنا الجبال يسبحن معه والطير"، اي النظر الى الطبيعة ككائن حي وله روح متوجهة الى الحق تعالى. لان جالوت سيضربك بحجة الاهتمام بالطبيعة، فتصد ضربته بالكشف عن حقيقة الطبيعة وأنها جميلة وروحانية في عمق ذاتها، فلا تتعامل مع الطبيعة كشيء قبيح او ميت او مجرد ساحة للصراع والنزاع.

وهكذا بالمشروع والتوسط والتسبيح ، ستجد داودك يقتل جالوتك. وحينها ستنال ثلاثة أشياء.

الأول "الملك" اي ستملك نفسك وتتحكم بجسمك وليس هو الذي سيتحكم فيك. الثاني "الحكمة" وهي العلم مع العمل، فيتناسق ما في عقلك وتقوله مع ما تفعله فلا تكون مزدوج الشخصية. الثالث وهو تاج العطاء "وعلّمهُ مما يشاء" لان قلبك سيكون تحرر من جالوت واستعد للنظر في الملكوت ، وسيعلمك الله مما تشاء لان العلم نور والذي ينحبس في ظلمة صورة جسمه المظلم لن يرى ذلك النور.
هذه المعركة ليست هينة ، وقد تستمر المجاهدة المعنوية فيها لسنوات طوال ، لكن في النهاية...الفضل الذي ينتظرك اذا فزت فضل عظيم.

قالت: أحيانا بين جالوت وداود حروب وأحيانا بينهما حوار !
قلت: لولا أن جالوت لا يتحمّل وجود داود، لتحاور داود معه. لكن جالوت يريد إفناء داود، وهنا أساس المشكلة وسبب المعركة النفسية بينهما.
قالت: الله يعين داود.

...
"وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذّب بها الأولون"
فرق بين أمة تقوم على آيات تشبه السحر، وآيات تثير الفكر. الآيات من نوع غرائب الطبيعة دايما معرضة للشك فيها. لماذا؟ لان الحواس لا تكشف الأسباب. افترض أني وقفت أمام جمهور انت فيهم، فقلت لكم "الدليل على رسالتي الالهية هو اني سأنزل الشمس في يدي ثم العب بها كرة قدم ثم ارميها لترجع محلها". وفعلًا فعلت ذلك أمام الجميع في وضح النهار وكل البشرية من جميع أنحاء الارض شاهدت الشمس تختفي ثم ترجع. الان، هل هذا يثبت للعقل إني صادق؟ الجواب: لا. بكل بساطة ، لانكم لا تعرفون كل الكائنات الموجودة في العوالم وقدراتها. يعني الوجود ليس فقط البشر وربنا ، فاذا كان الفاعل ليس البشر فهو ربنا. الوجود كبير وفيه كائنات لا نعرفها. فما أدراكم ان ربنا تحديدًا هو الذي جعلني العب بالشمس ؟ هذا لا يمكنكم معرفته بحواسكم ابداً. ولذلك كان الناس يشككون دايما في آيات رسل الأولين ويكذبون بها ويقولون مثلا "هذا سحر مبين". فقد تسال: لماذا إذن أرسل الله في الأولين مثل هذه الآيات الحسية؟ الجواب: لان الناس طلبوها. لم يرسل الله بها أولًا. الأول دايما هو خطاب العقل. لاحظ مثلا موسى حين ساله فرعون "وما رب العالمين" في سورة الشعراء، رد عليه ثلاثة ردود كلامية عقلية ثم بعد تكذيب فرعون بمغالطات وسخرية جاء له بالعصا واليد. وأيضا كذب بها. الذي يريد الكفر وحفظ مصالحه الظالمة لن تنفعه آيات السماء والأرض والعرش ايضا. لذلك كانت طريقة خاتم النبيين مختلفة.
طريقة الخاتم هي التالي : أولًا، آياته كلامية عقلية. ثانيا، من يكذب بها ويكون مسالما لا يعتدي عليه، يتركه والله حسيبه. ثالثًا، من يعتدي عليه في أمور خاصة به، غالبًا يعفو عنه. رابعًا، من يعتدي على أمته، يطبق عليه حكم العدل قهرًا.
بعبارة اخرى: إقناع الكل لم يعد هدفًا. الهدف احلال السلام العام في بلادنا ، وتعلم وتعليم كتاب ربنا ، والباقي لا يهمنا "فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين. إنا كفيناك المستهزئين". "لا اكراه في الدين". "وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين"."أُذِنَ للذين يُقاتَلون بانهم ظُلِموا وان الله على نصرهم لقدير. الذين أُخرِجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله".
بناء على ذلك، نفهم الخصائص الجوهرية لأمة القرءان. خاصيتها انها توصل افكارها بالكلام المخاطب للفكر، لا بالجبر ولا بما يشبه السحر. وأيضا انها تعتمد مبدأ ترك الآخرين في أمور الدين. ومبدأ احلال

السلام واعتماد العدل في المعاملات الدنيوية الاجتماعية ولا تنتظر من غيرها من كائنات السماء والأرض لتفعل ذلك بدلاً منها.

قالت: ممكن سؤال غير الموضوع .. هو حضرتك شايف الصلاه الحركيه فرض ولا لأ ..من فضلك قولى نظرتك أن سمحت ..حتى لو بتشوفها فضل بس قولى ..ويا حبذا لو وضحت السبب.
قلت: الموضوع طويل لكن سأذكر ان شاء الله بضعة نقاط مهمة:-
١-الصلاة ليست حركية ولا سكونية لكنها الاثنين معاً. وليست كلامية ولا صامتة لكنها الاثنين معاً. والصلاة تجمع بين كل الأوامر القرءانية في صورة واحدة كاملة ، ففيها قيام "قوموا لله" وفيها سجود وركوع "اسجدوا لله" "اركعي مع الراكعين". فيها قعود وعلى الجنب "يذكرون الله قيامًا وقعودا وعلى جنوبهم". فيها تلاوة قرءان "اتل ما أوحي إليك"، وفيها تسبيح واستغفار وشهادة ودعاء وسلام وتكبير...إلخ. فكل الأوامر القرءانية مجموعة فيها. من هنا ، القيام بهذه الصلاة لا يخالف القرءان بشكل عام ، لكن على العكس فيها عمل باوامر القرءان.
٢-بما انه من الامور التي بايع المؤمن عليها الرسول "لا يعصينك في معروف"، فترك الله للرسول صلاحية الأمر بشرط ان يكون مضمونه هو المعروف؛ وبما ان الصلاة المعروفة كما راينا في النقطة الأولى ليس فيها ما يخالف مضمون القرءان ؛ وبما انه ثبت بالسلوك العملي والنقل اللفظي لجماعات المسلمين ، على الرغم من اختلافاتهم العقائدية والفقهية والسياسية عبر التاريخ ، انهم يصلون هذه الصلوات طاعة لرسول الله وأنه نفسه كان يصليها ويأمر بها؛ فالنتيجة إذن هي ان المحافظة عليها في حدها الأدنى المتفق عليه يعتبر من طاعة الرسول.
٣-الان، قد يقول شخص "انا لم يثبت عندي الا القرءان. وأوامر القرءان عامة ، ولا تقيد إنسان بصورة معينة من صور الصلاة. فيها ان الصلاة في اللسان العربي تعني الدعاء ، فانا لن أقيد نفسي بصورة مخصوصة . وحتى لو قبلت ان النبي وكل احد كان يصلي هذه الصلاة، فهذا لا يلزمني لان الله لم يحددها ويقيدها.". وملاحظاتي على هذا هي:
الصلاة في القرءان ليست مساوية للدعاء. بدليل انه وردت آيات تميز بين الصلاة والدعاء. مثلا قول إبراهيم "رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ، ربنا وتقبّل دعاء". ثم الصلاة وإقامة الصلاة مصطلح خاص في القرءان ولا ينحصر بالدعاء ولا نستطيع استبدال كل مورد وردت فيها الصلاة بلفظة الدعاء مع استقامة المعنى. وتوجد آيات تميز بين الصلاة وتلاوة القرءان وذكر الله ، وكلها في سياق واحد، فلا يمكن اعتبار الصلاة مساوية للتلاوة او للذكر ، مثلا "أقم الصلاة لذكري"، فلا يعقل ان تكون "أقم ذكري لذكري"، او "أقم الدعاء لذكري". وهكذا . لابد من تحديد معنى الصلاة وإقامتها في حد ذاتها. ولا يمكن جعلها مساوية لغيرها الا باختزال حقيقتها.
لكن، من يأخذ بعموم أوامر القرءان، لا يوجد لي رد عليه. فطالما انه فهم امر الله واتبعه ، فهذا حظه وحجته عند الله.
ملحوظة اخيرة:
اذا لم يستطع شخص الوصول الى الكعبة مثلا، فلا يستطيع ان يحج عند اي مكعب، صحيح؟ طيب. من هنا نعرف جوهر العبادة. حين ننظر في الأمر الذي اسقاطه يودي الى سقوط فرضية العبادة.
اذا طبقنا هذا على الصلاة، سنجد ان ثلاثة أشياء فقط هي الجوهرية فيها. والباقي كله لو لم يستطع الانسان فعله لا تسقط الصلاة عنه.

الثلاثة هي: التكبير، وقراءة الفاتحة، والتسليم.
جاء في الحديث "تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم"، وفي اخر "من لم يقرا بفاتحة الكتابة فهي خداج" او كما قال عليه السلام. الخداج هو النقص والقصور.
ومن هنا جاء في الحديث القدسي ان الله قال "قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين" ثم ذكر سورة الفاتحة، نصفها الأول الى يوم الدين. ونصفها الآخر من اهدنا الى الآخر. والوسط بينهما إياك نعبد.
فهنا تصريح بان "الصلاة" هي سورة الفاتحة. ولذلك تسمى ايضا سورة الصلاة.
فحتى الذي لا يقدر على القيام والسجود لانه مشلول، ولا يقدر حتى على رف عينيه، ولا الوضوء ولا التيمم، ولا يعرف اي شيء من ذلك فانه قد يصلي وصلاته في قلبه تكون التكبير ثم قراءة الفاتحة ثم التسليم. او الفاتحة فقط كحد ادنى.
خلاصة كل ما مضى:
أولًا، من أراد ان يبدا بإدخال الصلاة في حياته كحد ادنى فليبيا بالتكبير والفاتحة والتسليم. فالتكبير يقطعه عن العالَم ويوقفه في حضرة الله، والفاتحة خطابه لله، والتسليم الرجوع الى العالَم بالله.
ثانيا، القرءان لا يعارض هذه الصلوات المعروفة، بل الصلوات تجمع أوامر القرءان.
ثالثًا، من أراد اتباع عموم القرءان ولا يتقيد بصورة صلاة معينة، فعليه ان يكتشف أولًا ما حقيقة معنى "الصلاة" من القرءان...وإذا عرف شيء غير ما ذكرناه، فليخبرنا به مأجورًا !
قالت: وتركها زنب حتى لو الإنسان يحاول يكون محسن محق مع الناس فى تعاملاته واخلافه؟؟
قلت: احسان المعاملة مع الناس شيء، والصلاة شيء اخر، لا علاقة أساسية بين الاثنين. فقد يكون يصلي وهو أفضل الناس عند الناس او العن الناس مع الناس. حفظ شكل الصلاة لا ينتج محسنًا او معتديا.
وكون ترك الصلاة ذنب او غير ذنب لا ينبني على علاقة التارك بالناس. ولكن ينبني على كون الله امر بها أم لا، او كون حقيقتها ضرورية للقلب الإنساني فتركها حينها يكون مثل عدم تغذية الجسم بما ينفعه. الذنب كل ما يسبب ظلمة في القلب. بعض الناس يصلي رياء مثلا، فمثل هذا صلاته نفسها ذنب "ويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون. الذين هم يراءون". المهم، تحديد فرضية الصلاة في ديننا لا ينبني الا على ما في كتاب ربنا.
قالت: طيب مش الصلاه صله والصله لازم تتبنى على الاتصال بكل شيء انا بتصل بالله عن طريق اتصالى بكل خلقه وأرضه بلطف وطيبه.
قلت: الصلاة صلة، لكن ليست كل صلة صلاة. فرق مهم بينهما. يعني، كل العوالم كلمات الله، لكن هذا لا يجعل كل كلام بشري عن العوالم مثل القرءان.
انت تسألين عن الصلاة التي هي من شعائر الله ودينه، وعن هذه أتكلم انا. اما الاتصال بالله عموما، فهذه قضية أخرى.
...
(هذه النسخة التي نشرتها من مقالة سابقة في هذا الكتاب-اتقاءً للرقابة المهووسة)
في البداية كنا نطعم القطط في مواعيد محددة
صحن الطعام يكون فارغًا طوال اليوم الا حين نضع فيه الطعام. بعد ذلك غيّرنا قانون الإطعام وصرنا نجعل الصحن مملوءاً طوال اليوم بغض النظر عن اي شيء. الذي لفت نظري هو الفرق الكبير بين تعامل القطط مع الطعام قبل وبعد. أيام قانون الصحن الفارغ كانوا بمجرد سماع صوت كيس الطعام

بل احياناً بمجرد تحرك الشخص ليجلب الكيس ينطلقا بسرعة رهيبة نحو الصحن. لكن بعد قانون الصحن الممتلىء صاروا لا يهتزون ولا في اماكنهم حتى حين يسمعون صوت الطعام يوضع في الصحن فعلياً. فالنفس حين تعتاد الحرمان من شيء، تتوق نفسها للشيء وقد تبالغ فيه. لكن حين تعتاد على توفر الشيء، تطمئن بل قد تختار التقليل من تعاطيها للشيء او حتى تزهد فيه بالكلية.
هذه ملاحظة يمكن تطبيق فكرتها على مجالات مختلفة.
...
انت فراغ وسط زحمة وزحمة وسط فراغ
لاحظ ان باطنك فراغ، لكنك تعيش وسط عالم واسع واشياء كثيرة، وعملية التعلم المستمرة هي سعي لتحويل فراغ باطنك وتشكيله ليصبح مثل العوالم الخارجية. فالتعلم خلق العوالم والوجود لكن في نفسك. كما انك من جهة أخرى تحاول ان تفرض ما في نفسك لينعكس على العالم الخارجي، وفي هذه الحالة انت الشيء الممتلئ الذي له حقيقة والطبيعة هي الفراغ او الطين القابل للتشكيل ثم انت تسعى لتشكله بحسب صورتك وعقلك وارادتك.
فوجودك من جهة قابل ومن جهة فاعل.
ولاحظ ان الطفل يبدا حياته فاعلاً تمام الفاعلية، فهو لا يفهم معنى قبول ما في الخارج كحقيقة مُسَلَّمة وعليه التأقلم معها، بل على العكس يفرض نفسه وإرادته ولو بالصراخ والعويل وياخذ ما يريده ولو سيبكي الطفل الآخر ولا يحس بان لغيره حق الوجود والإرادة والملكية. وما نسميه تربية ومجتمع يبدا بوسائل متعددة بإخراج الطفل من الفاعلية المطلقة هذه ويدخله في القابلية، اما قابلية محدودة كما في البلاد التي تشيع فيها قيم الحرية والانانية، وإما إلى قابلية متطرفة كما في البلاد ذات المنطق الشمولي الجماعي، او ما بين ذلك من درجات، والهدف ان يصير الطفل معتبراً لوجود غيره كوجوده هو او اقل بقليل. وهنا تبدا المشاكل.
منذ أيام اشاهد وثائقياً عن الحرب العالمية الثانية. ورايت مدى "العنصرية" النازية واحتقارها غيرها لدرجة ارتكاب مذابح لا ادري كيف استطعت النوم بعدها. واحد العوامل المفسرة لهذه القدرة على اللامبالاة بالغير، هي بالضبط حقيقة ان فطرة الانسان الأولى الظاهرة في الطفولة هي فعلاً عدم اعتبار الغير، لكن لاحظ انه لما كانت النازية فيما بين اتباعها تطلب منهم القابلية المطلقة تجاه الحزب، فلا رأي لك البتة الا ما يريده هتلر وجماعته، فكيف يمكن موازنة هذه بفاعلية الانسان؟ الحل تطرف في الجهة المقابلة لكن تجاه الآخرين من الأعراق الأخرى والأعداء. التطرف يتوازن بتطرف.
في مجال اخر، في الفلسفة العقلية والحكمة الإشراقية والمعرفة الصوفية، هؤلاء يرون العلم كانعكاس حقايق العالم او النور او الاسماء الالهية في ذات الانسان. اي ينظرون للنفس كفراغ لابد من تشكيله بحسب حقيقة خارجية هي العالمَ او النور او الاسماء الحسنى. لكن في مجال اخر، في مسالك مثل عربدة ابي نواس او فخر المتنبي، الذي نلاحظه هو العكس، أبو نواس يرى انك مليء بقوة تطلب اللذة وعليك فرضها على الخارج والحصول على موادها النباتية والبشرية. المتنبي يرى ايضا انك مليء بالعزة والكمال العلمي والمالي والحربي وعليك إظهار كمالاتك في الخارج.
هذا مفتاح لأبواب كثيرة مثيرة فتأمله.
بناء على ذلك نفهم سبب كون "الحمد لله" جاءت في القرءان في نوعين من الكلام: حمد على خلق وحمد على وحي. مثلا "الحمد لله الذي خلق السموات والأرض". و"الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب".

حين يخلق الله، فالله هو الحقيقة والخلق هو إشعاع هذه الحقيقة. لكن حين يتلقى العبد الكتاب، العبد فراغ والكتاب شيء يشكل نفسه على مثاله.
هذه الجدلية بين الفراغ والامتلاء، القابلية والفاعلية، تفتح أبواب كثيرة للمعرفة وتفسير الأشياء. فتأمل.

...

(عن الكلام ١)

اهم ما يُميّز الانسان هو الكلام ولذلك من هذا المركز الجوهري يجب ان نرسم دائرة وجودنا، وبه ايضا نكتشف أمور كثيرة عن أنفسنا. هذه ملاحظات عامة عن ظاهرة الكلام يمكن الانطلاق منها للوصول الى أشياء كثيرة.

١-الكلام راحة وقوة. كلما ازدادت قدرتك على اخراج ما في باطنك بالكلام، ستشعر أفضل وستفكر اوضح وسترتاح اكثر. وهذا معروف بالتجربة الشخصية المباشرة لكل إنسان، ولذلك تجد الناس يتكلمون حتى ان كان الموضوع تافهاً لان نفس التكلم مريح؛ ولذلك تجد احسن الناس تفكيرًا هم عادة أحسنهم تعبيراً. ومن هنا ينبعث الواعي لتعلم الأدب واللغة وما اشبه حتى تزداد كلماته وقدرته على التعبير لان كل كلمة جديدة تتعلمها هي في الحقيقة إطلاق سراح شعور او فكرة كانت مسجونة وتائهة في صحراء نفسك، وبالكلمة تصل اليها وتخرجها.

٢- المسؤولية على السامع.لا يمكن لاحد ان يؤثر فيك بكلامه الا اذا أردت انت ذلك التأثير. لانك تستطيع فهم كلامه بطريقتك بدلًا من طريقته هو فيتغير الأثر. فالعلاقة بين المتكلم والسامع ليست سببية طبيعية مثل احراق النار للخشب فلا يملك الخشب الا الاحتراق، كلا، العلاقة دايما إرادية اختيارية ولولا قبول السامع لما استطاع المتكلم ان يجبره على قبول مضمون كلامه. فالسامع هو المسؤول نفسياً عن كيفية تفاعله مع كلام الآخرين.

٣-الأولوية للكلمة.الكلام احسن وسائل الإفصاح عن النفس، والإشارة وما اشبه هي وسائل درجة ثانية. لان في النفوس أمور دقيقة ستختزلها وتنتقص منها الوسائل الاشارية الأخرى، ولان الكلمة تبقى عبر الزمان، وتتجاوز المكان، ولا تنحصر في صورة مادية خارجية كالتماثيل مثلا بل تنحفظ حتى في عقول الناس. فمن جهة الدقة والانتشار والحفظ، الكلمة اعلى من بقية وسائل الاعراب عن النفس.

...

(عن الكلام٢)

٤-أنواع الصور الكلامية. هي ثلاثة أنواع كلية، الشعر والسجع والنثر. الشعر كلام له وزن وقافية، السجع له قافية فقط، النثر بدون وزن ولا قافية متحدة وهو مثل كلام الناس عمومًا. لكل نوع من الثلاثة اغراضه ومنافعه التعبيرية. ولذلك اكمل الألسنة هي التي تجمع الثلاثة وتنميها كلها. العربية ابرز أمثلة الألسنة الكاملة بهذا المعنى للكمال. والذي يريد فتح كل أبواب قدرته الكلامية فعليه ان يتعاطى مع الأنواع الثلاثة.

٥-الكلام فوق المادة. مثلا، اذا وضعت انت لقمة طعام في معدتك فلا يمكن ان يأكلها غيرك. لكن الكلمة الواحدة يمكن ان تأكلها البشرية كلها. خصائص الماديات الجالبة للمشاكل عادة بسبب الندرة والحسد والمزاحمة، هذه غير متحققة في الكلمة. ومن هنا الكلام يمثل عمل انساني وروحاني، ويمثل الشيء الذي لا يموت ولا ينتهي. ثم الكلمة الواحدة قد يأكلها عشرة أشخاص فيخرجون منها مائة كلمة جديدة نتيجة تفكيرهم فيها وتعليقهم عليها، على عكس الشيء المادي الذي استهلاكه يدل على نهايته. الكلام روح متجسدة، وهي اقرب موجود طبيعي للعالَم العلوي الروحي.

٦-الكلام تواصل حقيقي.حين يلمسك شخص بيده فهذا تماس سطحي ويبقى هو هو وانت انت. لكن كلمة شخص حين تدخل فيك فانها تمتزج بذاتك وحقيقته تتصل بحقيقتك ويصير جزءاً منك وكامن فيك. واشتياق الروح للتواصل مع الأرواح الأخرى والعقل للاتحاد بالعقول الأخرى يتم في هذا العالَم بواسطة الكلمة.

قالت: احسنت اول مرا اقرا مدح عن الكلام الأغلب يمتدح الصمت.
قلت: الصمت مفيد للتفكير والاستماع. لكن بعد التفكير لابد من كلام للتعبير، وبعد الاستماع لابد من كلام للنقاش في المسموع او التعليق عليه. فالصمت مرحلة ووسيلة للكلام.
اما للإفراط في مدح الصمت، فهذا لا يكون الا في مجتمعات ميتة العقول ومعدومة الإرادة. وبعبارة أقوى، الصمت عظيم عند أشباه البهايم. ولذلك في العربية نقول عن البهايم "عجماوات" من اعجم ضد اعرب ، اعرب يعني تكلم، واعجم يعني صامت. فالكلام صفة الانسان ، والصمت صفة البهايم. وكل واحد يختار مثله الأعلى !

...
ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث أشراط الساعة وآخر الزمان، ما يدلّ على أن حرية الكلام من الأمور الجوهرية الدالّة على حالة الناس في المجتمع المحسن، لأن آخر الزمان يكشف عن حالة المجتمع السئ والمنحطّ والذي انقلبت فيه المعايير والقيم.

قال يصف المؤمن وعلاقته بالسلطة في زمنه {إن تكلّم أكلوه، وإن سكت مات بغيظه}. ثم قال بعدها {إن تكلّموا قتلوهم، وإن سكتوا استباحوهم}. ثم قال بعدها {إن تكلّموا قُتِلوا، وإن سكتوا قُتِلوا}.

أقول: لاحظ أن التكلّم في كل الحالات سيكون جريمة يُعاقَب عليها. لكن لاحظ أن الظلم سيظلم إلى درجة أن السكوت نفسه سيصبح بالتدريج، بدايةً سيكون مسموحاً، ثم يصير صاحبه مُستباحاً، وأخيراً سيُقتَل على السكوت كما يُقتَل على التكلّم. فتأمل.

...
لا شئ يُبعِد الناس عن الله وذكره، مثل وجود شعائر وطقوس وأوراد راتبة يكررها كل يوم في أوقات محددة وبأشكال معيّنة مسبقاً مفروضة. فالغافل قد يستشعر غفلته بتألم روحه وفراغ قلبه فيرجع لربّه صادقاً. لكن الذاكر الشكلي يظنّ أنّه ذاكر فعلي فلن يظنّ بأنه غافل حقيقي بالتالي لا يرجع أبداً ويموت على غفلته عادةً.

ومن هذا المنطلق، نجد ابن عربي يقول لابن سودكين {ترتيب الأوراد للمريدين ومعاهدتهم الله تعالى فيما يأخذون به أنفسهم من عزائم وغيرها، هو مما أكرهه ولا أقول به.}

لماذا؟ يفسّر الشيخ كراهته لذلك فيقول {فأمّا الأوراد فإنها تبقى بحكم العادة يمرّ عليها الإنسان بالطبع والغفلة وقلبه في محلّ آخر. وإذا لم يتقيّد الإنسان بالأوراد وذكر الله تعالى متى وجد إلى ذلك سبيلاً في أي وقت كان بحيث يفعل ذلك بحضور وإقبال صادق، فإنّه يجد أثر بحضور همّته ووجود عزيمته خلاف الأوّل. وأمّا المعاهدة فإنّه لا يأمن متعاطيها وقوع الجناية، والأحسن به أن يأتي ما يأتي بغير معاهدة ويفعل الله ما يشاء والسلام.}

أقول: فسبب الكراهة يرجع إلى أمرين. الأوّل عدم الحضور في الذكر، الثاني عدم الأمن من نقض المعاهدة. عدم الحضور يرجع إلى الاعتياد، ونقض المعاهدة يرجع إلى عدم العلم بالمستقبل وكل ظروفه وشؤونه وقد علمنا أنه حتى في الشريعة توجد استثناءات وضرورات تبيح المحظورات فما بالك بما هو

دون المحظورات من المعاهدات. يمكن تلخيص ما ذكره ابن عربي، وهو شئ يعرفه كل إنسان بوجدانه وتجربته لو تأمل ولو قليلاً في حاله وراقب قلبه، في كلمة واحدة: عِش اللحظة. الآن فقط. تصرّف الآن كما يقتضيه الآن. فإذا لم تفعل ذلك، ووضعت لنفسك حدود مستقبلية، سيغيب قلبك وتنقض عهدك.

نعم، هذا لا يعني أن ابن عربي يقول بنفس ما قلته أنا في صدر الكلام. لكن مقتضى معنى ما ذكره هو ما قلته أنا. لأن ما ينطبق على الأوراد ينطبق على الشعائر والطقوس وجميع العوائد التعبّدية التي لا معنى لها بدون حضور القلب. نعم، قد أمارس الرياضة بشكل راتب معتاد لأن الغرض من الرياضة مجرّد حركة الجسم، فلو كنت أرفع الأثقال وعقلي في السوق لن يتأثر جسمي بهذه الغفلة بل سأحصل على الفائدة النهائية بدرجة أو بأخرى. وكذلك الحال في الأعمال الشكلية جوهرياً. لكن في الأعمال القلبية جوهرياً، يختلف الأمر تماماً. والعادة تقتل القلب.

وهذا البيان يكشف عن سرّ عدم ورود شعائر شكلية في كتاب الله. ألا ترى أن أصحاب هذه الشعائر الشكلية والاعتيادية يقولون "كيف تتبعون القرءان فقط وليس في القرءان بيان عدد ركعات الصلاة وأوقاتها وأعمالها". نعم، القرءآن لم يفعل ذلك، لأن القرءان ليس مع موت القلب بل مع إحياء القلب. ثم قضية العدد هذه ، سواء في الأذكار اللفظية أو في الحركات البدنية، هي من أكبر المشتتات ومفرّقات القلب وذابحات الحضور. ولذلك يوجد "سجدة السهو" عندهم. ولذلك بعض أصحاب الأذكار يفضّلون تعيين وقت معيّن للذكر بدلاً من العدد، فيعيّرون مثلاً ساعة للذكر بغض النظر عن العدد ولا يمسكون سبحة للعدّ حتى لا يتفرّق قلبهم. فالأعداد مثل الحركات، تؤدي إلى الغفلة والاعتياد. ومن هنا أجد نفسي-مثل كل صاحب شعائر وممارس لها-حين أقرأ القرءان في الصلاة عادة ما أقرأه لفظياً فقط، لكن إذا جلست لتأمل القرءآن ودراسته قد أجلس بالساعات ولا أشعر حتى بألم ركبتي وظهري، وأنسى الدنيا والآخرة من شدّة حضوري وانغماسي في المعاني. وكذلك الأمر في القراءة عموماً التي غايتها التعقّل بغض النظر عن حالة جسمي ، هل أنا واقف أم قاعد، تحرّكت ست مرّات أو ستّين مرّة.

إشكالية أخرى في الشعائر و"دور العبادة"، هي القطع. أقصد أن الممارس للشعيرة يقول مثلاً "الله أكبر" ليحرم، أي يدخل في الصلاة، أي في الاتصال بالله. حسناً. ويدخل المسجد أو الكنيسة أو ما أشبه لينقطع عن الدنيا ويتّصل بالآخرة. جميل. الآن ما لازم ذلك، ضرورة، ضرورة نفسية وجدانية ؟ لازم ذلك أن الخروج من الصلاة يعني الخروج من الاتصال بالله. الخروج من المعبد يعني الخروج من الآخرة والحضور مع الله. إذا كان التكبير دخول في الاتصال، فالتسليم خروج من الاتصال. وهذا بالضبط ما يحصل. تجدهم يصلّون بكل خشوع واستحضار لله-إن فعلوا نادراً-فإذا خرجوا عادوا إلى الدنيا مثلهم مثل أي شخص آخر أو أسوأ. بينما، حين تكون كل حياتك نَفَساً واحداً وهو حضور بالله وفي الله، تذكر كما قال ابن عربي في أي وقت تستطيعه، فحينها لن تجد نفسك "انتهيت" من الصلاة والعبادة، بل ستجد نفسك إن كنت من الذاكرين دائم الذكر والحضور، لأن الكون كلّه صار مَعبَداً، والعمل كلّه صار صلاةً وذكراً. أو لا أقلّ، إن لم تبلغ هذه الدرجة، فعلى الأقلّ لن تدخل في وهم العوام في كل مكان وهو "انتهينا من الصلاة والحمد لله فقد عبدناه" وأنت تعيش حياتك مثل أي ملحد من الناحية العملية.

العادة والقطع، هاتان أكبر مشكلتان في كل نظام شعائري. العادة تميت القلب، والقطع يقتل القلب. فهل من الغريب بعد ذلك أن تجد كل الأمم ذات الأنظمة الشعائرية تشتكي من غفلة العوام وتلعنهم وتسبّهم ليل نهار وتصفهم بالغفلة والجهل والضلال والعمى وما إلى ذلك، بل يتّهمون بعضهم البعض أيضاً، ويلعون الدنيا بأنها دار غفلة ومظالم وما إلى ذلك. نعم هذا لا يرجع فقط إلى النظام الشعائري

الشكلي، لكن المفترض أن الذين يتّصلون بالله الحق المتعالي كل يوم، المفترض أن يحصل لهم من ذلك أدنى أثر يغيّر من غفلتهم وفسادهم. فأمّا مع خمس صلوات كل يوم، على مدار اليوم، ومع ذلك يعيش معظم الناس كأنهم ملاحدة عملياً أو في غفلة ساهون. فلابد من مراجعة الموضع الذي تشرب منه الماء إذا كنت تشرب كل يوم منه خمس ومرّات وتخرج عطشاناً ! ومَن يدري، لعلّك تلاحق السراب وأنت تظنّه عين الشراب.

بناء على ذلك، لابد من مراجعة قضية الشعائر الشكلية، من ناحية الاعتياد ومن ناحية القطع. فإمّا يتمّ إسقاطها كلّياً لصالح الذكر العام والدائم، وإمّا يتمّ تغيير شكلها حتى تتحرر من الشكل المقيّد. يعني مثلاً، قد يقول الشخص "سأقرأ الكتاب الإلهي دراسة لمدّة ربع ساعة على الأقلّ كل يوم ما بين الظهر والعصر". في هذه الحالة، لن يفكّر في الوقت والحركات والأعداد، لأنه سيضع منبّهاً مثلاً ولن تهمّ الحركة إذ سيجلس أو يقوم كما يناسب حاله حينها، ولا يوجد عدد لما سيفعله لأنه قد يتأمل في حرف واحد من آية واحدة طول المدّة وقد يفعل أكثر من ذلك، كما أنني حين جلست أكتب هذا الكلام لم أعينّ لنفسي وقتاً محدداً ولا كمّية كلمات أكتبها ولا أزال أعدّها لكنّي أسير مع ما يُفتَح لي ويناسب تعقّلي للأمر وما يقتضيه واقع الحال من النظر فيه. المهمّ، آن نطهر العبادة من العادة، والذكر من العدد، والاتصال من القطع. اغسل العادة والعدد والقطع وستجد ما وعده الله تعالى العابدين والذاكرين. {الذين هم على صلاتهم دائمون}.

...

بعد ان كسرنا (اقصد العرب) عزلتنا عن العالَم

في العصر القديم، وذلك بعد الإسلام، واجهتنا مشكلتان واحدة قديمة والثانية حديثة.

اما القديمة، فكلها تحديات عسكرية. بداية من قريش، ثم الصليبيين، ثم المغول، وهولاء كانت لهم روية و جودية مضادة لنا لكنها ضعيفة بالمقارنة ولذلك لم تؤثر فينا بقدر ما تأثرت بنا. وأما العثمانيون فلم يتحد وا ديننا لكن تحدوا موقعنا المميز في الأمة. ومن هنا بدا الضرب. لان اي أمة لها موقع خاص من حيث فكرها ومن حيث أشخاصها. العثمانيون اول من بدا بالتأثير الفعلي السلبي في الحيثية الثانية يعني ا لأشخاص. ولذلك في الادبيات الغربية مثلا قد يقولون "الترك" ويقصدون "المسلمين". فلم يعد العرب مرا دف الإسلام بل الترك. لكن بما ان القرءان عربي، ومركز العالم الإسلامي في بلد عربية، فالأمر لا يزال مقدوراً عليه. الى ان جاء اول وأكبر تحدي وهو الحضارة الغربية الحديثة قبل قرنين. هذه ميزتها الكبر ى ليست في انجازاتها العسكرية وان كانت هذه ايضا قوية، لكن ميزتها في انها جاءت بفكر جديد، نظ رة مختلفة للوجود والطبيعة والإنسان والمجتمع. القوة العسكرية البحتة عاجلاً أم اجلاً تضعف، فالمغول ج اءوا بجيوش جرارة وفي النهاية الكثير منهم اسلموا والذين لم يسلموا انهزموا. لكن ان تأتي بفكر جديد فالفكرة قوة عابرة للقارات ومخترقة للقلوب.

بينما كان من الممكن ان يقول اجدادنا عن الغريب الغازي "هذا جاهل محارب"، اليوم لا يملك احد ان يق ول "جاهل" عن الغرب كما كانت تقال عن الصليبيين المعفنين والتافهين مثلاً. لان الفلسفة الغربية بشتى ألوانها تدور حول أمور تطعن في صلب ما نمثله. فالعربية كلغة ليست لغة العلوم والثقافة العالمية ولذلك تجد الأهالي يعلمون اولادهم الإنجليزية مثلا حتى يعيشوا باحترام. وبالنسبة للإسلام، فتجد المواقف الع امة للمسلمين أنفسهم اما تبرير ودفاع (ولا دين ينتصر بدفاع)، وإما اعتراف بالعجز والهروب وإخفاء ا لمعتقد تحت ستار علمانية شكلية بلا روح وهامشية بلا أساس واقعي. وبدون اللسان العربي والدين الإ سلامي، ماذا بقي من الدور المميز للإنسان العربي؟

وهنا بدأت أزمة الهوية العربية منذ اكثر من قرن ولا زالت غير محسومة. قبل الإسلام، العربي كان منعز لاً لاعتزازه بلسانه ورغبته في نقائه. بعد الإسلام، العربي ظهر لنشر القرءان وتثبيت معانيه. العربية والق رءان خرجا بنمو طبيعي من قلب وأرض العرب. ولذلك كانوا يشعرون بتميز حيوي. ولا أظن ان العيش عل ى هامش الحياة يمكن ان يرضي وجدان العربي المسلم. والسؤال يبقى: كيف يدخل في متن الحياة وي حتل مركزها؟ لا رجوع للوراء لان الوراء عدم. البكاء على الأطلال لن يحيي الموتى. التعصب للشكليات بد ون جوهرها لن ينفع بل سيزيد الضرر ويثبت خروج الروح من الأمة.تقليد احد لا يزيد الأمر الا ضعفاً لا ن التقليد اعتراف بالموت. لابد من ظهور شيء من القلب، وقبل ذلك لابد من اكتشاف القلب !

...

فكرتان من سورة الطلاق:

الأولى، مخاطبة النبي تحتمل تتضمّن مخاطبة أمّته. بدليل {يأيها النبي، إذا طلّقتم النساء} ولم يقل "إذا طلّقت النساء". فجمع بعد أن خاطب النبي بالمفرد. وهذا يشمل أحكام الطلاق لأمّته. فخاطب النبي بلسان الظاهر بينما الخطاب لأمّته بلسان الباطن وبالتضمّن. فيصحّ القياس على هذه الآية-ما لم تأت قرينة معارضة-على دخول الأمّة كلّها أو بعضها في المواضع التي يُخاطِب الله فيها نبيّه.

الثانية، الأصل أن لا إنسان مسؤول عن الإنفاق على إنسان آخر ولا زوجه. بدليل أمر {وإن كُنّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن، وإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن". فلو كان الإنفاق عليهنّ هو القاعدة العامّة والكلّية، لما قيّده هنا بالحمل وحتى تضع الحمل وبالإرضا ع. مما يكشف عن الأصل هو عدم مسؤولية أحد الإنفاق على أحد.

...

من اهم التجارب التي ستوسّع عقلك وتعلمك عن الناس

ان تأخذ مجموعة من الأفكار والأخلاق التي يقبلها الناس عموما كمسلمات صادقة ونافعة وتجرب ان تنظر اليها من زوايا مختلفة وتعمل على إثبات عكسها. تجربة واحدة من هذا النوع أفضل من عشر سنوات تعليم رسمي.

خذ مثلاً أخلاق كالحسد والبخل والعجب والشجاعة. وكذلك الطيبة والصدق.

الحسد مكروه لمن؟ لمن يريد صرف اعين الناس عن "النعمة" التي عنده. لاحظ هنا ان الناس هم ناس ليس عندهم مثل ما عنده. ولاحظ ايضا تسمية ما عنده ب"النعمة" حتى يعزز صرف الأنظار عنها بحكم انها جاءته من السماء وعطية ربانية بالتالي لا يجوز لاحد النظر اليها وإرادتها. فهو وسيلة دفا ع وليس مجرد "خلق ذميم" هكذا مجرداً.

العجب مكروه لمن؟ شخص معجب برأيه مثلا، نذمه لماذا؟ لاننا نريده ان يتخلى عن رأيه حتى يقبل اراءنا نحن. ولذلك حين يعتقد شخص بنفس اراءنا ويتعصب لها لا نعتبره معجباً بنفسه بل نمدحه بانه عاقل ومؤمن صادق ! فالمشكلة في العجب هي الاختلاف عنا وعدم الانفتاح لقبول راينا ، وليس ان العجب مذموم هكذا مجرداً.

البخل مكروه لمن؟ لمن يريد أموالك بدون عمل ! لانه يريدك ان تعطيه مالك بدون مقابل وإلا سيسميك بخيلا كما كان الشعراء الشحاذين يفعلون في الزمن الغابر تحديدًا.

الشجاعة كثيرا ما تكون وسيلة لاقنا ع الآخرين بان يعرضوا أنفسهم للخطر لأسباب لا يفهمونها. ونجعل وصمة الجُبن تسود الوجوه حتى يخجلوا من مجتمعهم اذا جبنوا. فالشجاعة صفة نفسانية نشبع فيها

بواطن من يعرضون ظواهرهم للخطر من اجلنا. فنحن نريد حماية أنفسنا وعدم التعرض للمهالك، فنمدح من لا يخاف على نفسه مثلنا بانه شجاع. فما اكثر ما تدين به المجتمعات لشجعانها المساكين.
اما الطيبة فنقصد بها الهبل. يعني واحد لا ينظر لمصلحة نفسه بالتالي لا يضطرنا الى تقديم تنازلات له مقابل ما ناخذه منه. فنسميه طيب لكننا نقصد مغفل لا يهتم بمصلحته بشراسة ووقاحة مثلنا.
اخيرا الصدق، القيمة العظيمة، والتي عند معظمنا لا تعني اكثر من رغبتنا في ضمان مصلحتنا عن طريق التأكد من المعلومات والنوايا التي يضمرها لنا منذ حولنا. حين يخاف شخص على نفسه بسبب من حوله، يهتم بالصدق كثيرا، خصوصا اذا كان الخائف لا يُنصِف ويُحسن التعامل مع من حوله كالزوج مع زوجه مثلاً فيخاف ان تنتقم منه او ينتقم منها بالسر فيهتم بالدعوة للصدق غير المشروط وكأنه فضيلة سماوية بينما الواقع انه لا يهتم به الا اهتمامًا شخصيًا وماديًا جداً.
الحاصل: هذه مجرد إشارات ونستطيع النظر بنفسك لترى القيمة الواقعية للكثير من الفضائل السماوية التي يتغنى بها الناس وهي أمور تدور حول الدفاع عن النفس والتغلب على الآخرين... جرب وانظر.
...
بعد حادثة تجذيذ الأصنام، قال قوم إبراهيم له {علمتم ما هؤلاء ينطقون}. فردّ عليهم إبراهيم {أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم. أُفّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون}. إذن، خاصّية النطق هي العامل الحاسم. لأن هؤلاء لا ينطقون، فهم إذن لا ينفعون ولا يضرّون، خصوصاً أنهم أصنام لا يتحرّكون طبعاً. لكن الشئ الثابت، إن كان لا ينطق، صار لا ينفع ولا يضرّ. فالنفع والضرّ بالحركة وبالكلمة. والذي يتعلّق بشئ ثابت صامت، فهو لا يعقل. إذن العقل يدور مع الحركة والكلمة، مع النفع والضرّ. بالتالي، العقل هو الشئ الذي يكشف لك عن ما ينفعك ويضرّك.
...
حين طال مقام بني إسرئيل في مصر فرعون
وأرهقهم فرعون بالعمل، انتشر بينهم الجهل والمادية. جاء موسى، خرجوا من مصر وتحرروا من فرعون، لكن بقيت فيهم الصفات التي اكتسبوها مع الزمن. فطلبوا من موسى ان يصوّر لهم الله ويجعل لهم تمثالاً يرمز له. ذهب موسى الى ربه وقال له "رب ارني انظر إليك" بمعنى أعطني صورة ترضاها لك حتى ارضي قومي، لان سؤال موسى هذا جاء بعد طلب قومه منه تمثالا لله. رد عليه ربه في النهاية بهذه الجملة المهمة "إني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي فخذ ما أتيتك وكن من الشاكرين". وهنا سؤال:
واحد يطلب النظرة فما معنى اعطائه الرسالة والكلمة؟
الذي أراه هو التالي: الكلمة وصل والصورة فصل. بمعنى، انظر الى اي صورة ، فحقيقة هذه الصورة ومعناها لا يصير جزءا من ذاتك وهويتك، بل انت دايما مفصول عنها، هي شيء وانت شيء. لكن الكلمة تنتقل إليك وتصير عينك ومن هويتك. والله يريد ان نعرف نوره بالوصل لا بالفصل. فيصل العارف الى مستوى يقول فيه-كما قال ابن عربي مثلا- "انا القرءان والسبع المثاني". المقصود أنه تعقل القرءان وامتزج بذاته لدرجة انه صار يرى القرءان في نفسه وليس كشيء منفصل عنه. هذا اولاً.
وثانيًا، الكلمة اقرب للتجريد والصورة تجسيد، والتجريد اطلاق بينما التجسيد تقييد. مثلا، انت تجلس الان أمام شخص، ترى صورته لكنك لا تعرف حقيقته. بينما لو بدا يتكلم ستتكشف لك تلك الحقيقة تدريجياً حتى لو كان منافقاً. اما في معرفة الله، فالصورة تقييد له في شيء دون اخر من الممكنات، بينما الكلمة تبقي تجريد النور الإلهي قدر الإمكان قائماً. والشيء الذي لا صورة له يمكن ان يتجلى في

كل صورة، بينما الشيء الذي له صورة محددة فهذه الصورة هي صورته لا غير. ولذلك قال "سنريهم ءاياتنا في الآفاق وفي أنفسهم"، فلانه تعالى لا صورة له صارت كل صور الآفاق والأنفس آيات ومرايا ومجالي له.

وثالثاً ولعله الأهم، الهدف من الرسالة الالهية هو ان ترتفع انت، يعني تصبح اعلم واطهر وأحسن، وهذا الهدف يتم بالكلمة. فما الفايدة من النظر لصورة لمجرد الصورة ؟! الإيمان ليس اعتقاد العظمة في غيرك فقط،ولكن فتح باب تحقيق عظمة نفسك "وانك لعلى خُلُق عظيم". ومن اغرب ما يدخل فيه الكثير من الناس هو الاهتمام بالاعتقاد ان فلان وعلان لهم مقامات عظيمة وكمالات رائعة. طيب، هو عظيم، انت ايش دخلك ! لا ، الاعتقاد السليم هو ان تكتشف في ذاتك ما تعتقده في غيرك. وهنا كنز الأسرار .

...

(عن سورة قريش)

طعام، امن، عبادة.

الطعام يدل على الجسم وهو محور اغراضه. فاهم ما يحتاجه الجسم هو الطعام. والجوع احساس مباشر تجده في بدنك بدون تخيل وبدون تفكير وتحليل.

الخوف يدل على النفس، لان الخوف مزيج من شعور وخيال، اذ الخوف من شيء يدل على عدم وجود هذا الشيء الان لكنك تتوقع حصوله في المستقبل، وهذا التخيل يصاحبه شعور مؤلم للنفس.

فقوله "الذي اطعمهم من جوع، وامنهم من خوف" يدل على حصول مطالب الجسم والنفس. ومن هذه النقطة تبدا الدعوة الى العبادة. لانه قال "فليعبدوا رب هذا البيت ، الذي اطعمهم" اطعمهم وامنهم وانتهى، هذا شيء حاصل. وبناء عليه يدعوهم للعبادة. ومعنى ذلك ان الانسان الذي لا يجد مطالبه الجسمية والنفسية غير مُطالَب بالعبادة بل الواقع انه لا يقدر على العبادة الخالصة لان ذهنه سيكون مشتتاً ومحتجباً في مطالبه الجسمية والنفسية. فقريش ترمز للمجتمع الذي حصلت له وسائل العيش والأمن، وصارت له مألوفة واعتاد عليها، بدون ان يفكر في ما هو فوق جسماني ونفساني. يعني انحصر في الطعام والأمن ولم ينفتح على أفق الروح.

لينبعث الانسان لتلبية مطالب جسمه لا يحتاج الى داعي ليذكره من خارجه، كذلك مطالب نفسه في الأمن وعدم الخوف ايضا نفس الألم النفسي هو الرسول الذي سيدعوه للتخلص منه. لكن بحكم غيبية الروح وتعاليها، وشدة لطفها وخفاء نورها، يغفل الانسان عادة عنها. ولذلك يأتيه الرسول من خارجه ليقول له-من باب الرحمة-"فليعبدوا رب هذا البيت". فالعبادة إذن حقيقتها عمل فوق نفسي وفوق جسماني، وهذا العمل هو الذكر والفكر. اي توجيه طاقة الوعي لمركز الوجود المطلق وشمس الموجودات المتعالية. الذكر الحضور مع الأحد، الفكر استحضار الواحد. العقل عبادة، لان العقل من العقال وهو الرابط، اي هو ربط كل الموجودات ببعضها بحكم اتصالها بمركزها "اليه يرجع الأمر كله". ولذلك هو عمل غير جسماني ولا نفساني في اصله.

الا ان العبادة المذكورة في السورة هي ل"رب هذا البيت" فجمع بين الربوبية وهي حقيقة متعالية، وبين هذا البيت وهو صورة كونية نازلة وربط بينهما. لانه يتدرج معهم. فيبدا بالتوجه لرب هذا البيت، ثم يترقى لرب العالمين، ثم يترقى لرب كل شيء، ثم يترقى لهو الأول والآخر والظاهر والباطن، ويختم طريق عروجه في مستقر "هو الله احد"، احد يعني لا يوجد في بيت الوجود غيره ولا موجود مستقل عنه ذاتاً وصفةً وفعلاً. جسمك يجوع ونهايته الموت. نفسك تخاف ونهايتها الوفاة. لكن جوع روحك وخوفها نهايتها الخلود، فاذا لم تطعمها الفكر وتؤمنها بالذكر ف...الله يستر!

قال: طيب ما العمل في زمان لا تشبع فيه الناس ؟ .... ما عليهم عبادة؟
قلت: العمل ان يرتبوا اوضاعهم ليشبعوا ويامنوا.
اذا عبدوا وهم جياع خايفين فهولاء من الاولياء النادرين، وكلامنا عن النمط العام وليس النادر الشاذ .
ثم عبادتهم حينها تكون مبنية على الفضل والانبعاث الذاتي لا عن حصول التكليف الإلهي الخاص المبني على الإطعام والأمن.

وقال: تذكرت قصة لسيدنا الجنيد رضي الله عنه، أتى إى مجلسه تاجر و أعطاه صرة نقود... و قال له "أنفقها على أصحابك"، فرد عليه الجنيد "عندك غيرها" فقال التاجر "نعم"، ثم قال له الجنيد "أتريد المزيد؟" ، فقال التاجر "نعم"، فردها السيد الجنيد للتاجر و قال له "أنت أحوج إليها منا"
فقلت: الذي فهمته من القصة ان الجنيد رفض أخذ مال عليه اثار سلبية بسبب تعلق صاحبه به. ومعلوم ان أهل الله لا ينظرون الى المادة بانفصال عن المعنى المصاحب لها. وهنا احتياج التاجر للمزيد دل على طمع فيه ، والطمع من أوساخ القلب ، وكل عمل يصدر عليه كسوة من قلب العامل ، فرد عليه ماله لاتساخه بطمعه.

الذي فهمته من القصة ان الجنيد رفض أخذ مال عليه اثار سلبية بسبب تعلق صاحبه به. ومعلوم ان أهل الله لا ينظرون الى المادة بانفصال عن المعنى المصاحب لها. وهنا احتياج التاجر للمزيد دل على طمع فيه ، والطمع من أوساخ القلب ، وكل عمل يصدر عليه كسوة من قلب العامل ، فرد عليه ماله لاتساخه بطمعه.

...
يقول البعض: علينا الاشتغال بالعلوم الطبيعية والتقنية فقط
بدلاً من اضاعة حياتنا في الامور النفسية والفلسفية والدينية وما اشبه مما يسمى العلوم الإنسانية.
أقول: توجد على الأقل ستة مشاكل في هذه الدعوة.
الأولى، التناقض.لانه اذا كان الانسان وظواهره الباطنية جزء من الطبيعة، فلابد من الاشتغال بها بناء على الدعوة؛ وإذا كان الانسان كائن غير طبيعي، فهذا يثبت وجود شيء غير الطبيعة بالتالي ينسف التصور الكامن في الدعوة من الأساس.
الثانية، القصور. النظرة الأشمل هي النظرة الأكمل. وأخذ جميع العلوم الممكنة بحسب مناهجها المختلفة هو النظرة الأشمل. ومن القصور الشديد الاقتصار على بعض أنواع المعرفة.
الثالثة، القيمة. وهذه مشكلة كبرى. لان العلوم الطبيعية وتصف ما هو موجود، والتقنية تصف ما يمكن فعله. لكن أعمال الانسان مبنية على اختيارات لا فقط على الاعتراف بما هو موجود، والتقنية تفتح باب الاختيارات لكن لا تحدد طريقة الاختيار. مثلا، علم الطاقة النووية كشف عن هذه الطاقة، التقنية النووية كشفت عن امكان استعمال الطاقة في انارة مدن او في إبادة مدن، الى هنا انتهى دور العلمين الطبيعي والتقني؛ لكن السؤال الأهم هو ماذا سنفعل؟ هذا سؤال لا جواب عليه في حدود الطبيعة والتقنية، وجوابه في العلوم الإنسانية فقط. بعبارة أخرى، العلم الطبيعي والتقني يعطي وسائل ولا يعطي أهداف وغايات ولا يبررها.
الرابعة، الأساس. أساس كل تطور في العلوم الطبيعية والتقنية راجع الى وجود مجتمع له خصائص معينة. هذه الخصائص لم تنبني الا على أسس فكرية معينة كالديانة والفلسفة وما اشبه. وهذه الأفكار العقلية هي التي أسست النظم الاجتماعية والقانونية التي سمحت بنمو العلوم الطبيعية. مثلا، هل تتوقع

السبب في كون التطورات العلمية الطبيعية أكثرها ينمو في الغرب وتحديدًا امريكاً يرجع الى ماذا؟ هل الأمريكان عندهم سر سحري يكشف عن اسرار الطبيعية ولا تعرفه المجتمعات الأخرى؟ كلا. الفرق راجع الى فلسفة خاصة في الحياة والمجتمع والقانون سار عليها هؤلاء. ومثل هذه الفلسفة لم تنمو في معمل أكاديمي. وقارن هذا بحال الغرب حين كان تحت سيطرة كهنة ما يعرف بالقرون الوسطى. إذن، الفرق فلسفي-ديني.

السادسة، الوجدان. وهذه اكبر مشكلة. حتى اذا وصل الانسان القمر بل مجرة أخرى، وصار يلعب كرة قدم على المريخ، فانه بعد فترة سيشعر بالفراغ والملل كما هو الحال تماماً على الارض. لان الانسان كائن وجداني باطني مهما ركز عينه على الظواهر الطبيعية والألعاب التقنية. بينما في المقابل المتطرف نجد أناس من شدة امتلاء وجدانهم بالوفرة والغبطة والانبساط يختارون بكل حب ان يعيشوا وحدهم في الجبال او الصحاري للتأمل والتعبد وما اشبه. الان، الا يدل هذا على ان الفريق المتطرف الأول جهة الطبيعة قد أضاع شيئاً جوهريًا لإنسانيته وهو الذي وجده الفريق المتطرف الثاني جهة الروحانية.

الخلاصة: أقصى ما يمكن ان يصل اليه إنسان بالعلوم الطبيعية والتقنية هو ان يكون جسمه صحياً ويعيش بأمن وفي راحة. لكن هذا نصف ما يريده الانسان. والنصف الثاني هو ما يمكن ان نسميه بالمعنويات. الأول مبنى والثاني معنى، ومبنى بلا معنى لغو وهراء. ولذلك نهاية كل تطرف جهة الطبيعة الظاهرية الوسائلية هي الشعور بالخواء والعدم. علم الطبيعة مثل الصَدَف، علم النبوة مثل اللؤلؤ.

...

(هذه التي نشرتها)

الدفاع والانتزاع

بهذين تستطيع تفسير السبب الواقعي الذي يجعل معظم الناس تأخذ باخلاق معينة وتمدحها او تنفر من أخلاق معينة وتذمها.

خذ مثلاً الحسد والبخل والعجب والسفه، والطيبة والصدق.

اما الحسد فوسيلة دفاع. انت تملك شيئا ولا تريد من غيرك ان يسلبه منه، وخصوصًا اذا كنت تعرف بانك لا تستحقه. فتقول عن من ينظر الى ما في يدك "حسود". اما البخل فوسيلة انتزاع. الذي لا يملك المال يريد ان ينتزع المال من يد صاحبه بدون مقابل، لانه لو اراده بمقابل لكان تاجراً، لكنه يريده مجاناً، كيف؟ تصف الذي لا يعطيك ماله مجاناً بما يشوه صورته في اذهان الناس اي البخل. فهو نوع من الابتزاز النفساني. بعض الشعراء القدامى كانوا عظماء في فن الابتزاز هذا.

اما العجب فوسيلة انتزاع. المعجب بنفسه او برأيه له شخصية مستقلة عنا. فحين نرغب في كسر شخصيته حتى يصير تابعاً لنا نعمل على صناعة وصف العجب.

اما السفه فوسيلة انتزاع. لان السفيه من لا يطور عقله وصنعته بالدرجة النافعة لنا، وكذلك الذي ينفق أمواله في غير المواضع التي تناسب مصالحنا البعيدة او القريبة. فنرمي من يفعل ذلك بالسفه.

اما الطيبة فوسيلة انتزاع. لان الطيب هو الذي لا يهتم بمصالحه الشخصية بوعي وشراسة كما نفعل نحن، وهذا مناسب لنا لانه يمكننا من خداعه بسهولة نسبية، فنروج لوصف الطيبة كشيء حسن، وعلى العكس نعتبر المكر صفة خبيثة من باب الدفاع عن مصالحنا من تفكير الآخرين وسعيهم لسلبنا ما عندنا.

اما الصدق فوسيلة دفاع وانتزاع. دفاع لانه لابد من العيش في مجتمع والعمل مع اخرين والثقة بهم لحد ما اذ لا يمكن ان نراقبهم ليل نهار بحكم البشرية، فنروج للصدق حتى نضمن عدم غش هؤلاء لنا

من وراء ظهورنا. وهو وسيلة انتزاع لانه يسلب من الآخر القدرة على المراوغة وإخفاء النوايا التي بها يُحصل اغراضه.

هذه أمثلة سريعة. والذي يدلك ان معظم الناس لا تعتبر الأخلاق قيمة في حد ذاتها بل وسيلة دفاع وانتزاع، انهم هم أنفسهم لا يمارسونها ويريدون من غيرهم ممارستها. لكن حين يمارسون أضدادها يعطونها اسماء مختلفة جميلة. فالحسد يصير القوة المشروعة، والبخل هو عدم التبذير، والعجب هو اتباع العلم، والسفه هو التمتع بالنعمة، والمكر هو التخطيط السليم، والكذب هو مراعاة ضعف الناس. وهلمّ جراً.

عند الأكثرية، الأخلاق وسيلة نفسانية للحصول على المصالح المادية...المادية جداً !

...

بالأمس كنت أُطالع في كتاب العرب ظاهرة صوتية لعبد الله القصيمي. وبلغت موضعاً يقول فيه ما حاصله: أوّلاً وجود الشرّ في العالَم داعية الإلحاد. ثانياً، عدم استجابة المدعو للدعاء-بحسب القرءآن والعقل-دليل على بطلان الإله فلابد من إعمال نفس الأصل بالنسبة لكل إله حتى الله وبما أن الله لا يستجيب الدعاء إذن هو غير موجود.

قرأت ذلك في عصر الجمعة. وضعت الكتاب محلّه وأنا في طريقي إلى مكتبتي دعوت الله في سرّي ليبيّن لي قوله في هذا الأمر. وأكملت يومي كالعادة. أكلت وجلست مع زوجي وخرجنا للسوق والمشي ثم رجعنا وشاهدنا فيلماً في الليل انتهى الساعة ٤ صباحاً تقريباً ونامت زوجتي. قمت أريد الذهاب للحمام، إلا أنه خطر لي الدخول إلى مكتبتي أوّلاً وقراءة شئ قبل ذلك، فدخلت في الظلام شبه التام ومددت يدي مختاراً لشرح فصوص الحكم للقيصري. فتحت حيث توقّفت وإذا هو موضع فصّ زكريا، الذي مضمونه الكلام عن سبب وجود الشرّ في العالَم ! فتذكّرت وقتها ما دعوت به قبلها وقيل لي في سِرّي "هذا جوابك".

الإلحاد هو النتيجة الطبيعية النهائية للوهابية. فيجب أن لا نستغرب من وهابي ألحد، لكن من وهابي لم يظهر إلحاده بَعد.

...

قبل قليل اطلعت على ترجمة انجليزية للقرءان

قمّة البرود والجفاف ! القرءان ليس مجرد ألفاظ عربية، لكن القرءان حضور وشعور وقوة خاصة لا يمكن وجودها في غير صورته التي نزل بها. ترجمة القرءان تشبه الوردة البلاستيكية ؛ نعم لها شكل يشبه شكل الوردة الطبيعية لكن بدون الإحساس والرائحة والوجود التام لها.

وكما ان الترجمة تفسد الحقيقة القرءانية او تختزلها، كذلك القلب المحجوب عن الله لن تصله قوة وبركة القرءان. ولذلك قال "وإذا قرات القرءان جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً". فلو كان القرءان مجرد ألفاظ عربية فما علاقة فهمه بالإيمان بالآخرة ؟ وإذا كانت الآخرة مجرد شيء سياتي بعد الموت فما علاقة هذا بالاحتجاب عن القرءان ؟ الآخرة هي العالم الباطني الان. وهذا العالم الباطني ينكشف بعد التجرد من البدن، والتجرد يحصل بالعين القلبية حين تلتفت من الظواهر الى البواطن، او بالموت. فبما ان القرءان له ظاهر وباطن، وحقيقته في باطنه، فالذي لا يؤمن بالآخرة لن يفهم حقيقته. اي سيكون بينه وبينه "حجابا مستورا". بعبارة أخرى: كلما صرت انت اكثر شبهًا بالقرءان، كلما انفتحت لك معانيه وارتفعت بينك وبينه الحجب.

فهو بلسان عربي، فحين يكون لسانك عربيًا سيرتفع حجاب اللسان.

وهو أمثال تحكي عن حقايق باطنية وإلهية وروحية، فحين يزداد اتصالك بباطنك وتاملك في نفسك ومعرفتك بخواص ذاتك، سيرتفع عنك حجاب الأمثال.
وهو كلام الله، فحين تنقي إذن قلبك وتوجهها نحو ربك، حينها ستسمعه منه وتفهمه عنه.
قد تقول: فماذا عن الذي لا يعرف العربية كيف يصنع؟
عنده واحد من طريقين اذا أراد الحصول على شيء حقيقي قوي. الأول تعلم العربية. وإذا كان الناس يتعلمون لغات من اجل مصالح مادية فمن باب أولى تعلمها من اجل منافع معنوية بل ومادية ولا يجعل بينه وبين كتاب ربه وسيطا ولا مترجماً. الطريق الثاني قراءة معاني القرءان مشروحة وموضوعة بلسانه على يد عالِم اخذها مباشرة من القرءان وهذه درجة ثانية لكنها أنقى من النظر في الترجمات مباشرة. وهذا الطريق هو الذي سارت عليه الأمم غير العربية من المسلمين عبر القرون بشكل عام.
الا ان رسالة القرءان لا تستقر بغير استقرار العربية معها. عربية القرءان لا تحمل معاني كلماته فقط ولكن قوة وبركة كلماته ايضا وما يجعلها طبيعية حيوية. فالقرءان مثل اي موجود في الكون انزله الله، له وجود طبيعي حيوي اذا انقطع عن اصله تغيّرت حقيقته. كما انك تجد الفرق بين النباتات العضوية وتلك التي يصنعها الناس بضوء صناعي وبيئة صناعية وإضافات كيميائية.
الخلاصة: الطريق الى القرءان يمر عبر العربية ومعرفة الانسان بنفسه.
...
(سبع نظرات في النفس)
أستطيع التأمل فقط في اليقظة ولا أشعر بنفسي إلا في يقظة سواء كانت شبه يقظة كما في حالة الحلم في النوم أو في اليقظة العادية. فذاتي غائبة عن وعيي ولا أدري هل تنعدم وترجع أم لها بقاء لكنّي لا أشعر بها. ومن هنا أشعر فوراً بأني مزيج من الوجود والعدم، وقابل للوجود والعدم أو قابل للمعرفة والجهل، للحضور والغياب. فالثنائية كامنة فيّ. وأيضاً بما أنّي لا أجد قدرة على استرجاع ذاتي ووعيي بذاتي حين تغيب كما في النوم، فهذا يكشف لي عن عدم سيطرتي على ذاتي سيطرة تامّة، إلا أني في يقظتي أشعر بشئ من السيطرة والاختيار، فإذن أنا لا كامل القدرة ولا كامل العجز بل قدرتي على ذاتي محدودة.

أرى أن لي حِسّاً مثل الحرارة والبرودة والحلاوة والمرارة وما أشبه من حواس بدني. وأرى أيضاً لي خيالاً أستطيع تشكيل فيه صوراً على الواقع تختلف عن الواقع الحسّي من نواحي متعددة، وأحياناً تتشكّل خيالات أمامي بغير إرادتي المباشرة. وأرى أيضاً لي مشاعراً مثل الغضب والفرح وحزن وما أشبه، تختلف في طبيعتها عن الخيالات والحسّيات المتعلّقة بالصور والأشكال والهيئات، فمشاعري لها وجود لكنها بلا صورة، ولها آثار مختلفة فأثر الفرح غير أثر الحزن، وكذلك لكل شعور درجات متعددة مثلاً قد أغضب بدرجة في حالة ثم أغضب بدرجة أكبر في حالة أخرى وهو الغضب نفسه لكنه يشتدّ ويضعف. وأرى أيضاً لي أفكاراً، والأفكار لا صورة لها مثل المشاعر، وهي كثيرة جدّاً ومختلفة، ويمكن أن أضع أفكاري في صور خيالية وحسّية تمثّلها، وكذلك أرى أن مشاعري كثيراً ما تختلف بحسب اختلاف أفكاري عن الموضوع. وأرى أيضاً أن فِيّ شئ يستطيع رؤية هذه الأشياء كلّها، ويميّز بينها، وهذا الرائي ليس فكرة ولا شعوراً ولا خيالاً ولا حِسّاً، وأُسمّي هذا الرائي بالوعي لتسهيل الإشارة إليه، فهو وعي بمعنى مُدرِك لأنه به أدركت هذه الأشياء وحتى أدركت نفس الوعي، وهو وعي بمعنى وعاء من حيث أني أجد الأشياء فيه وكأنّه وعاء لها. الوعي هو الذي يختفي حين أنام. وكذلك لا أجده حين

أستغرق في فكرة أو شعور أو خيال أو حس أحياناً إلى حد الاستهلاك الحادّ. وهذا الاستغراق يجعلني أشعر بالضيق، لأن الوعي واسع وحرّ، إلا أني حين أستغرق في فكرة مثلاً أو يتملّكني شعور واحد من بين احتمالات كثيرة، وهكذا الحال في الخيال والحسّ، أشعر بالضيق والتحديد والتقييد. وأرتاح حين أتجرّد وأجد وعيي منزّهاً عن هذه الأربعة، أو حين أكون مراقباً لحركة الأربعة والاختلافات والمناسبات بينها. فمن هنا عرفت أن لي حقيقة واحدة هي الوعي، وحقائق كثيرة هي الفكر والشعور والخيال والحسّ، وبينهما علاقة. إلا أن الوعي أكبر من الكل، ولا يتغيّر بتغيّر الكل.

توجد علاقة بيني وبين الأشياء الخارجة عنّي في الطبيعة الحسّية. فأنا لست في عالَم الحسّ بمعنى أنه وعاء لي وأنا غيره، كما أن عالَم الحسّ لي فيّ كأني أنا وعاء له، بل العلاقة هي الوحدة، فأنا أملك جسماً هو هو عالَم الطبيعة أو جزء منها. وهذا يجعلني أشعر بالأُلفة مع الطبيعة ومَن فيها. لكن، الذي يجعلني أشعر بالاختلاف عن الطبيعة والعداوة لها هو أنها تُسبب لي الألم أو تجعلني أشعر بالافتقار إليها لأعيش وأملك أسباب التصرّف فيها وكونها تخفي عنّي أسرارها ومنافعها ومضارّها وأحتاج إلى وسائل متعددة لاكتشافها واستعمالها. فبيني وبين الطبيعة علاقة مودّة مبنية على الوحدة الحِسّية، وعلاقة عداوة مبنية على إيلام حواسّي وإخفاء حقائقها العلمية. فعلاقتي مضطربة بالطبيعة ومَن فيها من الكائنات بلا استثناء. فمن جهة أحبّهم ومن جهة أكرههم. من جهة أرغب فيهم ومن جهة أنفر عنهم.

أُلاحِظ أني أكره القيود الطبيعية الموضوعة عليّ. وهذا دليل على أن ذاتي مختلفة عن الطبيعة ولي شخصية وإرادة مستقلّة نسبياً عنها وتريد فرض نفسها عليها. فحين يحصل لي شئ أكرهه، شعوري بالكراهية تجاهه يجعلني أكتشف إرادتي المنفصلة عن الطبيعة. مما يدلّ على وجود اختلاف جوهري بين إرادتي وأحداث الطبيعة (وبالتضمّن إرادة مَن يُسبب أحداث الطبيعة). إذ لو كانت إرادتي هي نفس إرادة الطبيعة والكائنات التي تُسبب أحداثها، لما شعرت بالكراهة والاختلاف أصلاً. لكن في المقابل، قد تحصل أمور وأرضى عنها وأرغب فيها، مما يدلّ على إمكان حدوث توافق بيني وبين الطبيعة والإرادة الصانعة لها. كراهتي شاهدة باستقلالي. واستقلالي شاهد بأني لست مجرّد جزءاً جوهرياً من نظام طبيعي كلّي متناسق الأجزاء متّحد الإرادة والغرض. فأنا فرد منفرد، وبإرادتي أوافق ما تُحدثه الطبيعة وأرفض ما تُحدثه أيضاً، بحسب تناسبها مع شؤوني الذاتية.

لا يوجد زمن داخل نفسي. حين أنظر في عالَمي الحِسّي، أرى أنه لا يوجد إلا شئ واحد وهو الشئ الكائن الآن فقط، أي لا أرى سلسلة أحداث، تخيّل سلسلة أحداث هو شئ يقوم به خيالي حين يجمع صور متعددة حصلت في الحِس وراء بعضها البعض ويصل بينها فأتخيّل سلسلة أحداث وأسمّي حركة السلسلة بالزمن فالصورة الأقدم ماضي والأحدث حاضر والتي لم تحدث بعد مستقبل. فالزمن خيال. أمّا الحسّ فليس فيه إلا الآن. الحِسّ لحظة واحدة. وحين يغيب شئ من الحسّ ويغرب، فإنه يموت بالنسبة للحسّ، لكنّه لا يموت بالنسبة لخيالي، فلا يوجد زمن في نفسي بمعنى لا يوجد موت لشئ لأنه قد يبقى حتى بعد غيابه عن الحسّ ويؤثر فيّ اليوم كما كان يؤثر فيّ قبل عشرين سنة، سواء شعرت به أو لم أشعر بأنه هو الذي يؤثر فيّ التأثير المعيّن الذي وجدته. ففي نفسي حضور لصور كثيرة، بعضها مأخوذ من الحِسّ، وبعضه مصنوع في المخيلة نفسها أثناء الأحلام أو اليقظة. وهذه كلّها مجموعة في نفسي ولا زمن فيها بمعنى لا يؤثر مرور الزمن الوهمي في الحسّ على وجودها. والصور المتخيّلة لا زمن

لها بمعنى أن كونها قديمة أو حديثة بالنسبة للحسّ لا يغيّر من واقعها وقيامها في نفسي. إذن، في الحسّ لا زمن لي. وفي النفس، أجد الزمن حين تصنع مخيّلتي سلسلة أحداث وتتذكرها، ولا أجد الزمن من حيث كون الصور هي الصور بغضّ النظر عن الواقع الحسّي الذي صدرت في وقته. فالصور مستقلّة عن مكان صدورها، فمن حيث هي صور لا يختلف كونها صدرت عن حِلم أو صناعة يقظة أو واقعة حسّية. مع أني أجد فرقاً بين الأماكن بوسيلة أخرى غير نفس الصور، بدليل أنه قد يختلط علي مصدرالصورة فأتصرّف تصرّفاً يختلف عن التصرّف الذي أتصرّفه حين أتنبّه إلى المصدر الحقيقي للصورة، كأن أعتقد بأنها من اليقظة فإذا بها من الحلم أو أعتقد بأنها من حلم فإذا بها من حِسّ. وهذا يدلّ على وجود قوّة فيّ تحكم على هذه الصور وتُرتّبها وتعطيها قيم مختلفة بناء على معايير مختلفة. نفسي أوسع من الطبيعة الحسّية. أوسع من حيث مدى ما فيها، وقوّته وكمّيته وكيفيته وجمعيته. العالَم الحسّي بطئ، ضيّق، كثير القيود، صعب التغيير، بالنسبة لنفسي. وهذا الاختلاف يخلق نوع من النفرة بين قواي الفكرية والشعورية والخيالية وبين جسمي، لأنّه بالجسم صارت لي صلة جوهرية اتحادية بالطبيعة. ومن هنا أجد آثاراً لهذه النفرة بين عوالمي، وتنعكس في رغبتي في التركيز أكثر على النفس بدلاً من الطبيعة والتقليل من شؤون الجسم وأسباب الانشغال به، أحياناً كثيرة. وآثار أخرى.

في نفسي شئ لا أراه مهما راقبته، ولا أستطيع استشعاره وكشفه، بالرغم من أني أعلم بأنّه لابد من وجوده وأهمّيته من حيث كونه مصدراً لترتيب الأفكار والمشاعر والخيالات والربط بينها وإصدارها وتحليلها. فأنا أرى مثلاً الكلمة حين أسمع صوتها في نفسي حتى قبل إظهارها للحسّ بالصوت أو الكتابة أو الأثر العضوي الحركي كالانفعال. لكنّي لا أرى مصدر هذه الكلمة ولا مصدر تسلسل الجملة وترتيب الأفكار فيها. أريد التعبير عن شئ، أجد الكلمات تعبّر عنه، كما أني أكتب هذه الكلمات الآن. لكنّي لا أرى الشئ الذي يستجيب لي ويعطيني الكلمات المناسبة بالترتيب المناسب بهذه السرعة الرهيبة والدقة العالية. لا يمكن أن لا يوجد شئ ومصدر لهذا، لأني لا أستطيع قبول وجود نظام وترتيب مثل هذا حدث بعد عدم ومع ذلك لا مصدر له. وحين أدقق النظر في نفسي أستطيع الاقتراب جدّاً من مشاهدة شئ وراء حجاب الظلام يتحرّك ويتفجّر، ومنه تصدر الكلمات أو الأفعال، لكنّي لا أراه. فأنا أعلم جهلي لأنّي جاهل بجميع أبعاد نفسي. فالتعامل مع الجهل بالنفس حاصل قطعاً. لكن حين أقف في الوعي حصراً، أرى ذاتي بسيطة غير مركّبة، مُدرِكة غير خافية، وأستقرّ نسبياً في هذه الرؤية الذاتية. أفكاري ومشاعري لا صورة لها، لكنّي أعبّر عنها بالكلمات وتتشكّل أفكاري ومشاعري في الكلمات أسهل مما تتشكّل في الخيالات والحسّيات. الخيال أراه وأعرفه مباشرة. الحس كذلك أستشعره ذاتياً ولا أحتاج إلى تفكير فيه ولا تحليل له، فهو هو وكفى. ومشاعري كذلك واضحة جدّاً لي وإن لم تكن أسبابها واضحة بنفس وضوحها. أمّا أفكاري فأكثر الأشياء خفاء إلى أن أتكلّم، حينها تبدأ بالظهور. فالكلمة مرآة الفكرة، أنظر في الكلمة فأرى وجه الفكرة التي لا وجه لها بالرغم من أن لها حقيقة متميّزة وخصائص معيّنة. وأستطيع التأثير في أفكاري بالكلام، وأشعر براحة حين أتكلّم وأُجسِّد أفكاري في صور خاصّة.

لا فراغ داخلي بالرغم من وجود الفراغ، لأن مجرّد إدراكي للفراغ دليل على وجود شئ مُدرِك والفراغ بمعنى العدم لا محلّ له في نفسي. لكن الفراغ بمعنى عدم ظهور أفكار أو مشاعر أو خيالاتً، نعم هذا حاصل أو قد يحصل أحياناً. كأن أنظر في نفسي فلا أرى فكرة، ولا أشعر بشئ مخصوص، ولا أتصوّر

شيئاً. فالفراغ هو تجرّد الوعي وبقائه على حقيقته الجوهرية، أي إدراك لا لشئ محدد. إدراك نفس الإدراك. انكفاء العين على العين. هذه حالة مريحة لي. لكنّها لا تستمرّ، والواقع أني لا أريدها أن تستمر لأنها تجعلني أشتاق لعوالمي الفكرية والشعورية والخيالية والحسّية. فأنا بين انقباض عوالمي وانبساطها، وفي الحالتين لا فراغ لأن ذاتي حاضرة. ثم ذاتي بين انقباض النوم والغفلة وبين انبساطها بالوعي والتأمل. فأنا جامع الأضداد، ومظهر الوحدة، ومجمع المختلفات الكثيرة والطبقات المتنوعة.

...

(حجّة لأهمّية تحرير الكلمة)

التحيّز الذهني والعاطي خطأ.

إصلاح التحيّز لا يكون مِن نفس المُتحيِّز عادةً.

الأحكام تُبنى على العادة.

إصلاح الخطأ مطلوب.

إذن، لابد من تحرير النقّاد.

...

{اختار موسى قومه سبعين رجلاً}.

يقول بعض أهل "التفسير" هكذا: اختار موسى من قومه سبعين رجلاً. أقول: إضافة "مِن" أفسد معنى مهمّاً في الآية، وضرورياً لمسائل أخرى. نعم، عدد مَن وقع عليهم الاختيار هو ٧٠. لكن إضافة "مِن قومه" تحجب معنى كبيراً. وهذا هو السؤال:

{اختار موسى قومه} غريبة الشكل لأن الاختيار لا يكون للقوم كلّهم ول{سبعين رجلاً} منهم فقط في آن واحد. فكيف توفّق بين اختيار القوم كلّهم حسب نصّ {اختار موسى قومه}، وبين أن الاختيار لم يقع إلا على سبعين رجلاً من مجموع القوم؟

الجواب: اختار سبعين رجلاً يُمثّلون قومه تمثيلاً يجعلهم كأنّهم القوم كلّهم. أي نوّاب القوم. عرفاء القوم.

حين تضيف كلمة "مِن" قبل قومه، فإنك توحي-بلغة الإحصاء-أن العيّنة التي تم اختيارها عشوائية أو مُمثّلة، كما تقول اخترت من الصناديق ثلاثة صناديق. فكأنّك تهتمّ بالعدد والكمّية فقط في عملية الاختيار. أنت تريد ثلاثة صناديق، ولا يهمّ أي ثلاثة بالتحديد وما علاقتها بالنسبة لبقيّة الصناديق. لكن حين تقرأ القرءآن كما هو، وتبحث عن المعنى في حدود حروفه، فسنخرج بأن معيار الاختيار لم يكن كمّياً لكن كان كيفياً، أي المطلوب كان عدد يمثّل القوم كلّهم. فلا فرق إن كانوا سبعين أو سبعمائة، فأي قيمة لهذا العدد من حيث ذاته في القضية التي من أجلها اختار موسى هؤلاء الرجال. لم تكن مائدة طعام مثلاً حتى ينحصر الحدّ الأقصى من الحضور للأكل منها. كان ميعاداً لسماع كلام الله.

الغرض من الاختيار هنا مثل قوله تعالى "ما كان المؤمنون لينفروا كافّة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم". فهؤلاء ال"سبعين رجلاً" المفترض أنهم سيسمعوا كلام الله مع موسى، ثم سيبلّغون قومهم به بعد رجوعهم. فلو كان المختارون فقط من سبط من الأسباط، لاحتجّ بقية الأسباط مثلاً بأنّها مؤامرة من موسى معهم وكذبوا عليهم. ولو كان المختارون لا يعبّرون عن قومهم بفرقهم وطوائفهم أيضاً لشكك المشككون، فمثلاً لو اختار الجهلة والسفلة المعروفين بينهم لقالوا "نعم، أقنع هؤلآء السفلة ليقولوا بأنهم سمعوا كلام الله حتى يرفع من مكانتهم في قومهم" أو أي شئ من هذا القبيل. لكن حين قال الله {اختار موسى قومه، سبعين رجلاً" فهمنا أن المختارين كانوا

يمثّلون قومهم تمثيلاً صحيحاً تقوم به الحجّة عليهم في البلاغ. وحين قال "رجلاً" ولم يقل ذكراً ولا وصف إلا وصف الرجولة الذي يعني الاستقلالية والقوّة ومعاني كمالية أخرى وليس المقصود أنه اختار الذكور منهم فقط، فالرجال في مواضع يأتي ويكون المقصود به كمال معيّن لا هيئة البدن، مثل "رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع" في آيات النور، أو "رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه".

الخلاصة: التمثيل القومي أمر قرءآني. وهو ممكن. والاختيار لابد أن يركّز على التمثيل والكيفية، لا على مجرّد الكمّية لذاتها بل الكمّية كتعبير عن التمثيل الكيفي لفرق القوم.

فائدة أخرى: من هذه الآية جاء حديث الفرق ، "افترق قوم موسى على واحد وسبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة" وذكر بعدها افتراق قوم عيسى على اثنتين وسبعين فرقة، وافتراق قوم محمد على ثلاث وسبعين فرقة. وهكذا تم استنباط الأمر:

موسى زائد السبعين رجل هم ٧١. فالذين اتّبعوا موسى هم الناجين، والذين اتبعوا فرق البقيّة التي شكّل كل واحد منها فرقة بعد الرجوع وصار إماماً تتحزّب له الناس، صار في النار. وموسى يمثّل التوراة.

بعد انطماس نور التوراة واختلاف الناس في نفس موسى بالإضافة إلى السبعين الأوائل التي كل واحد منهم يشكّل نزعة معيّنة في التحريف والضلال، جاء عيسى. فعيسى واحد وموسى واحد والسبعين نزعة أصلية ضلالية على ما هي عليه. وعيسى يمثّل الإنجيل.

بعد انطماس نور الإنجيل واختلاف الناس في نفس عيسى بالإضافة إلى موسى والسبعين الأوائل، جاء محمد بالقرءآن. فصار محمد واحد ومن قبله اثنين وسبعين، فمن يتبع محمد والقرءآن اتبع الحق في أمر عيسى وإنجيله وموسى وتوراته ولم يقع في السبعين هاوية التي حفرها دعاة الضلال والكذبة في كل دين.

...

مفاتيح تأويل آيات الآخرة:

١-مفتاح المناسبة. اسم الشئ في الدنيا والآخرة إذا اتّحد، فتوجد علاقة بين صورة الشئ في الدنيا وحقيقته في الآخرة. والجوهر المتعالي لهما الذي عند الله هو واحد مشترك. ولا يُعقَل أن لا توجد أي مناسبة بين الاثنين، لأنه يجعل القرءآن لغواً ويجعل الكلام عن أمور الآخرة باطلاً من كل وجه. فلابد من مناسبة ولو من وجه واحد يصحّ به إطلاق نفس الاسم على شئ في الآخرة وشئ في الدنيا، مثلاً "آنية من فِضّة" فلابد من مناسبة بين فضّة الدنيا وفضّة الآخرة، وإلّا كان تسمية هذه وتلك "فضّة" لغواً وعبثاً ولأمكن تغييرها إلى "نحاس" أو "بلاستيك" بدون تغيّر في المعنى.

٢-مفتاح الجزاء. توجد علاقة بين عمل الإنسان في الدنيا وبين الجزاء عليه في الآخرة. لقوله "إنما تجزون ما كنتم تعملون". فمرّة يقول "بما كنتم تعملون" ومرّة "ما كنتم تعملون". ولابد من فرق بين "بما" و "ما". العمل فني مع الدنيا، وبقي في الآخرة، لكن ما بقي في الآخرة مبني على ما ما فني في الدنيا. إذن يوجد وجه ل"بما" لأن الجزاء كان بناء على عمل الدنيا، ويوجد وجه ل"ما" لأن الجزاء هو نفس ظهور العمل الدنيوي لكن بصورة أخروية مناسبة له. ومن هنا مثلاً تجد الربط بين "رياض الجنّة" في الآخرة، وبين "حِلَق الذكر" في الدنيا. أو بين نسيان آيات الله في الدنيا وبين العمى في الآخرة

"كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى". وبين قول الحوقلة في الدنيا وبين ظهورها ك"كنز من كنوز الجنّة". وهلمّ جرّاً.

بناء على هذين المفتاحين، تستطيع البدء في البحث عن مظاهر الأمور الأخروية في الدنيا، ومصائر الأمور الدنيوية في الآخرة. ويمكن الانتقال من المظاهر إلى المصائر، أو من المصائر إلى المظاهر. فالمعلوم بالمفاتيح يؤدي إلى المجهول. مثلاً، تستطيع أن تقرأ عقوبة "لهم مقامع من حديد" في الآخرة، وتبحث عن العمل المناسب في الدنيا الذي جعل تلك المقامع جزاءً وفاقاً لهم في الآخرة. ومثلاً، تستطيع أن تقرأ "كونوا مع الصادقين" كأمر شرعي في الدنيا، لتعرف مصيره في الآخرة وصورته الباقية. وعلى هذا القياس.

مثال، "آنية من فِضّة". الفضّة في الدنيا معدن مالي، ومظهر معدني للقمر الفلكي. فمن حيث هو معدن مالي، يكون إنفاق الفضّة في سبيل الله هو مظهره الدنيوي. ومن حيث هو مظهر لقمر فلكي، فهو دون الذهب الذي يمثّل الشمس، لأن القمر يأخذ ضوء الشمس، فعلى ذلك تكون الفضّة ممثّلة للشئ الذي يقبل ضوء شئ آخر، فهو يظهر مثلاً في الكلمة العربية، لأن العربية هي القمر الذي قَبِلَ ضوء شمس الروح، فصار القرءآن العربي. وعلى ذلك، تكون تلاوة الكلمات القرءآنية، التي هي آنية لماء القرءآن بعتبار آخر، مؤدّية إلى الصورة الأخروية التي هي "آنية من فضّة". ومن أكبر تأويلات الجنّة هي أنها القرءآن. وهذا يعزز ما مضى. الخلاصة: إنفاق المال في سبيل الله وَ تلاوة القرءآن، سبب دنيوي أثره الأخروي هو "آنية من فضّة". وهذا لا يحصر تأويل الآية لكنه مثال على تأويلها.

...

ظروف التقية لا توجب السكوت عن التكلّم بالحق، السكوت عن التكلّم بالحق دائماً وأبداً وفي كل ظرف يجعل الإنسان شياطناً أخرساً. لكن التقيّة تجيز اختيار "مع مَن" تتكلّم، و "كيف" تتكلّم. أي التقية تجيز تقييد الجمهور الذي ستخاطبه وكيفية مخاطبته. فالأصل المطلق هو الحرية المطلقة. وفي الحرية الخالية من الإكراه، الواجب هو البيان للكل بصدق ومباشرة تامّة لا رمزية فيها ولا تعمية ولا خلط للحق الصريح بأمور عادية ومشتبهة وحجب تضلل أعين الرقابة الظالمة عن المقصود.

أمّا "مع مَن" تتكلّم. فالأصل تكليم كل أحد يريد السماع أو قابل للسماع بدون إكراهه على السماع بأي حال من الأحوال طبعاً. لكن في ظروف الإكراه، اختر الثقات الذين تعلم أو يطمئن قلبك إلى أنهم لن يبلّغوا الرقباء الظلمة عليك. وسلسلة الثقات ستوصل الرسالة عاجلاً أم آجلاً إلى الناس عموماً. لكنّها ستنتقل بطريق مقبول عموماً ولن يستطيع الرقباء الظلمة من الملاعين كشفه. مثلاً، أنت تكلّم زوجتك، زوجتك تكلّم صاحبتها الأثيرة عندها، صاحبتها تكلّم أخاها، أخوها يكلّم صاحبه، صاحبه يكلّم ابنه، ابنه يكلّم جاره، جاره يكلّم أباه، وهكذا.

أمّا "كيف" تتكلّم. فالأصل التكلّم بصراحة ومباشرة. في التقية، قد ترمز وتضرب الأمثال، وقد تشير إلى أصل الفكرة بدون تطبيقها في الواقع الذي يراقب الكلام فيه الرقباء الظلمة، وقد تشير إلى مثال غير المثال الواقعي لكن مَن يفهم فكرته سينتقل إلى المثال الواقعي. وقد تذكر كلاماً كثيراً مقبولاً، وتمرر داخله فكرة مهمّة يمكن أخذها كلبنة في البناء الكلّي للرسالة العامّة التي يجب عليك تبيينها. فبدلاً من ذكر الرسالة دفعة واحدة، تفرّقها وتوزّع أفكارها في مواضع متعددة. فواجب الناس في ظروف التقية

هي التدقيق في رسائل الآخرين وفهم هذا المعنى حتى لا يضيع منهم الحق. بالإضافة إلى واجب السعي لرفع الرقابة على الكلمة وإبادة الظلمة.

...

الفلسفة: اليونانيون كالطفل يحبو، المسلمون كالرجل يعدو.

...

الإسلام: أن تكون في اليقظة كما تكون في المنام.

...

العقيدة المسيحية هي الأساس الجوهري الذي يلعب عليه ويدور حوله الفلاسفة الغربيون وأصحاب التسلية واللهو. فمثلاً، ديكارت قال "أنا أفكّر إذن أنا موجود" فجعل الفكرة واسطة في إثبات الوجود، وما هذا إلا تجريد لعقيدة وساطة يسوع في الحياة والألوهية. ومثلاً، أفلام مارفل وأبطالها ما هم إلا فكرة يسوع وهو رجل واحد مميّز سيخلّص الناس من شرّ عظيم، فسوبرمان، باتمان، سبايدر مان، إلى آخره كلّها تدور حول الفكرة الأساسية ذاتها. وحتى تغيير هذه الصورة في الآونة الأخيرة إنّما تمّ بناء على سعي لإبطال هذه العقيدة لكن بطريقة تُثبت وجودها أيضاً وفيها الفكرة العامّة ذاتها لكنها مخففة بحواشي وإضافات لا تغيّر المتن.

...

عدم فعل شئ لغلبة الظالمين والظلم، كفر.

عدم قول شئ ضد الظلم والظالمين، إلحاد.

ولا يغرّنكم أحد أيها المسلمون أنّكم على شئ إن لم تعملوا بذلك.

...

يرغب بعض الناس في عودة الماضي. ألا لعنة الله عليهم وعلى الماضي معهم. فما كان حال الأمم في الماضي إلا نفحات جهنّم وسط جدران سَقَر، ونادراً نادراً نادراً ما وقعت قطرات من ماء الجنّة عليهم، فيأتي الجاهل والمحتال ويأخذ هذه القطرات ليوهم الناس أن الماضي كان فردوساً. الملوك ودولهم، والأديان وأهلها، كانت بؤساً وشؤماً خبيثاً شوّه حياة الناس أسوأ تشويه، ونادراً نادراً نادراً ما وُجد شئ يخفف من العذاب، لكن لا شئ رفع العذاب الممكن رفعه واقعياً. فكلّهم دار حول السيطرة على الناس واستعبادهم وأخذ أموالهم وتسخيرهم في حروبهم. لكنّهم اختلفوا في دركات هذه النار، ولم يخرجوا بجملتهم عن كونهم فرق من الفُجّار.

...

المشكلة ليست في اختلاف الآراء

لكنها في ثلاثة أشياء:

اولاً، كيف نعبر عن اختلافاتنا. هل نعبر بالكلام أم بالعنف؟ الأسلم التعبير بالكلام طالما انه لا يوجد عدوان من احد على احد.

ثانيا، كيف نتعامل مع أشخاص المختلفين معنا؟ الأسلم الإبقاء على العلاقة مادامت توجد حبال مشتركة تربطنا بهم.

ثالثاً، كيف نعمل بالرغم من الاختلافات؟ الأسلم التمييز بين المجالات المقتضية للعمل الموحد واختيار الرأي بناء على رأي الجمهور، ثم ترك المختلفين يعبرون عن معارضتهم لتوجه الأكثرية بالكلام؛ والمجالات المحتملة لأكثر من صورة عمل نترك كل واحد يعمل بما انتهى اليه رأيه وذوقه.

بعبارة أخرى، اذا أسسنا حياتنا الاجتماعية على حرية الكلمة دايما، والصلة الإنسانية والمصلحية ما أمكن ، واختيار الأعمال الموحدة بالتصويت الجماعي ، فلن تكون اختلافاتنا الا رحمة ونعمة قوة لنا. اما اذا كسرنا واحدة من هذه الأركان الثلاثة فبالضرورة سيكون مجرد العيش في مجتمع لعنة وقبيحة وجريمة.

وهذا اقل ما سيحدث:

اولاً، سعي كل واحد لقهر البقية. وهذا يعني انه لن يعاملهم كناس لكن كوحوش يجب السيطرة عليها.

ثانيا، النفاق والتقية العامة. اذ كل واحد سيخفي عن غير ثقاته ما في قلبه وتوجهه وأغراضه حتى لا يتعرض للاعتداء.

ثالثًا، الانجراف في مصايب عامة بسبب اخطاء وغباوات من يتفق لهم السيطرة في حقبة معينة.

بعبارة أخرى: الذي سيحدث هو تاريخنا الدموي الأليم عموماً وحاضرنا الذي لا ينتهي من مشكلة الا ويقع في طامة.

هذه أمور اخرجها من بالك لانها لن تقع ولو فعلت ما فعلت:

اولا، اتفاق آراء الناس. هذا لن يحصل ولا في اي مجال على الإطلاق.

ثانيا، سكوت الناس على القهر. ايضا لن يحصل، وإذا حصل صوريا من بعض الناس فانهم سيعبرون عن رفضهم للقهر بوسائل أخرى ستصيب القاهرين لهم بشكل او باخر، فضلا عن انضمامهم السريع لكل من يعدهم بالتخلص من القاهرين او يتمكن من إزالتهم. لا ولاء للمقهورين.

بناء على ذلك: الأسلم الإقرار بالاختلافات والتعامل معها بناء على أصول تضمن بقاء حرية الناس على مستوى القول دايما، وعلى مستوى الفعل ما أمكن، وعلى مستوى المشاركة في اختيار المسار الموحد مطلقاً.

...

الجسم فاصل والروح واصل

حين ينحصر وعيك في جسمك ستتشكل شخصيتك بناء على طبيعة الجسم. وطبيعته انه مفصول وأناني باسوا المعاني، لان حالة جسمك قد تكون جيدة بينما من حولك مرضى، قد تكون تتألم ومن حولك يضحكون، اذا أكلت انت فلا يستطيع غيرك اكل نفس ما تأكله، وهكذا الجسم يفصلك عن بقية الأجسام. ولذلك من اهم علامات الجسماني الوعي انه لا يهتم بما يشعر به غيره، وكلما ازداد انحطاطه كلما ازداد عدم اهتمامه بغيره ليس فقط غيره من الناس لكن غيره من الكائنات عموما. والسبب مفهوم. مصلحة جسمي المباشرة لا علاقة جوهرية لها بأحوال الآخرين، اللهم الا بقدر معين وهذا القدر الذي سيجعلني اهتم بغيري بقدر ما ينفعني. ومن أمثلة هذا الانحطاط، حين ترى صاحب عمل او شركة او بيت يستغل عماله ومن يتبعون له أسوا استغلال ولا يلتفت ادنى التفات لما يعانونه بسببه. الذي يسمح له بمثل ذلك كونه مفصولًا بوعيه عن الآخرين.

بينما في المقابل الوعي كلما تجرّد وصار اكثر عقلاً وروحاً، كلما اتسع ليشمل موجودات اكثر وأكبر. حتى يصل في اعلى سعة له ليقول "وما ارسلناك الا رحمة للعالمين". الروحانية لا تظهر فقط في الكلام او الشعائر او الشكليات او الرقص او المسابح الطويلة او الجوع واضطهاد الجسم. كلا. اعظم ادلة الروحانية هو ان تستطيع الشعور بغيرك كما تشعر بنفسك، وتتعامل معه على هذا الأساس الحي والحيوي.

نعم، نادرا ما يوجد إنسان لا يشعر بغيره مطلقاً، لكن المشهور هو اهتمام الانسان بأقاربه فقط، فمثلا قد يهتم بأولاده ويضعهم حتى فوق نفسه. السر ان كل إنسان فيه قدر من الروحانية. لكن هذا القدر البسيط ليس هو المقصود بالروحانية المهمة. المقصود الشعور باشخاص لا تربطك بهم قرابة جسمانية، ولا مصلحة مباشرة مادية.
اهم عواقب انحصار الوعي في الجسم ثلاثة: الأولى الضيق. ستشعر بضيق وغم رهيب في قلبك يتناسب مع انحصار وعيك، ولن تستطيع التخلص منه ولا بكل أدوية ومخدرات الكون. الثانية انعدام الحجة، يعني لن يصير عندك حجة عادلة لتطلب من غيرك الاهتمام بك حتى لو كان ولدك، فسيفعل بك كما فعلت انت بغيرك وبنفس المنطق العام. الثالثة جهنم، فكما ان من حولك كانوا يحترقون وانت لا تبالي بل لعلك انت كنت ممن يصب الوقود على نيرانهم، فكذلك ستكون عاقبتك مثل عملك محروق متروك.
الحاصل: لا يغرك احد بان الروحانية هي ألفاظ لطيفة او حضور جلسة تامل عند نصاب محترف، الروحانية تتمثل في تجاوز اهتمامك حدود شخصك.
...
عامل افكارك كما تعامل طعامك ونقودك
افترض انك دخلت مطعم. حضر الطعام، وفجأة اخبرك شخص بانه رأى حشرات في المطبخ وهو بصدد تبليغ الرقابة عن هذا التقصير الصحي. ماذا ستفعل مع المخبر؟ نعم قد عكر عليك الوجبة؛ نعم قد تسبب بخسارة مالية؛ نعم جعلك تتقزز من الطعام وجعلك تشعر بالغضب من الطباخ؛ لكن هل كنت تفضل لو سكت وتركك وانت غافل تأكل طعامًا مشت عليه الحشرات ولعلها باضت فيه؟
افترض انك حصلت على ذهب، هل كل معدن لونه اصفر ستشتريه وتدفع فيه ثمناً غالياً، أم انك ستنقد المعدن وتتأكد منه اولاً خصوصا اذا عرفت بوجود مزورين كثر في السوق؟
بالنسبة للتعاطي مع الامور المادية، معظمنا او كلنا نحب ونشكر الذي يخبرنا بالخلل المحتمل في الشيء الذي سنشتريه وندخله في أجسامنا. لكن العكس تمامًا هو المشهور في أمور الفكر والأخلاق والاختيارات المهمة في الحياة. في هذه الامور المعنوية اكثر الناس يفضلون الركود والتعامي والتغافل حتى عن الخلل الظاهر والقوي والذي يصفعهم على وجوههم من وضوحه كل يوم. وهذا امر عجيب فعلاً. ويحتاج الى تأمل طويل عريض عميق.
في حال انك كنت ممن يهتم بطعام نفسيته مثل او اكثر من طعام بدنه، او كنت ممن يهتم بنقود عقله مثل او اكثر من نقود يده، فمعرفتك بانك مُتحيّز بطبعك سيودي بك الى دوام البحث عن مَن يكشف لك عن زوايا وقضايا لم تلتفت اليها او حتى رفضتها. ولا تستطيع الاعتماد على ذهنك فقط لان ذهنك هو سبب المشكلة من الأساس. لا تستطيع جبر اليد المكسورة بنفس عظمة اليد ولكنك بحاجة الى مساعد وجبيرة منفصلة عنك لتتصل بك. وهذا دور المجتمع. فالناس من حولك، المفترض ان يكونوا ايضا وسائل مساعدة للتنبه لأخطاء وتحيزات الذهن والعاطفة.
حين يعرف الناس انك محب وطالب لتوسيع أفق نظرك وتعديل فكرك ومسارات حياتك، ستجدهم يحبون مساعدتك عادة، وستستفيد منهم وتفيدهم ايضا. لكن حين يعرف الناس عن شخص بانه متكبر بغيض فظ، فانهم حتى لو رأوه يسير باتجاه الهاوية سيسكتون بل قد يشجعونه للتخلص منه ويصرخون له "الى الأمام سرِ أيها العبقري العظيم!" وهذا بالضبط هو المسار الذي اخترته لنفسي. حين اجد شخصاً محباً منصتاً، أعطيه كل ما عندي. وإذا وجدته متكبرا متعجرفا لا يهمني في اي وادي يهلك. مشاغل

الدنيا كثيرة، ومطالب الآخرة كبيرة، فلا وقت لإضاعته مع أشخاص يعتبرون اذهانهم الضعيفة تفهم كل شيء، وميولهم السخيفة مركز كل شيء.
انقد فكرك وكلامك وسلوكك بنفسك، وابحث عن من يساعدك، وافتح أذنك لمن يفيدك، وقد لا يفيدك الواحد اليوم فيفيدك غداً فلا تغلق بابك لاحد، فالوحيد الذي لا يحتاج لاحد هو الأحد الصمد.

...

تصورك لكيفية صنع الكون ستحدد كيفية صنعك انت

اذا نظرنا في تصورات الناس عن كيف ظهر هذا الكون سنلاحظ شيئًا مهما وعجيباً، وهو ان كل أمة وحضارة نظرت لنفسها بنفس العين التي نظرت بها للكون. مثلاً، في النظرة الغربية الحداثية، الكون غير معلوم المنشأ، او نتج عن "انفجار" (انفجار يعني فجاة، فوضى). وبالنتيجة، صارت النظرة للإنسان ايضا اما الجهل بأصله وإما اعتبار اموره مبنية على انفجارات او "ابداعات" او أمور فوضوية مبنية على الأهواء غير المفسرة، وهلم جراً. الانسان ينظر لنفسه بعين الكون، وينظر للكون بعين نفسه.
ومن هنا نفهم لماذا تذكر الكتب الالهية كيفية خلق الكون. السبب ليس ان تعرف عن الكون تحديدًا ولكن ان تعرف كيف تخلق نفسك حتى تكون مرآة تعكس نظام الكون. فالكون يُعتَبر نموذجاً تامًا صنعته القدرة الالهية، لكن الانسان لا يزال طور الإنشاء والتكوين. فكل ما في الكون له نظير موازي في الانسان، ومن هنا أهمية دراسة وتأمل الكون.
لاحظ مثلا اصل التكوين في قوله "إنما أمره اذا أراد شيئًا ان يقول له كن فيكون". فالبداية هي حضور كل شيء ممكن عند الله ، ثم أراد الله شيئًا منها وقال كلمة تعبر عن ارادته. فهنا نجد أهمية حرية الاختيار واهمية الكلام في ان واحد. فالخالق اختار عالَماً ممكناً من بين ممكنات كثيرة لانهائية، كذلك انت لابد ان تختار ماذا تريد ان تكون وكيف تريد ان تحيا، واختيارك لابد من ان ينبع من إرادتك انت لا غير. هذا اولاً. وثانيًا، أهمية الكلمة، فكما ان الخالق بالكلمة صنع، كذلك الانسان بالكلمة يصنع عوالمه الباطنية ويتواصل ويرتب اموره الظاهرية، وإذا نظرنا في اي حضارة إنسانية راقية قديمة وحديثة سنجد انها تعتمد على الكلمة اعتمادًا عظيمًا في صناعة حياتها، لكن في التجمعات الهمجية مثلا سنجد الكلمة هامشية في حياتهم وليست مركزية. فالنظرة القرءانية لصناعة الاكوان مبنية على أمرين: الاختيار والكلام. وعليهما قام نظام الكون الموصوف بانه "صنع الله الذي اتقن كل شيء". وعلى هذا النمط، تامل بجدية في تصورات الناس للطبيعة، فانها الإطار الذي لن يخرجوا منه في تصورهم لأنفسهم وغيرهم، وهي ايضا الإطار الذي ستنمو في حدوده حياتهم وحضارتهم.
بعبارة أخرى: علم العقيدة والفلسفة يتضمنا علم النفس وعلم الاجتماع.

...

الجمع بين العيش والعلم

اذا نظرنا في جذور الكثير من بلاوي الحياة، سنجدها ترجع الى واحدة من حالتين:
الأولى، تركيز الناس على المهن وكسب المعيشة والحركة الظاهرية فقط. هذا التركيز يسبب تبلد المشاعر، ضيق الأفق، موت الخيال، واهم شيء انه يقتل الفكر والثقافة. وبذلك كله تموت كرامة الانسان، ومن بعد موت الكرامة تستطيع تخيل ماذا سيحدث من البلاء.
الحالة الثانية، وجود أناس يكسبون عيشهم من الكلام فقط، سواء كان كلامًا فكريا وفلسفيا او إيمانياً دينياً. في هذه الحالة، لن يكون الفكر في سبيل اكتشاف الصواب والانفع للناس، ولن يكون الإيمان موضوعه الحق والصدق، بل ستصبح القضية منافسة بين المذاهب والطوائف والمدارس المختلفة. وسيتم

اختراع خلافات لا داعي لها فقط من اجل إثبات تميز الواحد عن الآخرين حتى يأتيه جمهور اكثر ليكسب منه ؛سيتم تطويل المسائل والقضايا بشكل غير مبرر، حتى يثبت كل واحد انه اعلم وافقه من صاحبه؛ سيتم تشجيع الفوضى والعنف بين الحين والآخر بين الاتباع حتى يثبت كل فريق انه أقوى من غيره؛ الى اخر القائمة السوداء.
فكيف نبتعد عن الحالتين القبيحتين ، حالة الانغماس الحصري في أمور المعيشة التي تمحو عقل وكرامة الناس، وحالة كسب الأموال بواسطة أمور غرضها الحقيقي هو معرفة الأحسن والانفع والأصوب وليس كسب المال ؟
الطريق الوحيد هو أسلوب جديد في الحياة.
أسلوب يقوم على جمع كل فرد بين طلب المعيشة وطلب المعرفة. كل فرد قدر الإمكان.
وعلى أساس هذا الجمع تدور أفلاك المجتمع وأغراضه.
فمثلاً، قد يكون النهار مخصصاً لطلب المعيشة في بعض أيام الأسبوع، ولياليها لطلب المعرفة. وفي نهاية الأسبوع يكون التركيز الأكبر لأمور المعرفة. مع وجود الراحة والتسلية خلال ذلك كله طبعًا او تتخلل هذه تلك مثل الأدب والمسرح والأفلام وما اشبه.
مثلاً، قد يتم السعي في تقليل ساعات العمل المعاشي وظروفه بحيث تسمح براحة اكثر للناس ليتفرغوا لطلب المعرفة ببال أصفى وحال أنقى.
وغير ذلك من الامور المساعدة لهذا الأسلوب في الحياة المشجع على نمو الحدس الفكري والحس الفني.
...
السينما...كمعيار للإنسانية
لا تفهمني غلط، لا اقصد تحديدًا الأفلام المعروضة في السينما ولكن اقصد كيفية تصرف الناس اثناء مشاهدة الأفلام في السينما. فهذا التصرف يكشف عن مدى إنسانيتهم. ماذا اقصد بذلك؟
مثلا، حين تجلس وتنغمس في مشاهدة فيلم، وحلاوة الأفلام في الانغماس فيها والإحساس بانك عايش داخل الفيلم، ثم فجاة تجد من حولك يتكلمون مع بعضهم كانهم يجلسون في بيوتهم ويتناقشون في موضوع الفيلم ويعلقون عليه وكانهم معلق رياضي يدردش عن المباراة، وتتمنى ان ترمي علبة الفشار على رأسهم، في هذه الحالة انا اعتبر هؤلاء يفقدون شيئًا من معنى الإنسانية، الناضجة. لان النضج هو ان تشعر بغيرك، ان تراعي من حولك، ان لا تعتبر نفسك الوحيد في الوجود. ومقدار تمتعك بهذا الحس الإنساني ينكشف في مجالات متعددة من ابرزها السينما، حيث يجتمع جمهور من الناس لا تعرفهم ولا اتصال لك بهم، فهنا يأتي الامتحان: هل ستراعي راحتهم ومتعتهم في المشاهدة، أم ستفتح فمك المزعج وتمطرهم بشلالات من تعليقاتك السخيفة التي ستجعلهم يغضبون ويخرجون عن طورهم لا لشيء الا لانك لم تتعلم أدب السينما وهو ان تخرس ولا يصدر منك الا الانفعالات العادية للفيلم مثل الضحك في المواقف المضحكة والبكاء في المواقف المحزنة والفزع في المواقف المرعبة، وما اشبه؟
السينما تجربة عاطفية ، اي إبراز مشاعرك وانفعالاتك العاطفية فقط. وليست تجربة فكرية نقدية وحوارية. نعم بعد ان تخرج من السينما تبدا التجربة الفكرية والنقدية في المجتمعات ذات الحياة الفنية النقدية. وذلك بالتفكير في الفيلم ودلالاته والتعليق على قيمته وفكرته والاداء وما اشبه.
الإنسانية تتمثل في الفكر والشعور. اما الخيال فلا داعي له هنا لان الفيلم نفسه خيال متجسد أمامك. وليس حسيًا ايضا الا بقدر صوره وأصواته. لكن أساس السينما في المشاعر التي تثيرها فيك والأفكار التي تدعوك اليها او تجعلك تنظر فيها.

فالمشاعر لداخل الفيلم. والأفكار خارجه. بعبارة أخرى: اسكت داخله وتكلم خارجه. وهذا جانب اخر من النضج الذي تكشفه السينما في الناس، حين تحسن وضع الأمور في نصابها ومواضعها المناسبة لها.
الزبدة : قل لي كيف تتصرف في السينما...اقل لك مَن أنت !

...
(هذا إعلان نشرته مجّاناً عن "كتاب الحكمة العربية" للدكتور محمد الشيخ)
اشتريت هذا الكتاب من مكتبة جرير اليوم
واطلعت عليه بالقدر الذي شعرت بالاضطرار-ولأول مرة في حياتي-الى اخبار من يحب شراء كتاب عظيم عنه. كتاب كتبه شخص يعيش في عصرنا، ولا اعرف عنه اكثر من اسمه على الغلاف. مع أنه باستثناء الدكتور علي الوردي، لم يسبق لي حب قراءة كتاب شخص عربي يحمل لقب دكتور.
الكتاب فيه فكر ولغة، فيه مصالحة بين التراث والمعاصرة، فيه عقل وعاطفة.
ولو كنت املك القدرة، لاهديت هذا الكتاب لكل عارف بالعربية من أهل المشرق والمغرب. بل لسعيت في ترجمته لكل لغة اجد فيها عارفًا بالعربية يقدر على ترجمته.
باختصار: اذا كان يوجد دواء يوقظ ما في العرب من الباب، فهو هذا الكتاب.

...
انت سمكة قديمة في بحر قديم
متى وكيف بدا وجودك ؟ هذا السؤال سيحدد اطار نظرتك لنفسك وكثير من افكارك وقيمك وأعمالك. وستختلف فلسفات ومذاهب الناس بحسب اختلاف إجاباتهم على هذا السؤال. مع العلم انه لا يمكن الهروب من هذا السؤال، فأنت لابد تعيش في إطار جواب ما سواء كنت انت الذي اكتشفت او اخترعت هذا الجواب او اخترعه لك غيرك وانت قلدته لاشعورياً او شعورياً. فالأفضل ان تتأمله بجدية ووحدك ولا تعيش في بيت فكري صنعه لك مهندس غيرك. نعم استمع للآخرين واقرا نتاج مكاشفاتهم وتأملاتهم وتحليلاتهم ونظرياتهم، لكن في نهاية المطاف عليك ان تقرر لنفسك. ومن أفضل الطرق لكسر قيود التقليد هي ان تطالع مختلف الأقوال في الموضوع بادلتها، وتكثر من ذلك، وهذا في اي موضوع على الإطلاق، واقرا نقد بعض الناس لبعض حتى تضطر الى النظر بعين فاحصة ولا تعتمد على رأي واحد سمعته فقط وتأخذه من باب العادة او الثقة الطفولية. الاطلاع على مختلف الآراء يحررك من جميع الآراء.
في هذا السياق سأذكر ما فهمته من القرءان عن ذلك السؤال. حتى يكون احد الأقوال التي يمكن البدء منها، مع العلم انه اوسع الأقوال في الموضوع حسب اطلاعي المحدود. ...
في اية قال "سبَّحَ لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم". وفي اية أخرى قال "يُسَبِّحُ لله ما في السموات وما في الارض". الفرق بين سبح ويسبح هو الفرق بين حالة الأشياء قبل خلقها وبعده. كما ان "كان الله غفورا" لا تعني "كان" الزمنية المحدودة بل تعني كان الأزلية المطلقة اي هو دايماً هكذا.
قبل خلق الأشياء كان لها وجود في العلم الإلهي، "هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. هو الذي خلق السموات والأرض". إذن "كل شيء" كان في الهوية الالهية وعين الاسماء الحسنى قبل الخلق. فهي موجودة بوجود الله لانها في بحر علمه اللامتناهي.
اذن، متى بدا وجودك؟ الجواب: لا بداية لوجودك. انت دايم الوجود من حيث حقيقتك.
و، كيف بدا وجودك؟ الجواب: بذات العلم الإلهي الأزلي المطلق.

بعبارة أخرى: انت سمكة كانت تسبح في بحر الذات الالهية منذ الأزل، ثم وقع عليها نور "كن فيكون" فصارت لك صورة مخلوقة في بُحيرة عوالم الخلق وهي مثل الظل لحقيقتك الأصلية في العلم الإلهي، ثم سياتي وقت ويقبض الله هذا الظل اليه وترجع لما كنت فيه "انا لله وإنا اليه راجعون".

وحقيقة تسبيحك هي نفس وجودك. فالتسبيح معناه التنزيه عن التقيد، اي صفاتي الكمالية مثل الحياة والقدرة والعلم وبقية الصفات المتجلية في ذاتي محدودة لكن الله غير محدود، بل هو عزيز لا يمكن لذات ان تصل الى كماله اللانهائي، وحكيم يضع في كل محدود ما يناسبه من التجلي بحسب استعداده واستيعابه الذاتي حسب مرتبته الخاصة. فحقيقتك الأزلية لا تتغير، لا يمكن اضافة شيء لها ولا سلب شيء عنها. انت سمكة قديمة ثابتة، في بحر لا اول له ولا اخر.

قالت: ترجع لما كنت فيه، يعني لا يوجد جنه او نار

قلت: "يبدا الخلق ثم يعيده" يعني نرجع ثم نبعث من جديد في عالم اخر ان شاء الله. حيث الجنة والنار. بالمناسبة: الجنة والنار غير محصورة بما بعد الموت. بل لهما مظاهر في باطن الانسان وظاهره هنا والآن.

قالت أخرى: طيب يعني هذه آخر حياة لنا و بعدها حنروح للعالم الثاني اللي في الجنة و النار للأبد؟

قلت: نعم، حسب ما يظهر من القرءان.

فقالت: طيب اللي سبقونا و ماتوا وين راحوا الين تنتهي الحياة؟ و يوم القيامة ايش حقيقته؟

فقلت: راحوا عالَم ثاني. مثل ما الطفل يخرج من عالَم بطن أمّه إلى هذا العالَم، نفس الشئ الجسم هو الأمّ والنفس هي الجنين والموت هو ولادة جديدة في عالَم آخر أوسع من هذا. أمّا يوم القيامة، فحقيقته نعرفها لمّا نصير هناك إن شاء الله. أمّا مظهر حقيقته في هذا العالَم، فالقيامة هي قيامة العقل من موته إلى استنارته، ومن الغفلة عن الله إلى ذكره وشهود وحدته.

...

ذُقتُ ذَرّة من شئ يشبه الظُّلم، فشعرت برغبة جامحة في نزول الدمار على المتسبب بذلك. فماذا عن الظلم نفسه، وماذا عن الظلم العظيم ! اللهم لا تجعلني مظلوماً ولا ظالماً ولا شبه مظلوم ولا شبه ظالم.

...

تعلّمت من أبي ثلاث كلمات، في ثلاثين سنة، هي مراجع كل ما حصّلته إلى اليوم من المعرفة :

الأولى، رأيته يقرأ في كتاب فيه أسماء الله الحسنى وقال لي "حين أدعو على شخص بهذه الأسماء فإنّي أراهم أمامي" يقصد يهلكون.

الثانية، سألته مرّة "لماذا حرر آل فلون العبيد؟" فأجابني على البديهة وهو ذاهب إلى الحمّام "حتى يستعبدوا الناس كلّهم".

الثالثة، الليلة، شكوت له شيئاً حصل لي في الوظيفة من مدير فوقي، فشرح لي سبب ذلك وهو أن هذا المدير فوقه شخص يركبه، وهذا الشخص فوقه آخر يركبه، وحتى رئيس مجلس الإدارة مركوب، وكل واحد ينركب من الذي فوقه ويركب الذي تحته، واللفظة التي استعملها هي "يخيّطه" وهي لفظة عامّية بمعنى النيك. ثم قال لي بالانجليزية الزبدة "Life is a fucking thing". أي "الحياة نيك" أو "الحياة نايك ومنيوك".

وفوائد هذه الثلاثة كالتالي:

الأولى، ليكن الدعاء بيقين وحضور تام، في الله وفي الدعاء وفي مضمون الدعاء. هكذا يُستجاب الدعاء. والدعاء مخّ العبادة وجوهرها ونهاية العلاقة بين العبد والرب إذ يبقى العبد عبداً والربّ ربّاً في نهاية المطاف. فليس بأيدينا في المحصّلة النهائية غير الدعاء.

الثانية، لا تثق بالسياسيين الذين قام أمرهم على العنف والخداع. كل ما يفعلونه من خير يوجد خلفه شرّ، وليس بإمكانهم إلا أن يقصدوا الشرّ. فابحث عن هذا المقصد الحقيقي لأعمالهم، وهو شرّ دائماً، ولا تنخدع بمظاهر الحسن والجمال والخير والمصلحة العامّة والإنسانية وما أشبه.

الثالثة، لا خلاص من صراع الدنيا إلا بمغادرة الدنيا. فلا تحبط نفسك بآمال تطهير الدنيا من نجاستها، وتنظيفها من أسباب الصراع فيها. فحتّى لو اعتزلت البشر، ستقرصك العقارب وتلدغك الحيّات ويزعجك الذباب ثم يأكل جسمك الديدان أو تصيبك باطن جسمك الفيروسات المختلفة والميكروبات المتعددة. فليكن همّك لما وراء الدنيا، وفي الدنيا ليكن همّك تخفيف الصراع أو الفوز فيه "وانصرنا على القوم الكافرين".

كما ترى، جمعت هذه الكلمات زبدة الإلهيات والأخرويات والدنيويات. فما أعظمها من كلمات.

...

النظر في وجه الوهابي والملحد ذنب، كفّارته غسل العين سبع مرّات بالماء ومرّة بالتراب.

...

الإنسان يحبّ الأخذ ويصعب عليه العطاء. ولذلك كان العطاء جهاداً نفسياً كبيراً، "ومَن يوقَ شُحّ نفسه فأولئك هم المفلحون". والسرّ في هذا الحبّ هو حقيقة الفقر الذاتي للكائنات كلّها، "يأيها الناس أنتم الفقرآء إلى الله والله هو الغني الحميد". فلأن الفقر عدم، والعدم لاحدّ له، والأخذ وجود وزيادة وجود على عدم مسبق، فحيث أن العدم لا حدّ له، فالنفس تحبّ الأخذ أخذاً لا حدّ له. ولذلك النفس لا تميل إلى العطاء إلا في الحالة التي تضمن فيها عدم الخسارة، حتى لو كان ضماناً وهمياً، لكن المهم أن تصدّق بذلك. ولذلك، في أي محاولة لإقناع إنسان بالعطاء، لابد من اعتقاده بأنه سيأخذ شيئاً في المقابل، حتى لو كان المأخوذ عنده من قبل أو كان من نوع مختلف عن الشئ الذي أعطاء كأن يكون العطاء مادّياً والمأخوذ نفسانياً (الشعور بالرضا مثلاً)، أو كان العطاء اليوم والأخذ غداً (كالإيمان باليوم الآخر)، أو الاعتقاد بأن العطاء لا يُنقص مال في المحصّلة كأن تعتقد بأن بلاءً ما سيكلفك أموالاً كثيرة يمكن دفعه بإعطاء أموال قليلة قبل حدوث البلاء فعليّاً، أو غير ذلك من أنواع الأخذ الكثيرة. المهمّ، النفس لا تجود بالعطاء بدون الأخذ. هذه حقيقة كلّية.

...

الانفعال لشقاء المعاش، استغلال واستقلال،

لأن أعمال المعاش تحتاج إلى تركيز على الخارج، والمادّي، والتكرار، والخطر، والتعب، وكل ذلك يُرهق النفس، ولأن النتيجة النهائية هي التعاسة، إذ الكسب يُرهق، والإرهاق يُفسد الأذواق، وفساد الأذواق يطمس جمال الحياة، وحياة قبيحة لا تستحق أن تُعاش، فالنتيجة الضرورية هي أن كسب المعاش بالذات يؤدي إلى بغض الحياة في العادة، من أجل هذه السلسلة، قرر الذين وعوا هذه الحقيقة أن يقوموا بواحد من ثلاث مواقف، الأخير منها حديث جداً ويبدو أنه لن يثمر.

الموقف الأوّل، استعباد الناس. أي علينا استعمال العنف لقهر الآخرين بالسلاح والخوف لكي يعملوا من أجلنا. وهذا هو الموقف الشائع قديماً وحديثاً. ومدار أديان وفلسفات الناس، إذا تأملتها، يدور في هذا الفلك ومن أجل هذا الغرض بشكل عام والاستثناءات قليلة جداً لا تكاد تُرى أو تُذكَر. ويكفي النظر

في موقف هؤلاء من "عامّة الناس" لكي تعرف الشئ الذي يصوّبون نحوه سهام فكرهم. تصوير العامّة كبهائم أو شياطين أو كفّار، يبرر استعبادهم وتسخيرهم. وإن كان الشائع عدم استعمال التصوّرات الذهنية والعاطفية لإرغام الناس على العمل، فالأصل هو السلاح، والعقائد تأتي كدعامة لاحقة أو لبعث الجنود على القتال أو عدم الانفعال عند أخذ الضرائب ونهب الأموال. فهذا موقف.

الموقف الثاني، الزهد. وهو موقف الذين يرضون من الأمور المادّية بأقلّ القليل، يعيشون في بيوت طين أوم خيام بسيطة، ويجوعون أكثر مما يشبعون وإذا أكلوا فلقيمات تُقيم الصلب، وما أشبه من صور التقلل من الحاجات المادّية حتى أن بعضهم سكن الكهوف اختياراً وهام على وجهه في الأرض يأكل مما يجده متوفّراً بغير تدبير منه. هذا موقف نادر، وهو موقف المسالمين من الواعين. لأنهم عرفوا بأن مقدار الحرية الشخصية يتناسب طرداً وعكساً مع مقدار الحاجات المادّية. كلّما زادت حاجاتك كلّما قلَّت حريّتك. كلّما قلّت حاجاتك كلّما ازدادت حريّتك. وبما أن هؤلاء لا يريدون أذية الخلق ولا تستريح نفوسهم إلى استعباد إخوانهم في الإنسانية، فقد رضوا بإجهاد أنفسهم بدلاً من استغلال غيرهم، وقنعوا بالضروري الذي يقيهم الضرّ غالباً، وعمروا حياتهم بأعمال الذكر والفكر والتأمل، واستشعروا الموت كلّ يوم فهان عليهم الأمر.

الموقف الثالث، التقنية. أي استعمال الطاقات الفكرية والاختراع من أجل إنشاء اقتصاد جديد يقوم على الوفرة لا الندرة. وحيث تحلّ الآلات محلّ الإنسان في الأعمال المزعجة لطبيعة النفس الإنسانية، أي الأعمال المادّية التكرارية والرياضية. وفعلاً، يوجد ما يكفي من هذه الآلات لإنشاء اقتصاد وفرة يُغني عن الاستعباد وعن الزهد في آن واحد. لكن المشكلة الكبرى تكمن في الرأسماليين وأعوانهم، أو الديكتاتوريين من كل لون وشكل. فهؤلاء لا يريدون من عموم الناس التمتع بهذه الثمرة. فبدلاً من إنشاء نظام توزيع ثمار الاقتصاد على الناس بنحو عادل وإنساني، قاموا باختراع النقود وجعلها وسيط مطلق في تحصيل المنتجات، والنقود طبعاً بأيديهم هم، فصار لزاماً اختراع وظائف لا قيمة لها، أو وظائف الأسلم عدم وجودها، أو وظائف يمكن الاستغناء عنها، كل ذلك حتى يُبقوا على سلطتهم على الاقتصاد بواسطة التحكّم في النقود وكيفية تنظيم الناس للانتاج والتوزيع. وحتّى إذا لم ننسب الأمر إلى عمل رأسمالي وديكتاتوري، فإن الواقع المشهود للجميع أنه يوجد خلل خطير في الحياة. كيف يُعقَل أن توجد كل هذه الآلات وكل هذه المنتجات، ومع ذلك يشقى الناس اليوم مثل بل أكثر مما كان يشقى الناس قبلهم في سبيل كسب المعاش، ويوجد من الفقراء اليوم عدد كبير جدّاً بالرغم من وجود منتجات يتم رميها في البحر أو إحراقها "محافظة على سعر السلعة". الحياة صارت أسهل من ناحية، وأصعب من ناحية. بل إن دخول الآلات في الاقتصاد، مع عدم السعي المنظّم والواعي لإخراج الناس من سوق العمل حتى أن هذا الإخراج صار له اسم خبيث عندهم وهو "بطالة" فبدلاً من أن تكون المشكلة هي الكسب صار عدم الكسب هو المشكلة (فتأمل)، أقول إن دخول الآلات وعدم خروج الإنسان أدّى إلى شقاء من نوع جديد وهو شقاء الأذهان. لماذا؟ لأن مجتمع ما قبل الآلة، كان يجهد بدنياً أكثر من ذهنياً، لأنه يقوم على الزراعة والصناعة اليدوية البسيطة. فأذهانهم كانت إلى حدّ كبير متحررة من عملية الكسب. لكن حين دخلت الآلات، وألغت كثير من الأعمال البدنية، بقي العمل الذهني كعامل حاسم في الانتاج والخدمة والذي يبرر وجود "الوظيفة" واستحقاقك لها. ومن هنا تجد انفجار الشهادات و الشهادات "العالية". فبينما كان في الماضي الذي عنده شهادة ثانوية متعلّم، وبكلوريوس خبير، صار اليوم صاحب الدكتوراة يُنظَر إليه كلا شئ أو في حكم اللاشئ في كثير من الأحيان والبلدان. ونشأت

أيضاً أمراض ذهنية غريبة وكثيرة. ونشأت أمور كثيرة راجعة-إذا حللتها-إلى إرهاق الذهن في الاقتصاد الحديث، بدلاً من إرهاق البدن في الاقتصاد القديم. وإذا كان إرهاق البدن يُنفّر من الحياة، فإرهاق الذهن يُشيطين الحياة والإنسان وكل شئ. ولذلك من علامات العيش تحت ظلّ الاقتصاد الحديث هو "فقدان المعنى" و أمور وردود فعل كثيرة جدّاً لمن تأملها ترجع إلى هذا العامل الحاسم، ضمن عوامل أخرى طبعاً.

الذي تحتاجه الإنسانية اليوم هو موقف رابع. يأخذ أحسن ما في التقنية، مع شئ جديد وهو..."الإنسانية" !

...

التحقيق ثم التزويق.

لنأخذ مثالاً : شخص قرأ وفكّر ونظر واعتبر في حال المسلمين، من أوّل نشأتهم في غار حراء إلى يومنا هذا. وتوصّل في النتيجة إلى أن الإسلام أفكاره جهل، وأعماله شرّ، في نهاية التحليل والوزن. فحكم على الأمر كلّه بالسوء بحكم غلبة السوء للحسن، مع الإقرار بوجود حسن لكنّه قليل مغمور بالنسبة للقبح الكثير المنشور. إلى هنا، عملية البحث والتفكير تُسمّى "تحقيق". أي يريد معرفة الحق في الأمر.

الآن، حين يرغب في التعبير عن ما توصّل إليه، كيف سيعبّر؟ قد يعبّر بنثر مكسّر، أو كلام طويل جدّاً يرهق ويملّ عموم الناس. هذا التعبير السئ لا يدلّ على بطلان الأفكار المعبّر عنها. وهنا تأتي مرحلة ما يسمّونه "التزويق". أي اختيار عبارات واضحة، متناسقة، موسيقية، قدر الإمكان مختصرة بغير إبهام وإخلال بالمعنى وسهولة الوصول إليه. فمثلاً، بالنسبة للكافر الذي ضربنا به المثل، قد يكتب كتاباً بغير تزويق، طويل جدّاً فيه مراجع ومصادر، وضخم يصلح لرياضة حمل الأثقال. لكنه بهذه الطريقة لن يصل إلا إلى فئة قليلة جدّاً من الناس، مع كونها أعقل الفئات، وحتّى هذه الفئة قد لا يبقى في ذهنها بعد قراءته إلا القليل من المعلومات والآثار العاطفية المحرّكة للنفس باتّجاه جديد، ومع الوقت قد ينسونه بالكلّية. ولكن، قد يختار الكافر عبارة جامعة سهلة، يحفظها الكلّ لتناسقها وفكاهتها، وتلخّص مع ذلك كل ما توصّل إليه في بحثه الطويل المضني. على سبيل المثال، قد يقول:

هل خرج من غار حراء ، إلا الهُراء والخراء.

بهذه الصورة، أشكّ أنه يوجد جاهل أو عالِم، إلّا وسيفهم ثمرة بحث هذا الشخص، وسيتأثر بدرجة أو بأخرى به، ولو على مستوى لاشعوري. لأن صيغة السؤال "هل" لا تفرض المضمون على السامع، بل تعطيه حرية تشكيل رأيه، وهذا العطاء يريح العقل ويجعله يميل باتجاه مَن أعطاه هذه الحرية، فحتى إن لم يقبل النتيجة سيجد ميلاً للتفكير باتجاه يسير نحو النتيجة أو يفتح له هذا الأفق على أقلّ تقدير. ثم الرمز في "غار حراء" بدلاً من التصريح باسم النبي أو القرآن أو الإسلام أو التاريخ الإسلامي وما أشبه، هو بحدّ ذاته وسيلة أخرى تشويق العقل وجعله ينظر بعمق في الشئ، لأنه سيحدس المعنى بنفسه وهذا الحدس سيجعله يشعر بأن المعنى من صنعه هو، مما يجعل له قبولاً أكبر في النفس. ثم الوضوح الشديد في "إلّا الهراء والخراء" مع التناسب الموسيقي بين لفظة "حراء" و "هراء" و "خراء" خصوصاً "خراء" التي تفرق عنها بنقطة واحدة، وكذلك استعمال لفظة عامّية سافلة مثل "خراء" لا يعتاد الناس سماعها من المفكّرين والناس عموماً في العلن، كل هذا سيكتب للكلمة تأثيراً قويّاً في النفس ولن ينساها سامعها أو قارئها. ولأن الكلام عن أفكار وأعمال، أي عقائد وشرائع الإسلام، فإن الثنائية "الهراء والخراء" تعكس هذا المعنى، بحيث يكون "الهراء" عبارة عن العقائد، و "الخراء" عبارة عن الأعمال والثمار السلوكية لتلك العقائد والعواطف.

الذي أردناه بهذا المثل، هو التركيز على التحقيق قبل التزويق. مع العلم، أن أكثر الناس يرتاح إلى التزويق ولا يبالي كثيراً بالتحقيق، ويريد عبارات مؤثرة ولا يبالي بقوّة معانيها وصدق أفكارها، كما يفعل أصحاب التسويق التجاري المعاصر، لأن غرض هؤلاء هو مجرّد بيع البضاعة ولا يبالون بأي كذب يرتكبونه في الطريق، ولولا القيود القانونية عليهم لكان كذبهم أشنع مما هو عليه الآن (مع كوننا لا نقرّ تلك القيود على التعبير).

فاشتغل سبعين مرّة على التحقيق، ومرّة على التزويق. بهذا يكون تعبيرك قويّاً كما أن تفكيرك صادقاً.

...

الوهابي ملعون ، دنيا وآخرة.

الوهابي مخلوق شبه عديم الحس والبركة. حدسه كاذب، تفكيره سطحي سخيف ساذج، حتى لو كان في أمر من أمور الدنيا والمعاش، فهو عادة عديم التوفيق والتدقيق والسداد.

قبل أيام قابلت شخصاً من هؤلاء الملاعين. وهو محامي المفترض أنه قديم في مهنته. كنت أرغب في رؤية اختياراتي في مجال المحاماة في حال أردت تغيير وظيفتي الحالية في البنك، ونظرت عشوائياً إلى لوحة مكتب محاماة واتصلت به فأعطاني موعداً في اليوم التالي. دخلت إلى عمارة ومكتب له غمّ أظنّه مقتبس من هندسة جهنّم. تحمّلت وجلست. فجاءني صباب القهوة وهو لابس لبس حارس عمارة رخيصه وبرجله "زنوبة" أبو ريال، وصبّ لي شيئاً لم أستطع حمل نفسي على تذوّقه حتى فوضعته جانبي. إضاءة المكتب بيضاء تشبه الحمامات العمومية الوسخة. على أية حال، دخل حضرة المحامي، فقرأت الوهابية على وجهه ومنظره فوراً. فسألني عن أعمالي السابقة، فأخبرته-وهنا محلّ الشاهد الرئيس في هذه القصّة-فأخبرته بأني تنقلت بين منصب مدير إدارة قانونية في شركة لوجستية خاصّة (أوّل وظيفة لي)، ثم باحث قانوني في الخطوط السعودية، ثم إمارة منطقة مكّة، ثم الآن البنك. وفوراً-وهنا السطحية والسذاجة والتسرّع الغبي-قال لي "مصاب بعدم الاستقرار أنت !" وبما أني كنت قد قررت من البدء أني لن أعمل لديه حتى لو عرض علي كل شئ، أجبته بأي جواب وخرجت، وأثناء خروجي نفضت وسخ المكان من جسمي، وبصقت ونفضت غبار حذائي، ورجعت إلى البيت فألقيت كل ملابسي للغسيل فوراً واستحممت بقوّة، مع كوني ذهبت إلى المسجد قبل البيت لتغيير جوّ المكان الوسخ الذي كنت فيه.

الآن، حين تسمع أن شخصاً تنقّل بين أربع وظائف في ستّ سنوات، أسهل وأغبى شئ يمكن أن تفترضه هو "عدم الاستقرار". هذه نتيجة سهلة، وقد تشعرك بالذكاء وأنك محلل جيّد. لكن الواقع عادة أو دائماً يكون أعقد من هذا الاستنتاج. ولو سأل الشخص عنه لوصل لنتيجة أفضل. فانظر الفرق الحقيقي بين ما وقع لي فعلاً وبين هذا الاستنتاج الساذج.

أوّل وظيفة لي كانت بتوسّط أخي الذي كان يعمل في شركة اللوجستيكس العالمية، وذلك أن مدير هذه الشركة كان صديقه. فطلب لقائي، وأُعجب بي فوراً وقرر إعطائي منصب مدير إدارة قانونية. فكنت في الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين من عمري أجلس في دور كلّه مدراء على وشك التقاعد، (باستثناء واحد حسود خبيث من "المواطنين" في إدارة الموارد البشرية الذي كان لزاماً توظيفه في هذه الإدارة، وكان على ما يبدور في أوائل الأربعينات أو نهاية الثلاثينات). والبقية مدراء أجانب كبار في السنّ، أوربيين إلا عربي واحد. بدأت العمل. المدير الذي وظّفني تم نقله إلى بلد أخرى بعد شهر من توظيفي، ولذلك قرر أن يجعل فترة التجربة في عقدي شهراً واحداً بدلاً من ثلاثة أشهر حتى يضمن بقائي بعده. الذي حصل أن المدير الجديد تركي، ولم يرغب في وجود قانوني فوق رأسه، (تبيّن لاحقاً أنه

نصاب وتم فصله وترحيله بعدي بقليل مذلولاً مهيناً). وأراد أن يحوّل رؤساء الإدارات كلّها إلى أتراك من أصحابه. فبدأ بي وفصلني بناء على أن فترة تجربتي ثلاثة أشهر حسب القانون، فحين طلبت منهم عقدي أمر المسؤولين أن لا يعطوني إيّاه. فصلني في اليوم ٨٨ من التسعين. رفعت دعوى، وأعطوني خمسين ألفاً للصلح، أخذتها وانتقلت إلى عملي في الخطوط السعودية. الآن، هل لي أي ذنب أو "عدم استقرار" وظيفي؟ شخص نصّاب لم يرغب في قانوني فوق رأسه، وفصلني بما يخالف القانون والعدل لأسباب شخصية بحتة. هذه واحدة.

الخطوط السعودية، أيضاً توظّفت بتوسّط صاحب لي من السادة طيّار، حيث قدَّمني للإدارة القانونية، وقابلني الرؤساء الأربعة للإدارة، وكلّهم وافق على توظيفي، اختبرت ونجحت، وتوظّفت في إدارة التحقيقات يديرها سيّد أيضاً. حين دخلت، وجدت الإدارة مقسّمة إلى أربعة أحزاب بالرغم من أن عدد الموظّفين مع المدير ١١. حزب العلويين (المدير سيّد، ومحقق شريف) وأنا كنت تابع لهذا الحزب بحكم المهنية التي تجعلني تابعاً للمدير بدون إضاعة الوقت في التحزب الذي يضيع الوقت والجهد، وبحكم كوني ميّالاً لأهل البيت أينما كانوا في العادة. ثم حزب البدو (اثنان، أحدهما كان جاري في المكتب وصديقاً لي في الظاهر، وكنت قد تنبأت له قبل سنة بأنه سيصبح مديراً، وحين صار مديراً للإدارة القانونية فعلاً وافق على عدم تجديد عقدي، واقرأ إن شئت "الأعراب أشدّ.."). ثم حزب الحجازيين (أربعة أشخاص). ثم حزب اللامبالين (ثلاثة أشخاص. واحد مريض نفسياً، الثاني شبه مريض، الثالث الله أعلم بحاله). أنا بطبعي كنت صاحباً للجميع، ولم أميّز بينهم وأحاول كل فترة وفترة التكلّم معهم، لكني كنت أركّز على عملي، وأوقات فراغي كنت أستغلّها في القراءة والكتابة في أمور المعرفة العامّة. بعد سنة وثمانية أشهر تقريباً، تغيّرت الإدارة العليا للخطوط، وجاء حزب جديد بأهداف جديدة، وبدأ بإزاحة رؤساء مناصب كثير من الإدارات خصوصاً المهمّة. فطار في هذه الحملة رئيس الإدارة القانونية (وهو شخص دعوت عليه قبلها-هذه قصّة أخرى)، وممن طار أيضاً لكن ليس خارج الخطوط كالسفيه الذي دعوت عليه، بل إلى إدارة أخرى داخل الخطوط، هو السيّد الذي كنت أعمل معه، وكنت محسوباً عليه في الحسابات الحزبية لعصابات الخطوط السعودية. فلمّا طار طيّروني معه. مع أنه صدر منّي شئ من الغضب في آخر فترة، لكنه لم يكن بشئ يستحقّ عدم التجديد، وكان المدير الجديد يقول في السرّ-كما بلغني من ثقات- "جايبلي واحد صوفي !" يقصد أن السيد جاء بي وأنا "صوفي" والعياذ بالله ! (الذي قال هذه الكلمة، وهو وهابي النزعة منافق، قال لي في وجهي أن كل شئ على ما يرام حين واجهته في موضوع عدم تجديد عقدي، لكن بعد ذلك أخبرني بواسطة البدوي الذي نصّبه مديراً للتحقيقات أنهم لن يجددوا عقدي. جبن ونفاق يميّز الحجازي حين تصيبه اللوثة الوهابية، وأحبّ الوهابي الخالص أكثر منه لأن فيه بدوية صادقة ومباشرة). النتيجة؟ لم يجددوا عقدي بعد انتهاء السنتين. أيضاً، رفعت عليهم دعوى، كسبتها ولله الحمد، بدليل جاء به موظّفهم هم لم أكن أعلم به وبدونه كنت سأخسر القضية. كسبت مبلغاً قليلاً نسبياً، لكنّه مناسب جدّاً، لأن اليوم بدأ معرض الكتاب، وسيأتيني الشيك في الأيام القادمة إن شاء الله. (التأخير في أخذ المالي بسبب عدم مراجعتي وإلاّ فالقضية منتهية من فترة طويلة). المهم، حسابات حزبية في شركة فيها عصابات عريقة، ورحت أنا بين الأقدام، ما ذنبي؟ قد تقول أن لي ذنب حيث لم أتمسّح بأقدام الإدارة الجديدة، لكن هيهات، الموت ألذّ من ذلك. بل إن الله ألهمني بأنهم لن يجددوا عقدي في يوم الخميس (حيث كان زواج أخي الأكبر مني في ليلتها)، ففرغت مكتبي واستغرب الزملاء من صنيعي. إلا أنه في عصر ذلك اليوم، جاءتني مكالمة من

البدوي المذكور سابقاً، يخبرني فيها بعدم التجديد وأني أستطيع عدم الحضور من الآن فصاعداً إن شئت. فتعجّب حين أخبرته بأني أصلاً في بيتي وقد أخذت كل شئ معي. وظنّ أن شخصاً أخبرني بذلك، والواقع أنه قد نبأني العليم الخبير في قلبي. الخلاصة؟ لم أترك الوظيفة بسبب "عدم استقرار" في طباعي. بل إني أشتاق إليها إلى يومنا هذا وأتمنّى لو كانت استمرّت إدارة السيد ولا أزال أتّصل به وبغيره من أصحابنا هناك للتسليم عليهم بعد مرور سنوات وأذكرهم بالخير.

ثم جاءت وظيفة الإمارة، أيضاً بتوسّط صديق الأمير مباشرةً. جلست فيها سنة كانت أريح سنة عمل في حياتي. كتبت فيها أكثر من ثلاثة عشر كتاباً، هذا غير المقروء والمجالس وغير ذلك. أدب واحترام ونظافة وسكينة، لم أجد قبلها ولا بعدها -إلى يومنا هذا- مثلها. لكن مشكلتها كانت أن راتبها ضعيف جدّاً، وكانت عليّ أقساط بسبب دين أخذته من قبل لشراء سيارة ودفع أقساط مدرسة أخي الأصغر، فكنت كمن لا راتب له تقريباً. فلمّا تزوجت، أنفقت عليّ زوجتي أوّل فترة لأنها كانت تعمل في البنك، فلمّا طلب منّي والدها السيد أن أنتقل إلى البنك (إذ هو نفسه له منصب كبير في البنك) وافقت. فكانت ضرورة المعاش هي السبب الأكبر في انتقالي، وليس بسبب "عدم الاستقرار".

وأنا الآن في البنك. والذي جعلني أفكّر في العمل في المحاماة، حيث شهادتي أصلاً شهادة حقوق، هو أني أفكّر في تأسيس عملي الخاص، لأني -كما سترى إذا تأملت في الوظائف الأربع التي مررت بها- قد مررت بالقطاع الخاص البحت والقطاع العام شبه الخاص والقطاع العام البحت والقطاع الخاص شبه العام، أي بكل قطاع ممكن، وهذا من حسن تدبير الله لي ليطلعني على أحوال الناس ولو بعيّنة جزئية ممزوجة بلطف كثير. فأردت أن أرى إن كان بالإمكان الانتقال للعمل الخاص فأفتح مكتب محاماة، وأحتاج لذلك تدريب سنة على الأقلّ إلى ثلاث سنوات كحدّ أقصى لآخذ الترخيص. وسبب آخر دفعني لهذا هو تفكيري في بنتي، إذ زوجتي الآن حامل في الشهر الرابع، وكنت أفكّر منذ زمن بأنه من الجيّد لو كان لي عمل خاص في مجال أستطيع تدريب أولادي عليه بحيث لا يضيعوا في متاهات الدراسة الرسمية غير العملية، ومجال القانون ممتاز لنا من أكثر من ناحية. إلا أن أكبر عائق لي هو عائق نفساني، أقصد أن قبح العمل القانوني في هذه البلاد، وذلك لأسباب كثيرة جدّاً ، وعلى رأسها القضاة الوهابيين الذين إذا نظرت في وجه أحدهم ثلاث مرّات في أسبوع قد يُصبح من المباح شرعاً أو المستحب شرعاً (وفي حالات قصوى، من الواجب شرعاً) تعاطي الحشيش لنسيان كدر القلب. بالإضافة إلى سوء المعاملات الحكومية عموماً، وعدم وضوح القوانين وعدم وجود قوانين بالمعنى الصحيح لها، وغير ذلك كثير. ولي تجارب مع المحاكم في هذه البلاد، وقلت بهذا الصدد "أحياناً الفوز في القضية هو التنازل عنها" وينطبق ذلك على أي شخص يضطرّ إلى التعامل مع النظام القانوني ("القانوني" مجازاً لهذه البلاد). إذن، حتى رغبتي في الانتقال من البنك لم تكن بسبب "عدم الاستقرار"، بل لأجل اعتبارات معيشية أكثر تطوّراً، وأسرية أكثر رحمة وشفقةً.

نعم، أعلم أني أطلت في هذا السرد، لكنّي أردت أن يكون في كتبي شئ عن حياتي المعيشية ليعرف الناس من أين أكسب معاشي وأني لا أكسبه بكلامي، وحتى يعرفوا أني ملتزم بذلك في نفسي ولا أدعو إلى شئ لا أمارسه وأتمسّك به رغم الصعاب بعون الله. وكذلك لكي تكون مثالاً على السخف والغباء الوهابي. ولعلّي في حكاية قصّة معاشي مع ربطها بوهابي، يكون في ذلك دلالة على المكان الذي أعيش فيه ومَن له اليد العليا فيه بشكل عام. نسأل الله أن يشلّ هذه اليد ثم يقطعها ويرجعها إلى حفرة سقر التي خرجت منها. وما ذلك على الله بعزيز. والأهمّ من ذلك، لا تتعجّل في الحكم.

...

(تعليقات على فقرات من كتاب دلائل النبوة للقاضي الهمداني رحمه الله)

قال الهمداني {ثم المستأكلة ومَن تكسّب بالدين}. أقول: هذا الاسم {المستأكلة} مهمّ جدّاً. وهو الاسم الذي ينبغي إطلاقه على جميع المتدينين والأكاديميين والمتكلّمين الذين يبيعون كلامهم ليعيشوا. وعلينا استعماله والاستكثار منه وإبرازه للناس. فإنه الاسم الجامع لكل هؤلاء مهما اختلفت أزمانهم وأديانهم ومذاهبهم وطرقهم. ثم لابد من دراسة هذا الاسم أي حقيقته وكشف أسباب وجوده وكيفية عمله وآثاره.

قال الهمداني أن الروم ما تنصّرت لكن النصارى تروّمت. أقول: هذا الوصف من أعمق وأبدع ما جاء به في تحليل العلاقة بين الرومان واليسوعيين، منذ القديم إلى اليوم. وينبني على هذا الوصف أمور كثيرة. وأعجبني تعبيره الذي يدلّ على دقّة تفكيره.

قال الهمداني عن هؤلاء اليسوعيين {وحيث لا يكون لهم مُلك ولا سيف، فإن مَن أسلم منهم يمنعونه أهله ويبطلون ديونه ويذمونه بكل فاحشة ويسعون في كل ما يقدرون عليه من مكارهه وإضراره، وهذا أيضاً ضرب من الإكراه.} أقول: اعتبار القاضي لهذه المعاملة كضرب ونوع من الإكراه، يكشف عن أمر مهمّ جدّاً يخصّ المسلمين أنفسهم. لأن الله قال "لا إكراه في الدين". فما هو الإكراه؟ توجد أقوال متعددة في تعريف الشئ الذي يشكّل إكراهاً، القتل على رأسها، وتنوّعت الأقوال من القتل كحدّ أعلى نزولاً إلى قول لم يحددها في صورة معيّنة ولكنها جعلها متغيّرة بحسب حال الشخص المتعرّض للإكراه ومنزلته الاجتماعية ونفسيته وعادته. فكل هذا إكراه في الدين. لكن القاضي الهمداني جاء بوصف مهمّ لنوع آخر من الإكراه. وهو نوع يمارسه حتى المسلمون بكثرة. تأمل جيّداً. القاضي يعتبر إجبار الناس على دين معيّن، دخولاً أو خروجاً، يكون بالسلاح ويكون كذلك بالمضايقات المالية والاجتماعية. هنا يتّهم النصارى بأنهم دائماً يكرهون الناس على دينهم، مباشرة بالسلاح إذا استطاعوا، وبوسائل أخرى في حال فقدوا القدرة العسكرية والحكومية. كيف؟ أوّلاً {يمنعونه أهله}، أي تطليق زوجته منه، لكن ألا يفعل المسلمون هذا إذا "ارتدّ" أحد عن الإسلام ويطلّقون زوجته منه، وإلى زمننا هذا توجد قضايا من هذا النوع. ثانياً {يبطلون ديونه} أي إذا كان له دَين مالي عند أحد، يسقط هذا الدين ويكون كأن لم يكن. وهذه مضايقة مالية ودخول في الحقوق المالية. ثالثاً {يذمونه بكل فاحشة} ويدخل هنا إسقاط الشخصية واستباحة عِرض الشخص والكذب عليه، وهذا أيضاً يكثر منه بعض المسلمين إذا وجدوا الشخص ارتدّ عن الإسلام بل حتى عن مذهبهم هم، فيتكلّمون في حقّه بكل شنيع ولو كان كذباً يعلمون أنه كذب، ويعتبرونه من الذبّ عن الدين وحماية العامّة من التأثر بالمرتدّ. ومن هذا الباب أيضاً ذمّ أتباع المذاهب الأخرى ورميهم بالفواحش حتى تتشوّه صورتهم في أذهان أتباعهم ومقلّديهم فيبقون معهم، انظر مثلاً ذمّ الوهابية للشيعة والصوفية والأشعرية على سبيل المثال. رابعاً {ويسعون في كل ما يقدرون عليه من مكارهه وإضراره} وهذه مفتوحة وأصلها في كلمة "يقدرون عليه" أي يبيحون لأنهم ارتكاب كل ما يكرهه ويضرّ به، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. فكما ترى، مضايقات أسرية، ومالية، ونفسية، واجتماعية. هذه كلّها داخلة تحت مفهوم الإكراه. وبناء على ذلك، العمل بمقتضى "لا إكراه في الدين" يوجب أن لا يكون دين المرء سبباً لتعرّضه لأي مضايقة عنيفة أو أسرية أو مالية أو لفظية شخصية سلوكية أو اجتماعية وسياسية. بكلمة واحدة: دينك لا علاقة له بعلاقتك بمجتمعك. فتأمل لازم ذلك وما شكل الدولة والمجتمع الذي يجسّد هذا المثال. والمقطوع به أن بلاد المسلمين كلّها فيها إكراه في الدين. وخرافة "المسلمون لم

يكرهوا أحداً على دينهم“ لا يمكن قبولها إلا إذا اعتبرنا الجانب العنيف وحده من صور الإكراه، وحتى هذا فيه ما فيه أحياناً. لكن إذا نظرنا إلى جميع أنواع الإكراه، كما شرحها القاضي مثلاً وكما وردت في كتب أخرى فقهية، فحينها سنعرف أن بلادنا غارقة في مستنقع الإكراه من رأسها إلى أطراف أقدامها، كانت في الماضي وهي اليوم على ما كنت عليه في الجملة.

وإتماماً للفائدة، أنقل زبدة ما ورد في كتاب السيوطي الأشباه والنظائر، الكتاب الرابع، فصل ”ما يحصل به الإكراه“. يذكر ما يلي:

١/القتل. ٢/القطع. ٣/ضرب يخاف منه الهلاك. ٤/ما يسلب الاختيار ويجعله كالهارب من الأسد الذي يتخطّى الشوك والنار ولا يبالي. ٥/عقوبة شديدة تتعلّق ببدنه. ٦/الحبس الطويل. ٧/أخذ المال. ٨/ إتلاف المال. ٩/الاستخفاف بالأماثل (أي كبار الشخصيات) وإهانتهم كالصفع بالملأ وتسويد الوجه. ١٠/كل ما يؤثر العاقل الإقدام حذراً ما هدد به، وذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأفعال المطلوبة والأمور المخوف بها، فقد يكون الشئ إكراهاً في شئ دون غيره، وفي حق شخص دون آخر. ١١/ التهديد بالنفي عن البلد. ١٢/تهديد المرأة بالزنا والرجل باللواط. ١٣/التهديد بقتل الوالد وإن علا والولد وإن سفل. ١٤/الضرب الكثير والمتوسط لمن لا يحتمله بدنه ولم يعتده.

أقول: هذا نقلي لعباراته المأخوذة من جملة ما قاله على التحليل. فكل هذه الأعمال تشكّل إكراهاً. وكما ترى، مدارها على مسّ بدن الشخص أو ماله أو مَسّ بدن مَن يهمّه أمره بغير إرادته. فقد تكون بصفعة، وقد تكون بالذبح، فما بين ذلك.

وبما أنه ”لا إكراه في الدين“، فلابد من إزالة كل ذلك ، لأن ”إكراه“ تشمل كل إكراه. وكل ما مضى يشكّل إكراهاً.

...

كل قصيدة لها هندسة. والقصيدة التي تبدو عشوائية التركيب والتسلسل لها هندسة أيضاً لكنها أخفى وإدراكها أصعب، إلّا أن معرفتنا بالوجدان والعقل تكشف عن استحالة تكلّم الإنسان خصوصاً في الكلام الفنّي بدون أن يوجد رباط ما بين مواضيع كلامه. نعم، افتراض نوع واحد من الروابط لابد أن يكون موجوداً في جميع أنواع الكلام هو الأمر المرفوض، كأن يفترض شخص بأن التسلسل يبدأ من الخاصّ إلى العامّ أو من العامّ إلى الخاصّ، أو من الذات إلى الغير، أو من المشاعر إلى الحوادث، أو أي شئ من هذا القبيل. لا يمكن تحديد وجدان الإنسان بقالَب واحد. فالهندسة لا تعني القالب الواحد، لكن تعني ترابط معنوي بين الأجزاء. فإذا دخلنا في قصيدة شاعر مثل المتنبّي، وهو حكيم كما كان يعتبر نفسه وهو كذلك في عيون الكثير غيره، كان وجود الهندسة المعنوية أثبت وأظهر.

ولأن معرفة الرؤية العامّة للقصيدة، بل أي كلام عموماً، تُسهِّل تفكيكه وتحليله والدخول في عناصره ومواضيعه الجزئية، فالأحسن البدء بذلك. مع ملاحظة التسلسل الطبيعي للتأمل وكونه يخالف تسلسل الكتابة التي هي ثمرة التأمل، فإن التسلسل الطبيعي يفترض الجهل ثم القراءة ثم العلم، فنحن نبدأ لا نعرف شيئاً عن القصيدة، ثم نقرأها ونفهم شيئاً من معاني أبياتها ولو على عجالة، فنستشفّ مواضيع أقسامها، ثم نكتب هذه الأقسام من باب الرؤية العامّة، ثم ندخل في التفاصيل. فلاكتشاف الرؤية العامّة نحتاج إلى قراءة واعية، لكن لاكتشاف المعاني الدقيقة أو ربط احتمالات القصيدة بمعاني معيّنة نجدها مناسبة نحتاج إلى قراءة عميقة وجدلية. ولا يُستغرَب، بل لابد من توقّع، إعادة تقسيم القصيدة بعد القراءة العميقة، بل بعد كل قراءة من هذا النوع بحكم زيادة المعرفة وتحسس المعاني.

إذن، الهدف من تقسيم القصيدة تسهيل دراستها. وتسهيل دراستها يهدف إلى عدم تبديد طاقة الوعي وتشتيتها في جزئيات لا رابط بينها عنده، وبذلك يتم حفظ الطاقة والتركيز لتتوجّه نحو المعاني واستلهام الأفكار وتفريع الفروع وتنزيل القضايا على وجداننا وواقعنا وهو الغرض النهائي من كل قراءة نافعة. ومن إضاعة الحياة قراءة الأشعار والاكتفاء بمعرفة إعرابها وحلّ ألفاظها بنثر ساذج والسلام. مثل هذه القراءة هي التي تُسخِّف الأشعار في عيون الخلق، بل تجعل الشعر تنطّعاً وتحذلقاً لفظياً لا داعي له. كل بيت شعر لا يزيدك وعياً بواقعك أنت، فالاشتغال به عبث. ومن هنا نعرف سلامة موقف العامّة من الشعر حيث أعرضوا عنه واعتبروه-على ما يبدو-نوعاً من ألفاظ الكهّان والسحرة التي يشعوذون بها على الخليقة ليستدرّوا أموالهم أو إعجابهم أو كلاهما (وهي الحالة المُثلى).

...

خذ مِنّي خلاصة المقال ،
إنّما السياسة سَلب المال .
وخير السَّلب ما كان طوعاً ،
بِدينٍ أو بألوان الاحتيال .
فتبّاً مرّة لأهل السياسة ،
وتَبّاً ألفَ مرّة لعبيد الرجال .

...

الطريقة وثمارها،
في آية لِمَن عَقَلَها،
"واذكر اسم ربِّك وتبتَّل إليه تبتيلاً،
ربّ المشرق والمغرب لا إله إلا هو،
فاتّخذه وكيلاً"

...

تجاهل الناس لك عذاب،
لكنّه أخفّ من عذاب الرِدّة.
لأن التجاهل مُبرر بالغياب،
ورفض بعد معرفة شِدّة.

عامَل الناس المتجاهل باحتقار،
ليبرروا لنفوسهم تجاهله لهم.
أما المرتدّ له السيف البتّار،
فبقائه يهدد صورتهم لأنفسهم.

يطلب الناس اهتمام الإنسان،
لأسباب إذا عددتها كثيرة.
منها المعاش ومنها الأمان،
وفوق ذا قضية خطيرة.

تفرّقت الروح في الأبدان،
فشعرت بحُرقة مريرة.
فإذا نالت من غيرها العرفان،
ارتفعت بتوحيد السريرة.
ولذا يقتلون رافض الجَنان،
إذ أنكروا روحهم الأميرة.
معضلة الإنسان مع الإنسان،
يُدركها مَن له بصيرة.
ليس لها حَلّ في كل زمان،
ومآل النظر فيها الحِيرة.
...

أنتَ شُعاعٌ مِن شمسِ الربوبية ،
وجسمك ظِلٌّ من عَينٍ سماوية .
فاذكُر دهوراً كنت فيها سابحاً،
في بحر علم الذات الإلهية .
عاشقاً فانياً باقياً مطلقاً واحداً،
فقيراً مُتوجّهاً للحضرةِ الصمدية.
وانظر إلى الممكنات ترقص بفرحةٍ،
من فرط تجلّي الأنوار الأسمائية.
فكان سلاماً لا سلام غيره ،
وكان أماناً بالحقيقة الضرورية.
فيا ليتها عادت ولم يطل غيابها،
فطائر روحنا مُعذَّبُ بنار دنيوية.
من أجل هذا حنَّت رحمة ربّنا ،
فأفاض علينا الآيات القرءآنية.
نورُ وسرورُ وحضورُ خالصُ،
به ظهرت الكرامة الإنسانية.
فاذكره يا مريد وصال حبيبه،
ففي صفحاته صفحات الألوهية.
به تقدّس الاسم الأعظم العربي،
وصار "الله" وِرد عرفاء الصوفية.
الذكر بغير إذن جيفةُ أعورٍ ،
الذكر الحَيّ براق الأبدية.
اسمه الأعظم ولايةُ جبروتية ،
آثار اسمه جنود ملكوتية.
تعلّق باسمه والهج دائماً به،

ففيه رجوعك إلى شمس الربوبية.

أرسلت لي امرأة تسأل عن سطر "اسمه الأعظم ولاية جبروتية/آثار اسمه جنود ملكوتية" فأجبتها:
بالنسبة لسؤالك:
توجد عوالم أربعة كبرى تشكّل حقيقة الإنسان وحقيقة الأكوان معاً. السر والروح والنفس والجسم (في الإنسان). ويقابلها في الأكوان العِزّة والجبروت والملكوت والمُلك. وهذا ما ورد في تسبيح النبي صلى الله عليه وآله وسلم "سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان ذي العزّة والجبروت، سبحان الحيّ الذي لا يموت". والعالَم الإلهي هو الأسماء الحسنى "سبحان الحيّ" والحيّ من أسماء الله. إذن، الأسماء الإلهية فوق كل شئ، ثم هذه الأسماء تتجلّى في العوالم الأربعة العِزّة والجبروت والملكوت والملك. وبما أن الله قال "سنريهم ءايتنا في الآفاق وفي أنفسهم" فكل ما في الآفاق لابد أن يكون له نظير ومقابل في النفس الإنسانية.

بناء على ذلك، قلت في كلامي "اسمه الأعظم" يعني اسم "الله" الذي هو الاسم الأعظم لأن كل اسم إلهي يرجع إليه، وهو الاسم المفرد الذي لا يتسمّى به غير الله ذاته.
"ولاية جبروتية" الولاية هي القوّة والتصرّف. يعني الذي يذكر اسم الله، ويأذن له الله بذكر اسمه الأعظم هذا، فإنه يكون قد أعطاه منشور الولاية الجبروتية، أي الروحية، بمعنى القوّة الروحانية بكل ما فيها من علم وتعقل وفقه وشعور وإحياء وغير ذلك من خصائص الروح. وكذلك يكون قد أعطاه التصرّف والتأثير في أرواح الآخرين، بقدر سعة ولايته وهذا أمر يختلف من ولي لآخر.

ثم قلت "آثار اسمه جنود ملكوتية". الاسم له حقيقة باقية وصورة فانية. عالَم البقاء هو عالَم العزّة والجبروت، وعالَم الفناء هو عالَم الملكوت والمُلك أي السماوات والأرض. ولذلك جاء في القرءآن تبدّل السماوات والأرض يوم القيامة، لا تبدّل العزّة والعرش (الذي هو عالَم الروح العليا). بناء على ذلك، حقائق الأسماء تظهر في العالَم الأعلى أي العزّة والجبروت، لكن آثار تلك الحقائق تظهر في عالم الملكوت النفسي والملك البدني الطبيعي. ولذلك قلت "آثار اسمه" حين تكلّمت عن الملكوت، ولم أقل "آثار اسمه الأعظم ولاية جبروتية" حين تكلّمت عن الجبروت الروحي.
أمّا معنى "جنود ملكوتية" فالجنود هم القوى التي تنفّذ الأوامر العليا وتحقق بالأسباب أغراضها في المجالات الدنيا. كذلك الحال هنا. فحقائق معاني الأسماء الإلهية، وأوامرها العِزّية والجبروتية، تتنفّذ في العوالم النفسية والطبيعية بواسطة جنود، "لله جنود السموات والأرض". فجنود السماوات هي القوى النفسانية، مثل الخيال والعواطف والجواذب اللاوعية والواعية، وجنود الأرض هي القوى الطبيعية، مثل الرياح والأشجار والحيوانات والبشر وغير ذلك من مخلوقات الطبيعة. فحين قلت "آثار اسمه جنود ملكوتية" المعنى هو أن من آثار ذكر اسمه الأعظم الحصول على تأييد إلهي بواسطة جنود ملكوتيين نفسانيين لتحقيق أغراض ومرادات العبد الذاكر الصادق. ومن هذا القبيل مثلاً تجدين أصحاب الكهف وهم من أهل الله حين صدقوا مع الله ودعائه وذكره سخّر الله لهم حتى الشمس والكلب. والأمثلة كثيرة.

وعلى هذا النسق التأمل في باقي الكلام. والله يفتح لمن يشاء بما يشاء.

...

لا تصدّق مقالة أحولٍ ،
يرى اثنين بدلاً من واحد.
ألم تر الميم كيف حجبت،
عن الخليقة سرّ محمد.
لولا ميم اسم أحمد ،
لتجلّى لك نور الأحد.
الوجود واحد بلا كثرةٍ،
رُغمَ أنفَ الأحول والملحد.
كن بلالاً في بصيرته،
وفي صلابته كجبل أُحُد.
سياط الأكوان وحرارتها،
لم تقطعه عن "أحد أحد".
كُن كعليّ في رؤيته،
ذو عين سليمة من الرَّمَد.
خُض غمرات الفصوص،
ففي باطنه عِزّ الأبد.
نهاية هذا الأمر كلمة،
{قل هو الله أحد}.

...

أوّل مشكلة، كيف تعيش. ثاني مشكلة، ماذا تفعل حين تعيش. ثالث مشكلة، كيف تتعامل مع الملل من العيش بعدما عشت كما تريد أن تعيش. رابع مشكلة، كيف تتخلّص من الشكّ فيما بعد العيش وعلاقته بكيفية عيشك.

أمّا الصوفية فقد أجابوا عن الكلّ: يعيش بكسب يده. يفعل الذكر والفكر. يصبر. يدعو ويتوكّل.

أمّا غيرهم، فخبطوا خبط عشواء، وعاشوا في طخية عمياء، وقلوبهم في غمرة وظلماء. أرادوا العيش باستعباد الآخرين. وفعلوا العربدة والعنف. والملل عالجوه بالمسكرات والمخدرات. وتخلّصوا من الشكّ باللامبالاة. هذا توجّه الفراعنة. أمّا توجّه العبيد، فعاشوا بالخوف والتذلل. ومن أجل مزيد من العيش أيا كانت كيفيته. والملل يقتلهم وخففوه باللهو واللعب. وشكّهم عاجلوه بالتعصّب لمن ينصّبه الفراعنة فوقهم كداعية وفيلسوف يصوغ لهم العقائد المناسبة فيخضعون لها بالتنويم المغناطيسي والإيحاء الذاتي.

{أم نجعل المسلمين كالمجرمين. ما لكم كيف تحكمون.}.

...

هذا مفتاح فهم معظم الفلسفات والديانات والمذاهب الأدبية والسياسية والقانونية وغيرها: تسخير الجمهور للقلّة العسكرية. ويكفي لإثبات ذلك مبدئياً أن تنظر في مصدر عيش هؤلاء المتكلّمون، فقد عاشوا على أموال رؤساء العسكر، شرقاً وغرباً، قديماً وحديثاً. وهل كانوا ليعولونهم لو لم يكونوا يخدمونهم. بعد هذه المقدّمة، اذهب وانظر في تفاصيل كلامهم وستجده يدور حول هذا التسخير بشتّى

الطرق، وطبعاً يدور حول تبرير دفع الأموال لهم كطبقة من المتكلّمين والشعائريين الذين يسحرون أعين الناس ويسترهبونهم ويجيئون بسحر عظيم (وأحياناً غير عظيم).

موقف العسكر خلاصته : كسب العيش بالنفس مرهق يكدّر العيش. فإمّا أن نجعل غيرنا يخدمنا ونأخذ منه الضرائب والأموال والخدمة قهراً، وإمّا نموت.

موقف الجماهير خلاصته : عيش مكدّر بالعبودية خير من الموت.

فالعسكر فضّلوا الهناء على الحياة، فنالوا بؤس الحياة مع أعلى هناء.

والجماهير فضّلوا الحياة على الهناء، فنالوا بؤس الحياة مع عدم الهناء.

وهذا وحده كافٍ لإثبات مقولة "مَن أراد الدنيا استعبدته، ومن لم يردها طلبته". فإن العساكر لمّا لم يبالوا بالحياة، انفتح لهم باب الهناء في الحياة (بالقدر الممكن طبعاً وبدرجات مختلفة بحسب اختلاف أحوالهم-والمقصود رؤساء العسكر وإلّا فعامّة الجنود هم جماهير مثل بقية الجماهير من وجه).

وبين العسكر الذين يستبيحون قهر الناس ليعيشوا هم بهناء، وبين الجماهير الساكتة على هذا القهر من أجل العيش المجرّد، توجد طبقة المتكلّمين المتكسّبين، قد تختلف أنواعهم من متديّن ومتفلسف وأكاديمي وغير ذلك لكن جنسهم العامّ واحد وهو الأكل بالقول. هذه الطبقة لم ترغب في قهر الجماهير مباشرة، ولم ترغب في الخضوع مثل الجماهير للعسكر، فطلبوا حلّاً وسطاً وهو خدمة العسكر بتذليل نفسيات وعقليات الجماهير. هؤلاء يبيعون الهواء ويحصدون الهناء، أو بعبارة أخرى، يبيعون الهراء ويحصدون الهناء.

ثم توجد طبقة أخرى من الناس، هذه ليست من العسكر لا رؤساء ولا جنود. ولا هي من الجماهير الكادحة الملعونة. ولا من المستأكلة الذين يبيعون ألسنتهم لتعيش أبدانهم وتستمر مناصبهم. هذه الطبقة نالت من المعاش ما يكفي بكرامة نسبية لتتفرغ للتفكير في أمر الناس والعالَم والوجود، فرفضت قهر العساكر، ودجل السحرة، وخضوع العوام. الحاكم على هؤلاء هو الحيرة. لأنهم يرون الجماهير مسحورة وإذا تكلّموا لفكّ سحرها حاربهم العسكر الذين لا يقدرون عليهم، ووشا بهم السحرة إلى سادتهم الفراعنة ودفاعاً عن مناصبهم. وإذا سكتوا، حاربهم وجدانهم وقاتلهم ضميرهم. فهم بين كلام مُهلك أو سكوت مُهلك. ومدار أمرهم على البحث عن أرض يستطيعوا فيها تكليم الناس وتغيير الأمور. ويعيشون بروح هذا الأمل، ويعملون لتحقيقه بتوكّل وتدبير وعقل.

بناء على ذلك : لا يكون تغيير هذا الوضع إلا بأمرين على الأقلّ. الأوّل هو تجنيد الجماهير، لأن العسكر لا يواجهه إلا العسكر. الثاني هو تحرير التعبير، لأن قول الدجل لا يواجهه إلا قول العقل. التجنيد يشمل التسليح والتدريب. والتحرير يشمل القوانين والعادات. فإذا تمّ ذلك، ضمن المجتمع لنفسه أن لا يقع تحت استعباد أحد من البشر، بأكبر قد ممكن من الضمانات في هذه الحياة.

كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، كريمتان على الإنسان، نافيتان للطغيان: تجنيد الجماهير وتحرير التعبير.

...

نعم، العيش أسلم في الفيء
ولا أحد يُحب أكل القيء،
لكن الشعاع الذي لا يحرق،
لن يُغَيّر او يؤثر في شيء.
احترق بالشعاع الحارق،

ولا تقل سارق او مارق،
فالموت أساس إحياء الموتى،
والرمز لغة كل صادق.
...
(كانت بدنية وصارت ذهنية)
الذي يطلع على تاريخ مختلف الأمم القديمة، سيكتشف ظاهرة مشتركة: انتشار الفقر والاستعباد. السبب الأكبر لهذه الظاهرة يرجع الى الحاجة الى عمال للزراعة عموماً وشيء من الصناعة البسيطة عادةً. وبما ان المحصول الزراعي المعتمد على تقلبات الجو والكوارث غير المتوقعة سيكون قليلاً نسبياً، فكان الفقر منتشراً، وبما ان الناس تكره العمل المضني في الحقول والسخرة استعبد القوي الضعيف ليعمل بدلاً منه. الى هنا، الأمر مفهوم ومتوقع. الا اننا اذا نظرنا في معاناة جمهور القدماء، سنجدها معاناة بدنية بشكل كبير. تعب الحركة، إرهاق الشمس والأجواء الصعبة، تحمل آلام المرض والجوع والعري، وما اشبه. الا انهم كانوا في المقابل يعملون في بيئة طبيعية، نظيفةً غير ملوثة، قريبة من الارض والحيوانات، فكان لها استعداد اكبر لأمور الروح والذوق، ولذلك كل الفلسفات والديانات والفنون الكبرى نشأت في تلك العصور. تعب البدن سيء، لكنه يفتح باب طلب الخلاص في ما فوق البدن. هذا هو الوضع عموما قبل العصر الحديث.
اليوم تغيرت المشكلة من وجه. فبعد دخول الآلات سوق العمل، تم الاستغناء عن كثير من العمل البدني البشري المباشر. لكن دخول الآلة اذا كان قد حرر البدن او خفف عن البدن، فانه في المقابل خلق مشكلة جديدة كبيرة وهي من اكبر أسباب الكثير جداً من مشاكل الانسان المعاصر. وهي هذه: إرهاق الذهن. كيف؟
لانك تحتاج الى نقود ستحتاج الى وظيفة (بالنسبة لعموم الناس) او التحكم في موظفين (بالنسبة لأصحاب الأراضي والمؤسسات). والوظيفة ستكون غالبًا مركزة على العمل الذهني او ذات طابع ذهني نفساني. لان الآلة تقوم بجزء كبير جدا من العمل اليدوي. فالمنافسة على الوظائف تعني وجوب تطوير الذهن بنحو عملي مادي. ومن هنا تجد الفرق مثلا بين حال اجدادنا وحالنا، فبينما كان قبل سبعين سنة من يملك شهادة ثانوية يعتبره الناس متعلماً، صار اليوم حامل شهادة الماجستير يعمل سايق أوبر ! فالعمل اليدوي اليوم لا يكاد يوفر حياة شبه شبه كريمة (لا تكرار في "شبه")، والعمل الذهني والمنافسة فيه تسبب في إرهاق عظيم لم نسمع بمثله من قبل. الارهاق الذهني يُفسد الذوق، وفساد الذوق يمحق جمال الحياة، وحياة غير جميلة ما قيمة عيشها ! ومن هنا تستوعب واحد من أسباب انتشار أمراض ذهنية نفسانية في اكثر المجتمعات "تقدماً" اقتصادياً قبل غيرها.
اذا قارنّا بين إرهاق فلاح يتحرك في حقل، وبين موظف يجلس في مكعب متر في متر وينظر في ورق ويشتغل بالعقل، سنجد ان الفلاح كان ذهنه مرتاحاً نسبياً وجسمه سليم رياضياً، بينما الموظف ذهنه مستهلك وبدنه كسول سمين مريض غالباً.
نعم البشرية تقدمت كثيراً من جهات كثيرة، لكن في مجال تخفيف مشقة كسب المعاش لم نبقى اليوم كما كان من قبلنا بل تراجعنا الى نقطة قبلهم وغصنا في بحر وقفوا هم على ساحله. تقدّم لا يزيد من راحة الذهن والبدن، ليس تقدماً بل وقوف او تخلف.
...
أراد قرد ان يعرف شكل وجهه

فبحث عن مرآة،
فوجد مرآة مستقيمة سليمة نظيفة،
فعرف وجهه كما هو.
بعد فترة أراد ان يرى وجهه مرة أخرى،
فوجد مرآة مقعرة،
نظر فيها ففزع من تغيّر وجهه،
فبدا يشد ويمط ويضرب وجهه حتى يرجع كما كان.
ثم عاد إلى المرآة المقعرة فوجد ملامحه تغيرت كليًا،
فخاف وغضب واضطرب فهرب من المرآة.
ثم خطر له ان يبحث عن مرآة جديدة،
فبحث فوجد مرآة محدبة،
نظر فرأى منظرا عجيباً لم يره من قبل،
فصار يلطم ويخدش ويعبث بوجهه ليرجع كما كان.
مشكلة القرد انه يُقلِّد المرآة ولا يعرف
ان المرآة لا تعطيه الا بحسب خصائصها هي
وليس حقيقته المجردة هو.
...
كان في القفص طاووس ودجاجة
كل يوم يأتي صاحب القفص ،
فيتأمل في الطاووس
وياخذ بيض الدجاجة
ويرجع. وهكذا كل يوم. ..
اشتكت الدجاجة وقالت "لماذا لا يتأمل فيّ كما يتأمل في الطاووس
عندي راس مثله وريش أيضاً" اشتكى الطاووس وقال "لماذا لا يأكل بيضي كما يأكل بيض الدجاجة
عندي بيض مثلها". ..
سمع صاحب القفص ما قالاه
فعمل بهما كما أرادا.
أخذ بيض الطاووس فتقزز منه ولم يقبله أطفاله.
تامل في الدجاجة فلم يثيره منظرها.
بعد فترة قرر التخلص منهما اذ لم تعد لهما منفعة.
فقطع ريش الطاووس وباعه ،
وذبح الدجاجة واكلها .
ولو رضي كل واحد باحسن ما فيه بغير حسد،
لبقي معززاً مكرماً هو وصاحبه الى الأبد.
...
هبط نسر على زريبة خنازير

فقال النسر "اطعموني فالضيافة حق"
فقالوا له "كُل من هذا البراز بالعافية"
فرد عليهم بقرف "هكذا ضيافتكم للنسور!"
فأجابوه "من أراد صحبتنا فلينسَ نفسه وليأكل اكلنا". ..
بعد فترة اعتاد النسر من الجوع على طعام الخنازير،
وفي يوم هبط نسر جديد وطلب الضيافة،
فقدَّم له النسر القديم طبقاً من البراز،
فتقزز منه لكن بعد جوع طويل اكل منه وقال لنفسه
"بما ان النسر قبلي اكل من هذا فما أنا الا نسر مثله". ..
بعد فترة حان موعد ذبح الخنازير بسبب الموسم ،
فتقدم صاحب الزريبة وأخذ خنزيراً بعد خنزير،
فلما لم يبقَ الا النسر القديم والجديد أخذهما للمسلخة،
فصرخا له "نحن نسور أقمنا هنا للأكل فقط بحكم الضرورة"،
فرد عليهم صاحب المسلخة البسيط في نظره وتفكيره ؛
"عشتم مثلهم ، تموتوا مثلهم ".

قالت: لم افهم المغزى لكن (عشتم مثلهم تموتوا مثلهم) صدمتني واضحكتني.
قلت: لا يوجد مغزى واحد للأمثال. طبيعة الأمثال انها قابلة للتفسير والتنزيل على مجالات مختلفة.
...
مزارع عنده شجرة موز
نظر الى جاره الذي يزرع التفاح ويكسب منه كثيراً،
فقرر ان يصير مثله بسرعة،
ذهب اليه واشترى تفاحاً ورجع الى مزرعته،
وصار يقطع الموز من الشجر ويعلق بدلاً منه التفاح،
ويستعمل احسن أنواع الغراء لتثبيت التفاح،
وصار المزارع يدعو كل الناس لتناول تفاح مزرعته،
المشكلة ان التفاح فسد اذ لم يجد غذاءً على الشجرة،
والمشكلة الأكبر انه بعد زوال مفعول الغراء،
سقط كل شيء و صار مُفلساً؛
لا موز طبيعي ولا تفاح طبيعي.
...
الشاهين طير يأكل السمك
بعد سفرة طويلة صاحب فيها الشاهين فيلاً اختار
ان يصبح نباتياً ويتخلى عن السمك من باب الرحمة،
وكان الشاهين يبذل جهدًا عظيماً لمقاومة رغبته في السمك،
وفي احدى الأيام رأى سمكة كبيرة تنازع الحياة على الشاطئ،

فنظر اليها برحمة واقترب منها،
فوجد بطنها مفتوحة وداخلها اسماك صغيرة كثيرة كانت هذه
السمكة الكبيرة أكلتها حين كانت في البحر،
فانقض الشاهين واكل السمكة الكبيرة،
فجاء أصحابه وقالوا له "الم تقل انك لا تريد القتل من اجل الأكل؟"
فأجابهم "بما ان السمكة مستعدة لأن تأكل مَن هو أضعف منها،
فعليها ان ترضى بأن يأكلها مَن هو أقوى منها ".
...
كان شخص يمشي
بجانب بحيرة مياه صرف صحي،
وكان شديد الاهتمام بهيئته وملابسه ونظافته،
وهو في طريقه الى اجتماع مهم لابساً أفضل ثيابه،
وفجأة رأى شخصاً يستنجد ويصرخ من الغرق،
فقفز في البحيرة وغاص حتى استخرجه من الماء وعاش،
تعجب أهل البلدة من تصرفه هذا وتعريضه نفسه للأوساخ،
فسالوه عن سبب إقدامه على الغوص في المياه الوسخة
مع شدة نظافته وتجرده وتحرزه،
فرد عليهم مبتسماً "الذي يريد إنقاذ الناس
عليه ان يسبح معهم في مياههم الوسخة".
...
في قرية من الذئاب
كانوا يعيشون مع خرفان وماعز وبقر وحمير كثر،
بعد ان توفى الذئب الأكبر تغيرت الطريقة،
فقرر الذئاب الصغار طرد جميع البهايم من قريتهم،
بحجة ان الذئاب اعظم من البهايم ويجب ان لا يختلطوا بهم،
وفعلًا تم طرد البهايم كلهم ولم يبق الا جنس الذئاب.
بعد فترة بدأت نزعة العدوان التي في نفوس الذئاب بالاشتعال،
في الماضي كانوا يعتدون على البهايم في قريتهم،
لكن الان لم يبقى غيرهم،
فكانت النتيجة هي ...
بدأ بعضهم يأكل بعضاً !

قال أحدهم: ايش يعني
قلت: لا يوجد معنى واحد ينحصر فيه المثال. أنت طبّق المعنى على حالتك الخاصّة.

وقال آخر: (ناداني بلقب تعظيم هنا لا أحبّ ذكره) بالنسبة للمعضلة الازلية فيه واحد طلع **** من موقف لكن عاملته باحتقار هذي مش من اخلاق التصوف صحيح لانو مرة كنت بعامله كذا بخليه زيي الحشره لكن افتكرت الاخلاق هوا سؤال بس؟

قلت: تصوير المزعج لنا كحشرة هو أسهل طريق نفساني لكن المشكلة اننا حين نعتبر إنسانًا مثلنا حشرة فقد فتحنا باب اعتبار أنفسنا حشرات في عيون الآخرين ايضا، والنتيجة كل واحد يبيح لنفسه بخ بفباف على الثاني ! فتأمل حبيبي.

...

دخل سمسار الى سوق الذهب

وبيده صندوق مليء بمعدن اصفر يبدو كالذهب،

نادى التجار ليبيعهم إياه،

فخرج التجار وبأيديهم النار والمطارق والآلات المختلفة

وقالوا له "أعطنا عيّنات من صندوقك لنختبر جودتها"،

فغضب السمسار ورفض قائلاً "اذا اردتم ذهبي فلابد ان تقبلوا جودته بمجرد قولي

ثقةً منكم بشخصيتي وكلمتي"،

فردوا عليه وهم يضحكون "الواثق ببضاعته لا يخاف من فحصها،

وخوفك يبرر عدم ثقتنا بك"

قال: ما الفرق بين العلم والوعي؟

قلت: الوعي اوسع من العلم وهو أساس العلم.

اما كونه اوسع، فلأنك قد تكون جاهلا وانت واع بجهلك، فالوعي شهود الذات وشهود الشيء بغض النظر عن الحكم عليه بالصدق الواقعي او الكذب والوهم.

اما كونه أساس العلم، فلانه بدون وعي لا علم.

فالوعي يقظة وشعور بالوجود وحتى بالعدم.والعلم مشاهدة محدودة لشيء موجود. فالوعي يشمل الوجود والعدم، اما العلم فمحصور بالوجود.

الوعي ثابت ومتحرك، لكن العلم ثابت فقط.

الوعي مكتفٍ بذاته، لكن العلم طلب الذات التوسع بواسطة صورة الغير.

فقال: كذلك قرن الله العلم بالاحاطه .. اظن ان الوعي كمال العلم.

(فلم أجبه. لأني شعرت بأنه شخص يسأل لأنه يريد أن يجيب لا لأنه يريد أن يسمع جواب المسؤول.)

...

لكل شيء قلب عليه مدارهُ

منه يأكل ويستمد مسارهُ

وقلب الكون قلب الولي

حضوره وإخلاصه واذكارهُ

...

كانت الأسود تجتمع كل يوم

وتتمشى في الغابة وتتفقد الأوضاع،

وكلما خرجوا جرى خلفهم كلب ينبح بشدة ويعكر صفاء الجو،
واستمر على هذا فترة،
وفي احد الأيام التفت اليه اسد وقال له
"لماذا تنبح؟"
فرد الكلب "لكي الفت أنظاركم تجاهي"
فقال الأسد "وما فايدة لفت الأنظار اذا كنت كلباً لن تجد منّا
نحن الأسود الا الازدراء والاحتقار". ...
توقف الكلب عن اتباع الأسود وقرر اتباع السلاحف،
فكان كلما رأى سلحفاة نبح حتى تنظر اليه،
لكن كلما شعرت السلحفاة باقتراب الكلب تدخل في مدرعتها
ولا تنظر اليه وتشعره بالأهمية. ...
اخيراً فكر الكلب في كيفية الحصول على الاهتمام فذهب الى
مجتمع بشري ودخل دار العجزة وصاحب عجوزاً وحيداً
فكان يعطف عليه لانه لا يجد احداً يصاحبه.
وحينها اكتشف الكلب ان الذي يريد ان يشعر بنفسه بواسطة غيره
سيضطر الى الدخول في حياة محشية بالوحدة والبؤس والموت.
...
الانسان المعاصر المتوسط يعيش
أقوى نكتة تم تأليفها حتى اليوم. وهذه هي النكتة (هي من نوع شر البلية ما يُضحِك):
اذا اجتهد والداك ليدخلوك في احسن المدارس لمدة ١٢-١٥سنة، ثم اجتهدت انت وتفوقت فيها.
ثم اجتهدوا اكثر ليدخلوك في الجامعة لمدة ٤-١٠ سنوات، واجتهدت انت وتفوقت فيها.
ثم تمسكت بوظيفتك وتحملت كل ما فيها لمدة ٢٠-٢٥ سنة،
فان شاء الله سترتاح وتنبسط بعدما تشيخ وتتقاعد !
يعني حياة من الجد والكد والصرف والدعك، على أمل وجدان الراحة على حافة القبر (المكان الوحيد الذي قد يرتاح فيه فعلاً).
بعبارة أخرى اوضح: اذا أردت ان ترتاح فعليك ان لا ترتاح ! صفقة جيدة (وصفعة اجود).

قالت: إذا ما العمل؟
قلت: سؤال من كلمتين، جوابه في عشرين كتاب. لكن أوّل خطوة هي سؤال السؤال الذي تفضلتي به. ومع الوقت ، سأذكر بعض الأمور بخصوصه بالتدريج المناسب لهذا المكان المختصر.

وقالت أخرى: وهل ممكن يرتاح فعلاً؟
قلت: راحة تامّة، لا. طبيعة الجسم تمنع ذلك. راحة بشكل كبير، نعم، ممكن بتخطيط مجتمع يريد هناء أفراده بدلاً من هناء بعض أفراده فقط.
...
غضبت الأسود وفارت الآجام

بسبب ثعبان يلدغهم في المنام.
بحثوا عنه في كل مكان ،
واستعانوا عليه بكل حيوان.
وهو يضحك عليهم ،
من فرط جهلهم.
لانه اختبأ في جحر موجود
بجانب سرير سيد الأسود.
لم يفكروا ان الخبيث يجرؤ على
الكمون في مرمى العين هكذا.
غرورهم أعماهم كفعل الرَّمَد،
وقتل قلوبهم كما يقتل الحسد.
وصال وجال ثعبان الروح،
كما جرى في الطوفان نوح.
ولما أشرقت شمس الأزل،
واستقام الأمر بغير هَبَل.
تقرر في متن كل العلوم :
الدواء في اللسان المسموم.
...
شخص يعشق الجواهر
ويعرف الجميع انه يحب تجميعها،
جاءه في احد الأيام شخص وقال له
"اكتشفت مستنقعاً شديد الوساخة لكن في باطنه
الكثير من الجواهر".
وجاء شخص اخر وقال له "اكتشفت حديقة بديعة الجمال في باطنها
الكثير من الجواهر".
فقال العاشق "بما أني املك الاختيار بين وضع يدي
في مستنقع او في حديقة للوصول لنفس الجوهرة،
فالأسلم ان اذهب الى الحديقة". فالعشق يقبل كل شيء لكنه بالرغم من ذلك
لا يأخذ الا أحسن شيء.

قالت: ما المقصود؟
قلت: واحد من المقاصد
ان تحب كل شيء لا يعني بالضرورة ان نقبل كل شيء. فالحب ينظر الى جوهر الشيء وحقيقته الكلية والعقلية والروحية. لكن القبول والعمل في حدود الطبيعة ينظر الى احتياجات النفس والجسم ، وهذه الاحتياجات لا تتلبى بكل شيء بل لابد من اختيار احسن الممكنات قدر المستطاع. فلا تناقض بين اختيار الأحسن وبين الحب الكلي.

مثلا، انا احب "الإنسانية" بشكل كلي. هذا لا يعني انه يجب علي ان تحب كل شخص شخص أقابله من الناس وأعطيه كل شيء بحسب لوازم الحب. لان حب الإنسانية شيء وحب أشخاص الناس المحدودين شيء اخر.

...

اجتمع عصفور وصقر
واراد كل واحد التفاخر على صاحبه،
اما العصفور فقال "انا لطيف وصوتي جميل"
وقال الصقر "انا عنيف وشكلي جليل"
واحتدم النزاع بينهما وطال الجدال،
فأخرجت سلحفاة رأسها من درعها
وقالت لهما "كلاكما في قفص في حديقة حيوان
فان اختلفتم في كمالاتكم الذاتية
فقد اشتركتم في حقيقة العبودية"

...

دقق يا عزيز في خاتم الارواح
واعرج بسرّه من عالَم الأتراح،
وانظر لما انتهت اليه المقادير
وطارت لاجله قلوب المغاوير،
لتشهد معدناً به العقل رضي
وبهر شعاعه كل خفاش غبي،
تعال ولو أصابتك سبعين صعقة
تعال ولو هشمتك الف حديدة،
فقد اجتمعت الأملاك في سماءنا
وامتلأت بأنواع الجواهر كنوزنا،
كل واحد يأخذ بما فيه من الاحتمال
الوعي احدي بكثرة النساء والرجال،
لا يحدّ البحر ما فيه من اسماك
ولا يُقيِّد الجو سابحات الافلاك،
جليل لا يتركك حتى تملّ
جميل سوانحه بكلِّ محلّ،
منه كل خاطر نافع بدا
لذّته لا تنقضي أبداً أبدا،
يدرك هذه الإشارة أهل الفهوم
واقرا "لا اقسم بمواقع النجوم"

قال صاحبي: هذه تحتاج شرحاً.

أقول:
قال الله في آية أن وظيفة الرسل هي "البلاغ" لكن في آية أخرى قال "البلاغ المبين". الفرق بين البلاغ والبلاغ المبين هو الفرق بين زمن التقية وزمن الحرية. ففي زمن التقية، البلاغ كافٍ، والمسؤولية الكبرى في الفهم تقع على عاتق الناس، فحيث أنهم لم يعملوا على تحرير أنفسهم ليرتاحوا وقعت عليهم مسوؤلية بذل جهد زائد عن العادة لفهم المقاصد التي يعاقب عليها طغاة زمانهم. فيكفي البلاغ هنا، ولو كان رمزياً ولو كان مقتضباً ولو كان إشارياً. أمّا في زمن الحرية والمجالات الحرّة، فالتكليف هو البلاغ المبين، الذي يفهمه الكل بأكبر قدر ممكن من السهولة وإن لم تكن سهولة مطلقة إذ لا وجود لهذه السهولة المطلقة بحكم احتياج الإنسان دائماً لبذل نوع من الجهد في اكتساب وسائل فهم الكلام والأمور.

بما أننا نعيش في زمن التقية في بعض الأمور، وعلى رأسها قضية حرية الكلام المعبّرة عن جوهر حرية الإنسان والتي هي أساس كل شئ ولها حيثيات كثيرة، وكان من الواجب علينا التحدّث عن هذه الحرية الكلامية وشؤونها، لكن التعبير الصريح عنها غير مناسب في هذه الظروف تحديداً، وأردتُ أنا مع ذلك إيصال رسالة بهذا الشأن وإن لم يفهمها أحد إلا من يفهمه الله، كتبتُ هذه السطور ونشرتها على الملأ. فحصل بعض الغرض وهو البلاغ، وإن لم يكن بلاغاً مبيناً. أمّا بعد أن أعطيك مفاتيح حلّ رموزها بإذن الله، فستقرأها من جديد وتجدها من أسهل ما تكلّم به العرب والعجم. وبين يديك المفاتيح باختصار والباقي عليك والله يؤيدك ويفتح لك.

أشرتُ مرّتان إلى النظر في الحرف الأخير من القصيدة (سأسمّيها قصيدة مجازاً وتشبيهاً). وذلك في قولي {دقق..في خاتم الأرواح} و {انظر لما انتهت إليه المقادير}. فالأرواح هي أساس الكلمات، والكلمات تنزّل الأرواح التي هي العقول والأفكار والمعاني المجرّدة والمفاهيم. والمقادير هي مقادير الكلام. وقصدت بذلك التنبيه على مفتاح القصيدة كلّها. كيف؟ انظر في آخر حرف من كل بيت، واقرأ الحروف مجتمعة. ستجد أن أوّل حرف هو الحاء (الأرواح، الأتراح)، وثاني حرف الراء (المقادير، المغاوير)، وثالث حرف الياء، ثم التاء المربوطة، وهذه الأربعة تشكّل كلمة (حرية). ثم الألف فاللام إلى آخر القصيدة تشكّل كلمة (الكلام). فمقصود القصيدة هو كشف حقائق عن {حرية الكلام}. وأمور متعلّقة بهذا الأمر من زوايا متعددة.

{دقق يا عزيز في خاتم الأرواح} فالعزيز هو كل إنسان، بلا استثناء. وأساس حرية المجتمعات هو الاعتراف بالعزّة الذاتية لكل إنسان، العزّة غير المكتسبة بشئ أو بعمل لأنها إذا كانت مكتسبة لأمكن وضع قيود وشروط تحرم بعض الناس من هذه الكرامة والقيمة فيقع الطغيان بشكل أو بآخر من أشكاله القبيحة. وقلت {دقق} للإشارة إلى أننا في زمن الحاجة إلى التدقيق في كلام الذين يعيشون في زمن التقية لفهم مقاصدهم العلمية والسياسية.

{واعرج بِسرّه مِن عالَم الأتراح}. عالَم الأتراح هو المجتمع الطغياني الذي يعيش فيه كل مَن لا يجد حرية الكلام، فهذه الحرية هي الوسيلة للعروج أي الارتفاع والتخلّص من عالَم الأتراح، والترح هو التعب المضاد للفرح، لأن الفرح حين يملك الإنسان التعبير عن نفسه وبثّ أفكاره وهمومه والسعي لتحقيقها بمشاركة مجتمعه. وهذا أمر مفقود في مجتمع خال من حرية الكلام.

{وانظر لما انتهت إليه المقادير} تشير أيضاً إلى النظر إلى ما انتهت إليه حالة كل مجتمع خلى من حرية الكلام، وكذلك إلى كل مجتمع وجدت فيه حرية الكلام أو ما يقترب منها، وقارن بين الحالتين، لأن المقارنة بين المجتمعات إحدى وسائل الاختيار بين الأسباب التي جعلت كل واحد ينتهي إلى انتهى إليه.

{وطارت لأجله قلوب المغاوير} المغاوير أي الشجعان الذي حاربوا من أجل تحقيق الحرية لأنفسهم ومجتمعاتهم. ولابد أن يكونوا هؤلاء قد عاشوا رعباً وخوفاً طارت لأجله قلوبهم، لكنهم تحمّلوا ذلك، لماذا؟ لأنهم كانوا يعرفون عظمة الحرية وجمالها بقدر جعلهم يتحمّلون من أجلها ما تحمّلوه. وهنا الإشارة إلى النظر في سير الأفراد الذي حاربوا من أجل الحرية، بطرق لفظية أو حربية، مثلاً حين تقرأ عن رجال الثورة الأمريكية سواء كانوا كُتّاباً مثل توماس باين، أو عسكراً مثل جورج واشنطن، تجد سيراً ملهمة في الطريق. هذه مجرد أمثلة، وتوجد أمثلة كثيرة في كل الأمم، حتى العربية والإسلامية منها، قديماً وحديثاً بدرجة أو بأخرى. ويمكن استلهام تلك النماذج والتعلّم منها ومن ما أصابوا أو أخطأوا فيه.

{لتشهد معدناً به العقل رضي}. هو معدن الحرية. المعدن الأعظم. العقل به رضي لأن العقل مجبول على إرادة الإشعاع والتعبير عن نفسه وتحقيق أغراضه خارجه. وهو لا يمتنع عن هذا الأمر إلا لخوف أو قهر أو عجز. فدلّ ذلك على أن أصل رضا العقل هو الحرية، وإذا لم يجدها أو لم يتصرّف بناء عليها كان ذلك بسبب قاهر من خارجه والمقهور لا يكون راضياً أبداً بقهره حتى إذا برره ليريح نفسه فإن تبريره بحد ذاته إدانة له ودليل على عدم رضاه.

{وبهر شعاعه كل خفاش غبي}. شعاع الحرية يبهر أي يعمي ويؤذي كل خفاش يعيش في الظلام وأعمى يكره الضوء والنور أي الفكر والإرادة الصادقة، غبي لا يدرك أن في الحرية مصلحته هو كما فيها مصلحة غيره ولو بعد حين، فإن الأغبياء الذين يملكون القدرة اليوم على قهر الناس لا يتنبّهون على أنه يمكن بنفس هذه السلطة قهرهم هم ولو بعد حين إذا تغيّر رجال الدولة وجاء أعداؤهم إلى السلطة، كما نراه حاصلاً في كثير من البلدان التي تغيّر فيها منصب شخص واحد فتغيّرت به مصائر الألوف من المنتفعين من القهر القديم. فالغبي لا يدرك أن سعيه لقهر الآخرين اليوم هو سعي لقهر نفسه غداً، ولم تدم دولة قاهرة لأحد قطّ أبداً فالغبي هو الذي يظنّ أنه يمكن أن تدوم له وأنّه سيكون الاستثناء الوحيد في التاريخ كلّه. فالحرية وآثاره مكروهة لمن يحبّ العيش في الظلام، مثل أصحاب العقائد الدينية والسياسية المتعصّبين المجرمين، وكذلك جهلة العوام المضحوك عليهم. والحرية وآثاره أيضاً مكروهة للأغبياء كما شرحنا. فالخفاش لا يحبّ سماع رأياً مخالفاً له، فيحارب الحرية بحجّة الحفاظ على العقيدة النقية، أو الأخلاق القويمة المرضية، أو الأمّة المصطفوية، أو غير ذلك من الشعارات الغبية. فالظلامي والغبي رؤوس عداوة حرية الكلام بشكل عام.

{تعال ولو أصابتك سبعين صعقة}. أي تعال إلى مجتمع الحرية، إلى تطبيق الحرية الكلامية، ولو أصابتك سبعين صعقة أي مهما وجدت في الطريق من صعوبات فكرية ووجدانية، ومهما ظننت أن الإشكالات الفلسفية لا حلّ لها المطروحة لنقض تلك الحرية، كلّا، تعال، فإن كل هذه محلولة ولها أجوبتها القاصمة لظهور أنصارها. تحمّل كل مجهود فكري في هذا الطريق، فإن غايتة عالية شريفة.

{تعال ولو هشمتك ألف حديدة}. الصعقة للعلماء، الحديدة للعوام، أي للذين يحاربون بألسنتهم وأقلامهم قلنا تعال ولو صعقة، وللذين يحاربون بأجسامهم وأسلحتهم قلنا تعالوا ولو حديدة. لأنك إن متّ في طريق تحقيق الحرية، فقد عشت أحسن حياة ومتّ أحسن موتة وأنفعهما. ولو عشت وقد تهشّم جسمك من آثار الحرب لأجل الحرية فإنك ستكون عظيماً في نفسك وعند ربّك وعند مجتمعك، وفي نهاية المطاف جسمك سيؤول إلى التهشيم في القبر، فمن الأولى تهشيمه لغرض شريف بدلاً من أن يهشمك الدود الخسيس.

{فقد اجتمعت الأملاك في سماءنا}. الأملاك هم الناس الذين يشبهون الملائكة، أي العقلاء. فالمجتمع الذي فيه حرية كلام سيجتمع فيه العلماء وأهل الفنون والإبداع والتفكّر والفلسفة العالية والدين الحقيقي، لأن كل هؤلاء يريد المساحة للتعبير والمجال للتنفّس بأكبر قدر ممكن بدون عقوبات حكومية أو جماهيرية. فمثل هذا المجتمع سيكون سماوياً مقارنة بغيره من المجتمعات الهابطة والسافلة المستعبدة. مجرّد وجود الحرية الكلامية كفيل بهجرة أصحاب العقول والمشاعر العالية إلى هذا المجتمع. كما أن مجرد وجود العبودية والقهر كفيل بطرد ونفي كل سليم الإنسانية لنفسه إن قدر على ذلك ووجد مكاناً خيراً منه.

{وامتلأت بأنواع الجواهر كنوزنا}. الكنوز هنا هي مخازن المعلومات والرسومات والإبداعات بكل أشكالها. والجواهر هي كل صور التعبير عن العقل والنفس والوجدان والخيال بشكل عام. فكما أن أشخاص المبدعين ستصير إلى المجتمع الحرّ، لكن بحكم الضرورة والظروف قد يبقى كثير منهم في بلادهم، أمّا جواهرهم فستصير إلى المجتمع الحرّ لأن الشخص قد يعجز عن الانتقال لكن عمله لن يعجز عن ذلك وقد يهربه تهريباً ليصل إلى تلك البلاد الحرة ليتم نشره فيها. فلأن الحرية الكلامية تقبل كل كلام وتعبير وتحفظه وتقبل وجوده، فإنها ستكون قوّة مغناطيسية جاذبة لتلك المنتجات، فتمتلئ بها مخازننا بأنواعها الكثيرة.

{كل واحد يأخذ بما فيه من الاحتمال} هنا واحد من أهم حجج تحرير الكلام. لأن الكلام لا يؤثر فيك إلا بقدر ما يكون فيك أنت وتقبله أنت، وليس للكلام تأثير قهري كتأثير الضرب اليدوي مثلاً، فالنتيجة الضرورية أنك دائماً حرّ في قبول أو رفض أو تغيير مضمون الكلام الذي تقرأه أو تسمعه، وبناء على ذلك لا يمكن بعدل معاقبة المتكلّم فقط لأنّه تكلّم، بل المسؤولية على القارئ والسامع في كل ما يفعله. فالمتكلّم الواحد قد يؤثر في عشرة أشخاص بعشرة أنواع من التأثير يختلفوا من النقيض إلى النقيض. فالكلام لا يؤثر باستقلالية عن المتلقّي والقابل. إذن، المبدأ العادل هو حرية المتكلّم ومسؤولية السامع. ولذلك قلت "كل واحد" بلا استثناء، "يأخذ" من الكلام، "بما فيه" أي بما في المتلقّي للكلام، "من الاحتمال" أي من القابلية والاستعداد والإرادة والفكر.

{الوعي أحدي بكثرة النساء والرجال} الوعي له جانب وحدة وجانب كثرة. أمّا الوحدة فهو الوعي المجرّد، وهو الذي يجده كل فرد في نفسه، وهو الوعي المجرّد عن كل فكر وشعور وخيال وإحساس وصورة بدنية وجنسية بأي شكل أو لون. هذا الوعي المجرّد أحدي في الكل. لكن الجانب الآخر هو الوعي المتلوّن بالأفكار والمشاعر والخيالات والأحاسيس المختلفة وهي التي تشكّل شخصيات الناس وتميّز بينهم. فكما

أن الوعي يملك هذه الخاصّية المزدوجة والتي تبدو متناقضة. كذلك الكلام يملك هذه الخاصّية المزدوجة، أي من كونه له معنى واحد ومعاني كثيرة بل لا معنى له ومعاني لانهائية في آن واحد. وأبسط مثال على ذلك أن تقرأ كلاماً بلغة لا يفهمها السامع، فبالنسبة له الكلام لا معنى له مطلقاً، أو تقرأ عبارة فلسفية لشخص جاهل فبالنسبة له العبارة لا معنى لها مطلقاً. لكن في المقابل، انظر إلى مدى الاختلاف بين الناظرين والدارسين لكلام العلماء والفلاسفة والشعراء والأنبياء مثلاً لترى اختلافهم إلى ما لانهاية تقريباً في فهم كلامهم وتفسيره والاستنباط منه. وهذه الحجّة الثانية لتحرير الكلام، المعززة للحجّة الأولى التي ذكرناها في السطر السابق. أي لأن الكلام لا معنى له وله معاني لانهائية في آن واحد، فلا يمكن حصر المقصود منه أو أثره في معنى واحد بناء عليه تتحدد العقوبة القانونية على المتكلّم به، لأن العقوبة تفترض أن الكلمة لها معنى واحد ينحصر فيه الكلام وهذا المعنى يستوجب العقوبة، بينما الواقع أن الكلام يجمع في ذاته بين انعدام المعنى وإطلاق المعنى، ولذلك يتعالى الكلام عن التقييد القانوني المطلق. نعم، قد يتم قبول شئ من نظرية حصر المقصود الكلامي من باب التعامل الاجتماعي المعاشي الضروري كالتجارة والعقود فيها مثلاً، لكن هذا خروج عن القاعدة الحقيقية والشاملة يمكن قبوله لأغراض ضرورية قهرية، والضرورة تقدر بقدرها ولا تجاوز قدرها ولا ينبغي لها.

{لا يحدّ البحر ما فيه من أسماك}. ضرب مثال لحجّة من حجج تحرير الكلام. البحر هو الكلمة، والأسماك القراء والمتعاملين المتفاعلين مع الكلمة. أي كما أن السمك لا يقيّد البحر، كذلك القارئ لا يقيّد المقروء ولا السامع المسموع. ولذلك لا يحقّ لأحد أن يجبر غيره على فهم كلام ما بطريقة معيّنة اجباراً مطلقاً.

{ولا يُقيّد الجوّ سابحات الأفلاك}. نفس المعنى السابق لكن على مستوى آخر. فالبحر مثال أرضي، والجوّ مثال سماوي. والأسماك تشير إلى قراء الكلام الأرضي أي المعبّر عن الأمور المحسوسة، والأفلاك تشير إلى قراء الكلام السماوي أي المعبّر عن الأمور المجرّدة.

{جليل لا يتركك حتى تملّ}. هنا وصف لطبيعة الكلام. فهو جليل أي عظيم له قوّة كبرى على إحداث المفاهيم والمشاعر فيك، وعلى عظمته هذه لا يتكبّر عليك ويرفضك بل لا يتركك حتى تملّ أنت منه. فمن خصائص الكلام أنه جليل لكنّه ليس مثل الأجلّة من البشر مثلاً الذين يتركوك حين يملّوك، بل هنا الكلام له أهمّة خاصّة لأنه جليل ومع ذلك لا يتركك حتى تملّ أنت منه وتضع الكتاب جانباً مثلاً. والأوصاف الجيّدة للشئ هي من بواعث الحفاظ عليه وتقديسه واستحضار المزيد منه بواسطة تحرير الإتيان به.

{جميل سوانحه بكلّ محلّ}. وصف آخر لطبيعة الكلام. أي الكلام يحتمل أن يكون جليلاً وجميلاً، أي يجمع بين الأضداد، فكلام عالي وكلام سافل، كلام صعب وكلام سهل، كلام عميق وكلام سطحي، كلام علمي وكلام خرافي، كلام قوي وكلام ضعيف، وهكذا كل أنواع الأضداد تجدها في الكلام. وهو جميل ومع أنّه جميل سوانحه بكلّ محلّ، على عكس الأشياء الجميلة عادة التي تكون نادرة ومخفية ولا يطلع عليها إلا القلّة، الكلام قد يكون قمّة في الجمال وهو مبذول للجميع انظر مثلاً القرءان أو كتب ابن عربي أو غير ذلك من كتب جميلة ومع ذلك تجدها في كل محلّ ويمكن إيصالها للجميع بدون أن تفقد شيئاً من

جمالها وخصائصها الذاتية الحسنة، بل بالعكس قد يكون نشرها مزيد تجميل لها من حيث حصول فهم أكبر عدد للناس لها بالتالي تزداد فائدتها والقدرة عن التخاطب بها والبحث فيها.

{منه كل خاطر نافع بدا} بدا تحتمل بدأ أو البدو بمعنى الظهور. وكلاهما صحيح وينطبق على الكلام، ولا نزال في وصف طبيعة الكلام. أمّا معنى البداية فينطبق على الكلام الإلهي وينطبق على الكلام التعليمي بالنسبة لعموم الناس. فالكلام الإلهي هو مبدأ كل خاطر نافع دنيا أو آخرة يجده إنسان في نفسه. "الرحمن. علّم القرءآن. خلق الإنسان. علّمه البيان". والكلام التعليمي هو بداية كل خاطر نافع للمتعلّم الجديد، كما أن الذي يريد أن يتعلّم الشعر اليوم مثلاً يبدأ بقراءة أشعار القدماء والدواوين المنشورة. وهكذا في كل علم وفنّ. أمّا معنى البدو والظهور فمن الواضح أن الكلام هو أبرز وأقوى وسيلة للتعبير عن الخواطر، لأن التعبير بالجسم يفنى بفناء الجسم، والتعبير بالرسومات والنحت مثلاً يكون رمزياً لا يُفهَم إلا بمساعدة شخص من الخارج ولا يمكن استنساخه بذاته ونشره في كل مكان مع صعوبة حفظه عادة وقلّة المطّلعين عليه بحكم تحيّزه المكاني، وهذا كلّه لا يوجد في التعبير بالكلام اللغوي. لأنه يبقى مع فناء المتكلّم به وموته، وقد تفهمه بنفسك بقدر استعيابك بدون الحاجة إلى أي معين من الخارج، وقد تنسخه وتحفظ كل خصائصه الذاتية وتنشره في الكون كلّه بدون تغيير حرف واحد منه. إذن، البيان يتجاوز الإنسان والزمان والمكان.

{لذّته لا تنقضي أبداً أبدا}. لذّة الكلام أي حين تتكلّم أنت تجد لذّة وراحة. ولذّته أيضاً حين تقرأه وتسمع وتتعمق وتتأمل في الكلام. بالتالي الكلام يخدم بحث الإنسان عن اللذة، وسعيه للاستزادة منها، واللذة هي المبدأ الأكبر في تحرّك الإنسان وطلبه للأمور وتقييمه لها. فهنا لذّة لا تنقضي أبداً أبداً، ولا تكرار في أبداً. لأن أبداً الأولى تشير إلى الدنيا، أي ما دمت في الدنيا قد تتلذذ بالكلام، حتى لو كان داخل عقلك فقط كالذي يحفظ كلاماً ما ويتأمل فيه أو يذكر الاسم إلهي في سرّه مثلاً. وأبداً الثانية تشير إلى الآخرة، فقد روي بأن لأهل الجنّة مجلساً لدراسة القرءآن يحضره الله تعالى ذاته ويتعلّمون القرءآن منه، ولعلّ في قوله تعالى "وسقاهم ربّهم شراباً طهوراً" إشارة إلى هذا المعنى. وقد روي كثيراً صحبة القرءان لأهله في كل مراحل وجودهم وأطوارهم حتى أن منازلهم في الجنّة تتحدد بناء على علاقتهم بالقرءان "اقرأ وارقَ". وروي أيضاً أن عدد درجات الجنّة كعدد آيات القرءآن. وروايات كثيرة في هذا الباب تدعمها آيات كثيرة. كل ذلك يشير إلى أهمّية الكلام بشكل عام من حيث كونه سبباً للنعيم، دنيا وآخرة. فلذّة لا تنقضي أبداً أبدا.

{يُدرك هذه الإشارة أهل الفهوم} فهنا تصريح بأن ما سبق إشارة، أي رمز والمقصود وراء الأمثال فلابد من التدقيق والتأويل لبلوغ المقصود. و"أهل الفهوم" هم الذين يجتهدون ويستفتحون الله ليفهمهم الكلام الذين يقرأونه، ويأخذون الدرس والتأمل على محمل الجدّ، لا أنهم يقرأون على عجالة ويريدون المعنى بسهولة تامّة.

{واقرأ "لا أقسم بمواقع النجوم"} إشارة إلى أن هذه السطور معانيها عالية كالنجوم، فلابد من الاجتهاد للصعود إليها، وكذلك في الآية إشارة أخرى إلى المقصود من هذه السطور بشكل عامّ وهو ظاهرة الكلام، لأن تكملة المقطع من سورة الواقعة هو "فلا أقسم بمواقع النجوم. وإنه لقسم لو تعلمون عظيم.

إنّه لقرءآن كريم. في كتاب مكنون. لا يمسّه إلا المطهور. تنزيل من رب العالمين". فكما أن القرءآن مكنون كذلك المقصود من هذه القصيدة مكنون وراء رموزها. وعلى هذا النسق طابق بقية المعاني. وبذكر أوّل آية في المقطع إشارة إلى المقطع كلّه. ومن جهة أخرى، ذكرنا الآية القرءآنية للتنبيه على أن القرءان نفسه أمثال لا يعقلها إلا العالمون "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون" وهذا جواب على اعتراض مُقدَّر مفاده "لماذا تتكلّم بأمثال ورموز" فالجواب هو "القرءآن تكلّم بأمثال ورموز في بعض آيات وخصوصاً في زمن التقية المكّية".

هذه مفاتيح القصيدة. الآن ارجع اقرأها إن شئت وستجد فيها سهولة كبيرة إن شاء الله. والله يخرجنا من ظلمة القيود إلى نور كسر القيود. والحمد لله رب العالمين.

....تم ولله الحمد وحده.